تاريخ الإسلام المبكر

الدكتور محمد آل عيسى



(هل كانت بداية الإسلام في بلاد الشام)

قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين

إذ قال الله يا عيسى إنـي متوفيك ورافعك إلـي

ومطهرك من الذين كفروا

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا

إلـى يوم القيامة

ثم إلـي مرجعكم

فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون

المحـتـويــات

مدخـــــل

هناك اتفاق يكاد يكون عاما بين مجموعة من المؤرخين بأن الإسلام ظهر في بلاد الشام ولم يظهر في مكة. وأن هجرة الإسلام وحركته كانت من الشام إلى الحجاز وليس العكس.

ولكن كيف ظهر الإسلام وهل ظهر محمد في الشام؟

بحسب مؤلف هذا الكتاب فإن محمد لم يظهر لا في الشام ولا في الحجاز. وهو ليس شخصا حقيقيا. هذا هو محور الكتاب. محمد مجرد فكرة جسدها من اختلق تاريخه وجعل هذا التاريخ في مكة حيث مكة البعيدة يمكن أن تستوعب قصة مثل قصة محمد.

لكن من أين جاءت القصة؟

الدعوة المحمدية في الأصل دعوة نصرانية وفي العقيدة أشبه ما تكون بالبدعة الأبيونية التي تنكر ألوهية السيد المسيح وتجعل منه مجرد نبي إنسان.

ولما كان منشأ الدين المحمدي في الشام كان استقرار الأمويين على الحكم هناك وتبني الدين الجديد وانتشاره من الشام إلى الحجاز.

وبقدر ما هو غريب فإنه غامض. هذا هو الإسلام الدين الذي يبدو بحسب ما يروى عنه أنه ظهر واكتمل في غضون عقود ليسيطر على الشرق الأوسط ويفرض سطوته على شعوب المنطقة ويتمدد إلى خارجها ليقيم إمبراطورية واسعة مترامية الأطراف، وينشئ دولة العدل والرحمة والمساواة كما تذكر أدبياته.

وبما أنه لا سر يدوم فقد بدأ علماء التاريخ ينبشون في الماضي ويطرحون تساؤلات غريبة عن هذا الإسلام: كيف بدأ وأين ولماذا ومن قام عليه وما هي مصادره وكيف انتشر وكيف صار على ما هو عليه.

في بداية تعرف المؤرخين الأجانب على الإسلام وثقوا بالمرويات الإسلامية وصاغوا نظرية تقول إن الإسلام ظهر في ضوء التاريخ وانتشر بسرعة وهيمن بقوة وأقام دولته وفق منظور ديني رسمه الوحي وفصله القرآن ووضع أطره حديث نبيه وفقه علمائه.

لكن الأمر اختلف مع ظهور ما يسمى بالنقد الكتابي الذي تناول الكتاب المقدس وشكك بنصوصه وبوجود أنبيائه. حتى شخصية المسيح لم تسلم من الشك والتشكيك. وانتشرت أبحاث عديدة تنكر وجود المسيح كشخصية تاريخية حقيقية. وبحوث تشكك في الرسالة المسيحية وتنسبها لغيره وتشير إلى نسخها من أساطير سابقة.

عندما اكتملت أو قاربت على الانتهاء أبحاث نقد المسيحية واليهودية بدأ علماء يلتفتون إلى الإسلام. فإن كانت هناك شكوك في المسيح والمسيحية فالأولى أن تكون هناك شكوك مشابهة فيما جاء بعدها من عقائد وأديان.

بما أنه لم توجد أي مواد أركيولوجية تنسب إلى العصور الإسلامية الأولى فقد أثار هذا الأمر شكوك العلماء. هل يعقل أنه لا توجد أي وثيقة ترقى إلى العصور الإسلامية الأولى؟ هل يعقل أنه لم تكتشف أي مادة أثرية تنسب إلى القرن الإسلامي الأول؟ هل يعقل أن الرومان الذين كانوا قبل الإسلام بمئات السنين تركوا آثارا ومخلفات أركيولوجية والعصر الإسلامي الأول لم يترك شيئا؟

التاريخ يصنع من وثائق وكل فكرة أو فعل لا يخلف أثرا مباشرا أو غير مباشر أو طمست معالمه هو امر ضاع على التاريخ: كأنه لم يكن أبدا. فلا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق فلا تاريخ[١]. وهدف التاريخ كما يراه ليوبولد فون رانك المؤرخ الألماني من القرن التاسع عشر هو معرفة ما حدث بالفعل. وكان يرى أن البحوث التاريخية يمكن أن تقرر بشكل موضوعي كل الحقائق التاريخية بشكل علمي. لكن البعض يرى أن هذا مجرد وهم. وذلك بسبب طبيعة البراهين، فالبراهين التاريخية لا يمكن ضبطها مثل البراهين الطبيعية.

---

[١] – النقد التاريخي مدخل إلى الدراسات التاريخية ترجمة عبد الرحمن بدوي ص ٣٨

ويرى آخرون إن تفسير عدم بقاء أي مواد تاريخية إسلامية من القرن الهجري الأول يعود إلى عدم وجودها في الأصل ولا يمكن مضاهاة معظم الروايات الإسلامية بواسطة مصادر معاصرة غير إسلامية.

حتى الشعر العربي الذي يقال إنه كان موجودا قبل الإسلام بمئتي سنة لم يكتشف له أي مخطوط ولا أي نقش ولا حتى أي رسم. بل أن هذا الأمر أثار شكوكا حول حقيقة اللغة العربية ومادتها الأصلية وكيف نشأت ومن هي أمها ومن هن أخواتها وعائلتها وفروعها وتوابعها.

كل ما ذكر يجعل من الإسلام مادة للشك. مادة لإعادة النظر في أصله وأصوله. إعادة النظر في تاريخه وتدوين أحداثه. في شخوصه وشخصياته. في مروياته وتراثه الشفهي والمكتوب. في معاركه ومخاصماته.

ليس هذا البحث هو الأول من نوعه. هناك الكثير من مثله كتب بالعربية وبلغات أخرى. وهي أبحاث شكلت مصادر أساسية لهذا البحث. كما أن هذا البحث لا يهدف إلى أي إساءة ولا إلى تشكيك ولكن يقصد منه تحريك التفكير ومحاولة الوصول إلى صورة واضحة لأحداث تؤثر في الحاضر وستؤثر في المستقبل. ولكنها بالتأكيد ستجعلنا نعيد النظر في الماضي.

الفصل الأول

الإسلام القصة التي لم تروى

(تلخيص لبرنامج وثائقي بهذا العنوان)

هل كان العرب الفاتحون مسلمين[٢]؟

لا يوجد أدلة ثابتة يمكن التحقق منها بشأن الدين الذي كان يعتنقه هؤلاء الفاتحون. ومكة كمكان مولد الإسلام كما يعتقد المسلمون لم تذكر في القرآن ولم تذكر طوال ستين سنة بعد تاريخ وفاة محمد المفترض. وان كان المفسرون يعتقدون أن بكة هي مكة.

المراجع البيزنطية وكذلك الفارسية لم تذكر شيئا عن دين الفاتحين العرب فكيف يمكن التأكد من أن الإسلام كدين كان موجودا عندما دخل العرب بلاد الشام؟ السؤال الجوهري هو: هل كانت الفتوحات نتيجة للإسلام أم كان الإسلام نتيجة للفتوحات؟ أيهما اسبق دين الإسلام أم إمبراطورية العرب؟ كيف كان للعرب أن يقوموا بغزو الشام والعراق ومصر بدون أن يكون لديهم دين مختلف؟

هناك ستار غامض يحمي محمد لا يمكن تجاوزه. محمد والقرآن والإسلام: كيف تركبت الرواية لا أحد يعلم. ثمة ظلام دامس يغلف هذه القصة.

فهل قصة الإسلام الحقيقية هي القصة التي يرويها المسلمون الآن؟

أقدم كتاب عن السيرة المحمدية كتب بعد مئتي سنة من وفاة محمد المفترضة. والتراث الشعبي يعني أن نتذكر فقط الأشياء التي نريدها. فالنصوص الإسلامية الأولى لا تذكر محمدا بالاسم. ولا نملك أي مفتاح يمكنه أن يحل لغز

---

٢ - http://www.youtube.com/watch?v=erxWJ5XdVnE

التراث. أما المسلمون العاديون فيحملون قصصا خرافية عن بدايات الإسلام. فهل لها أي صلة بالحقيقة؟

في السجلات التاريخية للقرن السابع لا يوجد ما يمكن تسميته بالإسلام. وعندما جاء العرب إلى القدس لماذا بقي المسيحيون في أماكنهم؟ لو كان القادمون الجدد يحملون دينا مختلفا لكانت هناك ثمة مقاومة أو رفض أو مواقف سلبية على الأقل.

اليهود في فلسطين تركوا بصمات وكذلك الرومان أما العرب فاين بصماتهم؟ لقد سيطر العرب على القدس بمفاوضات سلام ولم يكن أحد ليعلم ما هو الدين الحقيقي للقادمين الجدد. فلماذا لم يثر المسيحيون في القدس على الغزاة؟ لماذا وصف العرب القادمون بأنهم مؤمنون؟ هل كان دينهم شكلا من أشكال المسيحية / اليهودية؟ فقد بدا الحكام العرب أقرب إلى اليهود... بل انهم قاموا بالصلاة على أطلال المعابد اليهودية. وعندما بنى العرب أكبر مسجد وهو قبة الصخرة بنوه على أطلال الهيكل اليهودي.

التساؤل الخطير: هل كان الإسلام موجودا في الحجاز بعد ثلاثين عاما من وفاة محمد المفترضة؟

لا يوجد أي إشارة في سجلات معاوية بن أبي سفيان تدل على أنه مسلم ولا يوجد أي ذكر لمحمد. صحيح إن أقدم مصادر الإسلام هو القرآن والقرآن

يطلب من النبي اتباع ملة إبراهيم، فهل كان هذا الإسلام هو عودة نصرانية إلى اليهودية لرفض المسيحية الهللينية؟ (يعني انتصار النصرانية الشرقية على المسيحية الرومانية الغربية).

لا يوجد أي مصدر إسلامي مبكر يشير إلى بكة التي فسرت على أنها مكة ولا يوجد أي إشارة إلى مكانها الجغرافي. ولغاية مئة سنة من وفاة محمد المفترضة لم تذكر مكة فكيف عرف بالفعل أن محمد إن وجد أتى فعلا من مكة؟

أما بالنسبة للمسجد الحرام فلم يذكر القرآن انه في مكة. ويرى بعض العلماء انه مسجد يتجه في قبلته نحو الشرق قبل أن يتم تحويل القبلة باتجاه مغاير أقرب إلى الشمال كما تقول بعض المصادر المسيحية. كما لا يوجد في القرآن أي إشارة إلى أن الوحي نزل في مكة.

يرى البعض أن القرآن الذي يسرد القصص التوراتية والإنجيلية كان عبارة عن رد نصراني على النقاشات اللاهوتية في ذلك الوقت. ويلاحظ أن القرآن يخاطب فلاحين واهل مكة بدو وتجار ونصوص القرآن على الأغلب تناسب جغرافية سورية. والقسم بالتين والزيتون لا يمكن أن يكون إلا حيث يكثر التين والزيتون أي في بلاد الشام وليس في الحجاز. وهناك مدينة في النقب الفلسطيني تدعى أفدات أو عبدات قد تكون هي الأقرب إلى جغرافية القرآن. كما أن هناك ذكرا لقصة لوط وسدوم وعمورة وعند ذكر القصة يخاطب القرآن جمهورا يصعد

صباح مساء إلى المنطقة، *وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون*؟ فهل كان أهل قريش يصعدون صبحا ومساء إلى مدينة لوط وهي على بعد ألف كيلومتر وأكثر؟

فمن أين أتى القرآن؟ وهل في زمن واحد؟ إن البحث عن مصدر للقرآن أشبه بمن يحاول اللحاق بالسراب. وعندما احتل العرب نصف العالم لم يذكروا مكة ولا الإسلام ولا محمد. وعندما أقاموا الإمبراطورية وسكوا العملة لم يذكروا الإسلام ولا محمد. ولستين سنة تالية لم يذكر الحكام اسم محمد. فهل بالإمكان القول إن **الإسلام لم يخلق الإمبراطورية العربية** بل أن **الإمبراطورية العربية هي من خلق الإسلام**؟ فالإمبراطورية العربية هي الإمبراطورية الأموية في مواجهة الهاشميين. وظهر من الهاشميين عبد الله بن الزبير ليقاوم معاوية وكان هو أول من ذكر اسم محمد وكان ذلك في عام ٦٨٥ للميلاد.

وكما تبنى قسطنطين المسيحية ليشرع إمبراطورتيه كذلك فعل ابن الزبير فاخترع الإسلام؟؟ أو تبنى الإسلام ؟؟ ليبني إمبراطورتيه. وبينما انتصر قسطنطين بتبنيه المسيحية انهزم ابن الزبير بعد تبنيه الإسلام لكن العبقرية الأموية تجلت في تبني إسلام ابن الزبير والانطلاق من تلك البداية واستكمالها.

وفي عهد عبد الملك بن مروان تم ذكر اسم محمد للمرة الأولى على العملة النقدية المعدنية وتم بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى في مكان الهيكل اليهودي وثبت عبد الملك إن الدين عند الله الإسلام.

الفصل الثانـي

الـهرطقات في القرون الأولى

فريق منـهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونـه من بعد ما عقلوه

البحث في البيئة الدينية التي سادت المنطقة في القرون الأولى التي سبقت الإسلام يشير بوضوح إلى كثرة تلك البدع في المشرق وقدرها أبيفانوس بثمانين بدعة. ما هي طبيعة العقائد التي سادت وكيف كان سكان المنطقة يتابعون الفكر الديني بما فيه من هرطقات وبدع وأفكار منحرفة؟ منذ القرن الرابع انتشرت الهرطقات في الشرق واختلف الأتباع كثيرا بشأن طبيعة المسيح وألوهيته ومريم والثالوث وغير ذلك. كما اختلفوا بشأن الطقوس ولغة الصلاة والعماد وغيرها مما كان واجبا في شريعة موسى.

وفي مجمع نيقية عام ٣٢٥ وضعت بداية العقيدة المسيحية القويمة وكل من رفض مقررات مجمع نيقية اعتبر هرطوقيا. وعندما زادت الضغوط على الطوائف المهرطقة هربت نحو الشرق باتجاه منطقة الفرات بحماية الإمبراطورية الفارسية كما انتشرت في شبه الجزيرة العربية.

الهرطقة هي تعليم فاسد في الكنيسة يتعلق بمسألة كبيرة ومهمة. وهي أيضا رفض عقيدة أو عقائد من الدين. أو بعبارة فقهية: إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة. فإنكار ألوهية المسيح على سبيل المثال يعد هرطقة. والانتماء إلى عقيدة ثانية هو هرطقة. ومع أن المعنى اليوناني للكلمة محايد جدا فهو يعني: الاختيار. أي أن المؤمن يختار ما هو خارج أطر الإيمان المعروفة. وبالعربية انتسابا للآرامية فإن كلمة حنف/ يحنف/ حنيفا تعني الانحراف عن قويم الإيمان. لكن الكلمة يقصد بها في المفهوم المسيحي الانحراف سواء كليا

أو جزئيا عن حقائق الإيمان. فهي لا تعني ما تعنيه الكلمة في الموروث الإسلامي. فالكلمة صفة أطلقتها الكنيسة البيزنطية على المارقين عنها والمنشقين مذهبيا.

الهرطقة لا تنفي المعتقد بكامله بل جزء منه ولذلك تصبح مغرية للمتلقي لكي يؤمن بها ويريح نفسه من أعباء الإيمان الصعبة وبالتالي ينحرف عن الأصل إلى فرع سهل من فروع الإيمان.

في القرون الأولى من عمر الكنيسة اعتبرت بعض العقائد هرطقات منها المونوفوزية أو الطبيعة الواحدة، والنسطورية والآريوسية والنصرانية والأبيونية. ومنها أيضا المونتانية والمانوية وغيرها مما لم يبق منه أثر على الإطلاق إذ طغت النصرانية عليهم وهضمتهم وأعادت تشكيل عقائدهم بشكل استوعبهم جميعا.

لن يتسع المجال للبحث في كل البدع والهرطقات ولكن على أبرزها وهي الآريوسية والنسطورية والنصرانية.

الآريوسية

كان آريوس وهو ليبي المولد أسقف الإسكندرية موحدا متحمسا فتحمس له أساقفة المشرق ما عدا القدس وأنطاكيا. وكان يرى أن المسيح إنسان مخلوق مباشرة من الله ومن خلاله تم خلق العالم. فالله الآب والإبن ليسا موجودين معا

منذ الأزل وليسا من نفس الجوهر: فالمسيح ليس مساويا للآب بل أقل وهو مخلوق، لكنه أعلى من الملائكة. وبالتالي فإن المسيح إنسان يمكن اتباعه وليس عبادته. وترفض الآريوسية فكرة الثالوث كما ترفض فكرة الروح القدس ولا ترى له أي دور. وترفض الآريوسية الألوهية الكاملة للمسيح مثلما يفعل الإسلام. لكن الآريوسية هزمت في مجمع نيقية عام ٣٢٥ حيث أقر قانون الإيمان الذي عرف بقانون الإيمان النيقاوي.

النسطورية أو اليعقوبية

تنسب إلى نسطور أسقف القسطنطينية عام ٤٢٨ الذي هرب إلى الصحراء ومنها إلى بلاد الفرس وهناك انتشر مذهبه. كانت نظريته في الأساس آريوسية لكنه على ما يبدو طورها لتصبح مقبولة. غير أن مجمع أفسس عام ٤٣١ أدان عقيدة نسطور وتم نفيه واضطهاد اتباعه فلجأوا إلى بلاد الفرس ومنها إلى الهند. وربما ما زالوا حتى الآن يعيشون في الخفاء. انتشر النساطرة في المشرق وفي جزء من الحجاز لكنهم كانوا أغلبية في بلاد العراق والفرس. فأنشأوا الكنائس وأقاموا الأساقفة[٣]. وخلاصة بدعتهم (كما يقول أنطونيوس مقار إبراهيم في كتاب ***القبائل والمذاهب المسيحية في شبه الجزيرة العربية***):

- المسيح إنسان مهما كان عظيما
- الله واحد غير مولود ولا يمكن أن يشاركه أحد في ذاته

---

[٣] – لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

- كل ما كان خارجا عن الله إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله
- الكلمة هو الوسيط بين الله والعالم لكنه غير أزلي
- كلمة الله مخلوقة في الزمن خلقها الله قبل خلق العالم

النصرانية والأبيونية ومجمع القدس

منذ العام ٤٩ للميلاد نشب خلاف بين رسل المسيح أنفسهم وانقسموا إلى فريقين. الأول بقيادة بطرس ويعقوب والثاني بقيادة بولس. الأول يرغب بالإبقاء على شريعة موسى ويشترط الالتزام بالناموس التوراتي لنيل الخلاص والثاني يرغب بالتخلص من الناموس أو عدم الالتزام به وعدم مشروطيته لنيل الخلاص. وبعد جدل ونقاش وخلاف وتسويات انضم بطرس إلى بولس وتغلبت فكرة عدم ضرورة الناموس الموسوي للخلاص.

ولكن هل انتهى الأمر هنا؟

أنصار الشريعة الموسوية ظلوا متمسكين بموقفهم وانتشروا في المشرق وتسموا بتسمية النصارى. أما الذين انتشروا عند الأمم وكثروا في أنطاكيا فهناك تسموا مسيحيين. صار تلاميذ المسيح من بني إسرائيل نصارى وصار تلاميذ المسيح من الأمميين مسيحيون. وهذا الانقسام في الاسم بسبب البيئة المختلفة سيجر كما يقول الأستاذ يوسف درة الحداد في كتابه ***القرآن دعوة نصرانية*** إلى انقسام في العقيدة.

فكان منذ البداية أن أتباع المسيح مسيحيون ونصارى[٤].

لقد قبل النصارى المسيح لكنهم كما يقول القديس جيروم حافظوا على شريعة موسى وآمنوا بالبعث والقيامة والإله الواحد وابنه يسوع المسيح. وظلوا يستخدمون إنجيل العبرانيين (إنجيل متى) و إنجيل الإثني عشر باللغة الآرامية. وظلوا يلتزمون شريعة موسى والختان وتقديس السبت والعيش على النباتات وفوق ذلك يرفضون بولس وتعاليمه.

كانت شيعة النصارى أول بدعة تظهر عند انتشار المسيحية في الشرق. لم تستطع النصرانية أن تمتد إلى الغرب حيث بلاد الأمم والوثنيين لأن بولس وتلاميذه تمكنوا من ترسيخ فكرة الخلاص عبر الإيمان بيسوع المسيح دون الالتزام بشريعة موسى وناموس اليهود والتوراة.

هذه النصرانية كانت ردة نبه إليها بطرس في رسالته وموضوعها: الكفر بإلهية المسيح والكفر بالفداء في صلبه وينتج عن ذلك الكفر بالثالوث والكفر بالتجسد. هذه هي عقيدة النصارى التي سادت في القرون الستة الأولى من الفترة المسيحية.

التزم النصارى إنجيل متى العبراني. ونسبوا أنفسهم إلى يعقوب الرسول. واعتبروا أنفسهم إسرائيليين مخلصين. ولكن بعد وفاة يعقوب سنة ٦٢ للميلاد

---

[٤] – انظر الملحق الثاني في آخر الكتاب ففيه نص مفصل بهذا العنوان

وتولي شمعون قيادتهم اتخذوا لأنفسهم اسم الفقراء. تيمنا بقول المسيح: طوبى للفقراء فإن لهم ملكوت السماء. وهي بالعبرية إيفونيم أي الفقير. وهذا هو الإسم الذي يشتهرون به عندما يكونوا متطرفين في تمسكهم بالشريعة والتوراة والناموس. فأنكروا ألوهية المسيح ورفضوا الميلاد البتولي لكنهم صدقوا حلول الروح القدس على يسوع عند العماد. وانضم إلى هؤلاء الإيفونيم أو الأبيونيين كما يعرفون بالعربية، بعد خراب أورشليم الأسينيون، فزادوا النصرانية تشيعا للتوراة بعيدا عن الإنجيل. ونبه يهوذا هؤلاء في احدى رسائله إذ قال: *لقد اندس بينكم أناس كتب عليهم القضاء من قديم، منافقون يحولون نعمة ربنا إلى عهارة وينكرون سيدنا وربنا الأوحد يسوع المسيح.* لقد مال النصارى من بني إسرائيل إلى البدعة وتحول الإيمان من التشيع إلى النفاق.

لقد تمايز هؤلاء النصارى عن المسيحيين في نواح كثيرة. ومع الوقت صارت عقيدتهم وكأنها مسيحية غير المسيحية. ووصفها بعض آباء الكنيسة بانها المسيحية اليهودية تمييزا لها عن المسيحية الهللينية التي انتشرت في أوروبا بدءً من اليونان. بقي النصارى في الشرق يقيمون التوراة والإنجيل العبراني ويحفظون السبت وسائر العادات اليهودية ويعتبرون أن الخلاص لا يقوم على الإيمان بالمسيح وحده بل على إقامة شريعة موسى أيضا.

وهم أيضا يختلفون عن اليهود وكذلك عن المسيحيين: فهم كما يشير أبو موسى الحريري في كتاب ***قس ونبي***: لا ينكرون نبوة يسوع كما يفعل اليهود

ولكنهم لا يؤمنون بألوهيته كما يؤمن المسيحيون. انهم الأمة الوسط بين الفريقين، أمة مقتصدة في عقيدتها يقيمون الكتاب كله أي التوراة والإنجيل معا ويؤمنون بموسى وعيسى على السواء.

باختصار هم اليهود الذين آمنوا بيسوع المسيح لكنهم بقوا على يهوديتهم وتوراتهم وشريعتهم وكانوا كما يقول القديس إيريناوس متصلبين جدا في ذلك. ويؤمنون بأن:

- يسوع إنسان من أب وأم لكنه نبي مثل موسى
- يرفضون أكل اللحوم ويرفضون الذبائح
- يلتزمون التوراة وشريعة موسى
- يرفضون التقليد الكنسي
- ويعتبرون بولس الرسول مرتدا عن الشريعة.

الإنجيل الوحيد الذي يلتزمون به هو إنجيل متى العبراني الذي كان مكتوبا بالآرامية ومنتشرا في البلاد السورية. وكانوا يفضلون وصف يسوع بأنه يسوع الناصري واتخذوا اسم النصارى بحسب ما يرى البعض نسبة إلى الناصرة مدينته أو قد يكون مصدره من مناصرة الناموس العبراني.

عندما غالى بعض النصارى وهم الأبيونيون في عقيدتهم صاروا يعتبرون يسوع مجرد إنسان وليس ابن الله كما تعلم الكنيسة وصاروا يرفضون فكرة الصلب متأثرين ببدعة الكيسانية وبعدها تبنوا فكرة الشبه والتشبيه تأثرا ببدعة أخرى

اختلقها الأسقف الغنوصي باسيليدس المعروف أيضا باسم بازيليد[٥] الذي قال إن يسوع رفع إلى السماء ولم يصلب وان سمعان القيرواني صار شبيها بيسوع فأخذه الرومان وصلبوه. واعتبروا أن المسيح فارق يسوع قبل استشهاده والصلب عندهم مجرد رمز قدرة المسيح وليس حقيقيا.

وخلاصة المعتقد النصراني الأبيوني هو التزمت النصي والحفظ بأكثر من الفهم لروح النص. والتمسك بالشريعة القديمة والعودة إلى الجذور والنظر لمن لا يقيمون الشريعة على انهم نجسون. وهم يرفضون لاهوت المسيح فهو عندهم رجل صالح ذو مبادىء وتعاليم (نبي ورسول) يؤمنون بمعجزاته ويرفضون تعرضه للصلب ويرفضون قصة الفداء بمجملها. ويؤمنون بان المسيح سيعود في آخر الزمان. يتطهرون بالوضوء ويشددون على أعمال البر والإحسان والصدقات ويجمعهم العداء الشديد للرسول بولس.

بعد ترسخ بدعة النصرانية في المشرق صار لهم مراكز وأساقفة ومبادىء يبشرون بها:

١. في النبوة والكتاب: من آدم إلى يسوع لكل أمة رسول. والنبي الحق ظهر في المسيح وصدق النبوة والكتاب وفصل شريعة موسى بنسخ الذبائح الحيوانية. لكن يسوع بالنسبة لهم ليس كلمة الله المتجسدة

---

[٥] – كان تلميذا لميناندر الغنوصي وانتقل من أنطاكيا إلى الإسكندرية وكان أول غنوصي مصري

٢. صورة الكون: الكون سبع سماوات كما توضحها قصة إسراء أشعيا وهو كتاب منحول وكذلك صعود المسيح إلى السماء السابعة.
٣. الملائكة مخلوقات من نار وليست أربابا
٤. المسيح في العقيدة النصرانية بشر وليس إلها وربما انه أحد الملائكة المقربين.
٥. الجنة بالنسبة إليهم مليئة بالطعام الوفير والشراب الغزير وكذلك النساء.

بسبب الأبيونيين سيطرت الروح التوراتية على النصرانية وانحرفت عن حقيقة الإنجيل. وعند عامتهم وفقا للحداد فان المسيح ولد من بتول لم يمسسها بشر لكنه ليس إلها وان سموه على سبيل المجاز والاصطفاء أما صفة ابن الله فهي صفة للروح زعيم الملائكة.

لم يعثر على كتب الأبيونيين المقدسة التي كانت مكتوبة في الأصل باللغة الآرامية ومن المحتمل أنها فقدت نهائيا. ولكن بقيت منها شذرات أوردها أبيفانوس في كتبه التي فند فيها مبادئهم، لكن فقد كتبهم قد لا يعني اندثارها.

في كتاب ***القرآن دعوة نصرانية*** يخلص الأستاذ الحداد إلى ما يلي: لقد أعلن السيد المسيح في دعوته أنه ابن الله ففهمها المسيحيون بنوة ذاتية فقالوا بألوهية المسيح وفهمها النصارى من بني إسرائيل بنوة مجازية فقالوا بأن المسيح وإن كان كلمة الله وروحا منه فهو عبد الله لا إبن الله وهذا هو فارق مهم بين النصرانية والمسيحية.

الفصل الثالث

استقلال المشرق العربي

غلبت الروم في أدنى الأرض

إنني أسعى إلى السلام ولم أحرق فارس برغبة مني بل أنت أجبرتني على ذلك.

دعنا الآن نلقي السلاح ونتوجه للسلام. دعنا نطفئ النار قبل أن تحرق كل شيء.

(الإنذار الأخير من هرقل إلى خسرو ملك الفرس في ٦ يناير ٦٢٨)

يمتد المشرق العربي ما بين بلاد الفرس في الشرق حتى صحراء سيناء في الغرب ومن الهضبة التركية شمالا حتى تخوم صحراء الحجاز في الجنوب. في هذه البلاد الشرقية سادت الهرطقات الآريوسية والنسطورية والنصرانية والأبيونية. وكذلك انتشرت فيها بنسبة أقل المسيحية الهيللينية خصوصا في أنطاكيا وساحل فلسطين والديانة اليهودية في تخوم الحجاز وبلاد فلسطين.

تنافس في حكم هذه المنطقة اقوى إمبراطورتين في ذلك الزمان: الروم والفرس. وخاض الجانبان حروبا طويلة امتدت لسنوات عديدة. حصدت الآلاف من الأرواح ودمرت الكثير من العمران. لكنها كانت أحد الأسباب في خلق شعوب مقاتلة صلبة وقوية كانت لها طموحاتها وأحلامها في الوحدة والاستقلال والنزوع نحو السيطرة والهيمنة وفرض سلطانها على ما جاورها.

تشير مرويات التاريخ إلى أن الحروب المتواصلة بين الروم والفرس أنهكت الجانبين. وكان هذا الإنهاك سببا في الانتصارات الإسلامية الساحقة والحاسمة. لكن للتاريخ رواية أخرى. الصورة المختلفة لما ترويه كتب التاريخ يمكن استخلاصها من القراءة ما بين سطور التاريخ والأحداث ومقارباتها مع المنطق العقلاني الذي يزن الأمور بميزان غير عاطفي وبعيدا عن الإنحياز الثقافي.

لا يزال العلماء حتى اليوم يبحثون في أسباب ما يسمى انتصار المسلمين الخاطف والسريع على كل من الفرس والروم. ويحاولون إيجاد الأسباب والعلل التي مكنت العرب من إنجاز تلك "الفتوحات" بتلك السرعة.

نسبوا ذلك إلى الضعف الاقتصادي الذي منيت به بيزنطة وفارس وزيادة التناقضات الداخلية وكذلك غضب وحنق الطبقات المظلومة التي نظرت إلى العرب كمنقذين من نير الاستعمارين الفارسي والبيزنطي.

ولكن: هل يعقل أن هرقل الذي دمر مملكة الفرس وهزمها شر هزيمة واستعاد الصليب المقدس وفرض الصلح على خسرو ملك الفرس هل يعقل أن تهزمه حثالة بدو قادمين من الصحاري العربية؟ هرقل أحد اهم جنرالات الحرب في التاريخ الذي حقق انتصارات لسنوات متواصلة يهزم في مؤتة واليرموك ويخسر سورية بهذه السهولة؟

منذ أيام الإسكندر الأكبر والصراع اليوناني الفارسي محتدم لم يهدأ. و إذ كان في ذلك الوقت صراعا وثنيا فقد صار صراعا دينيا بعد انتصار المسيحية في الغرب وتبنيها من قبل الإمبراطورية الرومانية وبعدها البيزنطية. وقد استخدم كل من الفرس والروم العشائر العربية في العراق والشام كحاجز بينهما وحلفاء لهما يقومون أحيانا بالحروب وكالة عن الدولتين الكبيرتين.

انقسم عرب المشرق إلى غساسنة في الشام ومناذرة في العراق. كان الغساسنة حلفاء لبيزنطة وكان المناذرة حلفاء للفرس. وكانت تلك العشائر تزود جيوش الإمبراطوريتين بالرجال في الحروب الخارجية إن لزم الأمر. كان الرومان يستعينون بالعشائر العربية لقطع دابر الصعاليك وقطاع الطرق. فحالف الروم شيوخ العشائر ودفعوا لبعضهم قسما من السلطة على بادية الشام بصفة شيوخ

وملوك[٦]. وقام الروم بمحاولة توطين بدو الشام وإدراجهم كمرتزقة في جيوشهم. فقد كانت لدى هؤلاء العرب القدرة على حروب الصحراء وضبط المنطقة كما كانت بيزنطة متفهمة للعلاقات العشائرية. كانت القبائل العربية دوما حاجزا بين الروم والفرس وكانوا ينفذون إرادة البيزنطيين في المنطقة مقابل رواتب يحصلون عليها. وعمل العرب كوكلاء للروم على طول الجبهة الشرقية.

كانت بادية الشام بعد تملك الرومان عليها في أوائل التاريخ المسيحي روضة غناء شيد فيها أصحابها المدن العامرة لسكنى الأهلين وابتنوا الحصون لتأمين الطرق والآثار الباقية تنطق بعمران تلك الأصقاع وحضارتها الراقية[٧].

منذ أوائل القرن السابع كانت الحرب سجالا بين الفرس والروم. انتصر الفرس مرارا وكذلك الروم. وصل الفرس إلى مدينة القدس وتوغلوا غربا حتى بلاد مصر. ونهبوا الصليب المقدس وأخذوه إلى ديارهم. يخبرنا التاريخ أن الروم غلبت في أدنى الأرض. وتوج الصراع الفارسي البيزنطي بانتصار خسرو الثاني واحتلال سوريا سنة ٦١٤ ومصر سنة ٦١٨ وتدمير كنيسة القيامة. وأسر الصليب المقدس. لكن الروم بعد غلبهم غلبوا الفرس وسحقوهم واستعادوا الصليب وفرضوا عليهم الصلح. بدأت الانتصارات البيزنطية ما بين عامي ٦٢٢ و٦٢٦ تحول الفرس بعدها إلى الدفاع. في عام ٦٢٦ كانت آخر هزيمة كبرى للفرس

---

[٦] (لويس شيخو، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، نسخة الكترونية)

[٧] المصدر السابق

عندما حاولوا الاستيلاء على القسطنطينية. انتصر هرقل واستعاد الصليب وفرح المؤمنون.

وفي عام ٦٢٧ وصلت قوات هرقل إلى قلب بلاد الفرس واجبرهم على طلب الاستسلام. وفي العام التالي أي في العام ٦٢٨ تم الصلح بين الجانبين لكن كلا منهما كان منهكا تعبا يائسا من القتال ساعيا إلى فسحة سلام وهدوء. أنهكت الحروب الدولتين وسعت كل منهما للانكفاء والابتعاد عن ساحة المشرق العربي.

لقد ترك الفرس العراق للمناذرة بسبب هزيمتهم الكبيرة أمام البيزنطيين. وترك البيزنطيون بلاد الشام بسبب تعبهم من الحروب ورغبتهم للتفرغ لحروب جديدة في منطقة أرمينيا. لم يخرج البيزنطيون من سوريا بسبب غزو عربي أو فتح إسلامي ولم تكن هناك أي مواجهات.

مع الهزيمة القاسية التي تعرض لها الفرس عام ٦٢٢ وما تلاها من إحراق معبد النار الأكبر سنة ٦٢٣ بمساعدة القبائل العربية النصرانية حتى نهاية الحرب ومقتل كسرى أبرويز عام ٦٢٨ دخل هرقل عاصمة الفرس وقلب حكم خسرو الثاني وكان مطلبه استعادة خشبة الصليب فاستعادها وأعادها إلى القدس. وبمعركة نينوى آخر معارك هرقل مع الفرس تم دمار الإمبراطورية الساسانية ومعها كذلك النخبة الزرادشتية.

لا أحد يعرف على وجه الدقة تفاصيل معاهدة الصلح بين الفرس والروم عام ٦٢٨ التي توجت انتصارات هرقل وتدمير مملكة الفرس، *وربما لو قرأنا تفاصيل صلح الحديبية لتلمسنا بعض خيوط الفهم لهذه المعاهدة.* ولكن باستقراء أحداث التاريخ التي تلت يبدو أن أهم بنود الصلح كانت ترك الإقليم العربي من قبل الفريقين. انسحاب الفرس وكذلك انسحاب الروم من المشرق العربي ترك البلاد في فراغ سياسي وأمني قام العرب بملئه. فأقاموا فيها الحكم الذي يريدون والشريعة التي يرتضون.

لقد منح هذا الصلح الذي جاء نتيجة انتصار الروم عرب سوريا وعرب العراق الحكم الذاتي الذي سعوا إليه *ولنتدبر هنا دولة المدينة*. وفي عام ٦٣٦ أتمت قوات بيزنطة انسحابها الكامل من بلاد الشام. لم تبق في البلاد سوى بضع حاميات من رجال القبائل المحلية. فتلاشت سلطة الاحتلال وشجع شيوخ القبائل على الاستقلال واستلام الحكم بعد مخاض طويل. بانسحاب البيزنطيين اتباع المسيحية الهيللينية فسح المجال أمام العقائد النصرانية الشرقية للانتعاش والانتشار. وفتح المجال لزعماء القبائل لأخذ زمام الحكم مباشرة. فانفرد الغساسنة (*بقيادة معاوية*؟) بحكم الشام وانفرد المناذرة (*بقيادة علي*؟) بحكم العراق. هذه الظروف أعطت دفعة قوية للزعماء المحليين في المنطقتين العربيتين سوريا والعراق للاستقواء وانتزاع الاستقلال المنشود.

الظروف الجيوسياسية التي سادت المشرق العربي بعد معاهدة الصلح بين الفرس والروم لا تترك مجالا لأي معارك أو غزوات عربية أو إسلامية قدمت من الجزيرة العربية. فلا يمكن أن يهزم الروم بتلك السهولة التي ترويها المصادر العربية الإسلامية. قائد مثل هرقل لا يستسلم بسهولة. ولو هزم في معركة فلا يمكن إلا أن يعود بهجوم مضاد ويستعيد البلاد التي ضحى بالغالي من اجل تحريرها من الفرس. فكيف يتركها بسهولة لغزاة من البدو جاءوا من الفيافي يحاربوه بسيوفهم بعد أن كان يستعملهم مرتزقة في جيوشه؟

هناك الكثير من علامات الاستفهام تحيط بالمعارك التي تحدثت عنها المصادر الإسلامية. كما أن نظرة متفحصة لخريطة المعارك المفترضة تثير العديد من التساؤلات. وعلى افتراض أن الغزاة المسلمين جاءوا من الحجاز ليواجهوا الروم فهل يعقل أن يستولى الغزاة على دمشق سنة ٦٣٥ بينما معركة اليرموك على بعد مئة وخمسين كيلومترا جنوبي دمشق التي أجبرت هرقل على مغادرة سوريا وقعت عام ٦٣٦؟ وبعدها تسقط القدس عام ٦٣٨؟ المنطق يقول أن يحدث العكس. أن تقع معركة اليرموك وينهزم الروم ثم يزحف الغزاة على دمشق. أما أن يحدث العكس فإن في هذا شبهات كثيرة ويلقي كثيرا من ظلال الشك على الرواية الرسمية.

كما أن المنطقة المفترضة على أنها ساحة معركة اليرموك لا يمكن أن تكون ساحة معركة حاسمة خاصة أنها منطقة جبلية ومنحدرة وبعيدة نسبيا عن

قلب الشام. حقائق التاريخ التي لم تكشف بالتفصيل بعد تشير إلى أن كل تلك المعارك قام بها الحكام الجدد ضد مراكز قوى محلية عارضت حكمهم وربما كانت توالي الروم أو ربما كانت تعارض عقيدتهم النصرانية فأخضعوها بالقوة. لكن الرواية الإسلامية فيما بعد وعند نسج ملامح التاريخ بأثر رجعي صورت تلك المعارك الصغيرة على أنها معارك كبرى وانتصارات حاسمة.

الفصل الرابع

العرب والروم ودولة الأمويين

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون

تشير الرواية الإسلامية الرسمية إلى أن العرب بعد اكتمال الإسلام أخذوا يخضعون البلدان المجاورة باسم الدين الجديد. تتحدث كتب التاريخ العربي عن أسطورة ما يعرف بالإنفجار الإسلامي الذي يشبه التسونامي الذي اجتاح المنطقة فأسقط إمبراطوريتي الفرس والروم ومصر وأقام دولة ممتدة في غضون بضعة عقود من السنوات.

لكن سرا لا يزال بحاجة لتفسير: لماذا بقيت النصرانية في بلاد الشام تحت الحكم الإسلامي مقابل الزوال السريع للزرادشتية في العراق وبلاد الفرس؟ لماذا ينسب لسكان الشام انهم رحبوا بالغزاة المسلمين؟ هل يعقل أن يقبل شعب ما غزو شعب آخر يفرض عليه دينه وعقيدته بكل تلك السهولة التي تروى عن الفتوحات الإسلامية؟

يرى يهودا نيفو في كتابه "***الإسلام على مفترق طرق***" أن المؤلفين في القرن السابع لم يلحظوا أي غزو عربي للأراضي البيزنطية، في بلاد الشام. لم تقع أي معارك كبرى ولم يقع أي غزو أو فتوح أو استعمار. ويقول أسقف نسطوري سنة ٦٥٩ "هؤلاء العرب الذين منحهم الله السلطة على البلاد لا يهاجمون المسيحية بل يحترمونها ويحمون كنائسنا وبيعنا ويحترمون قساوستنا".

المصادر السريانية أيضا التي دونت تاريخ تلك الفترة ليس فيها شيء يذكر عن الفتوحات العربية في أرض الشام. وكذلك المصادر السريانية التي دونت بعد تلك الفترة ليس فيها ما يعرف بالفتوحات.

ومن الغريب أيضا أن تصمت المصادر البيزنطية تماما عن أي فتوحات أو غزوات إسلامية. وهذا بمنتهى الغرابة مع أن الرواية الإسلامية تقول إن المسلمين طرقوا أبواب القسطنطينية وهددوها. وتغيب دلالات الفتح الإسلامي في المصادر المسيحية الغربية. والموجود منها على قلته النادرة لا يزيد عن تلميحات سطحية ليوحنا الدمشقي. كما أن أزيدور الإشبيلي لم يذكر شيئا عن إسلام ذلك الوقت المبكر[٨].

كما أن ما يسمى فتح الأندلس وغيرها من الأحداث المبكرة كالفتوح الإسلامية وموقعة الجمل وصفين وكربلاء وغيرها لا تملك دليل حدوثها خارج رقع المدونات التاريخية الإسلامية. فلا أثار أركيولوجية تؤيدها ولا عملات ولا عمارة أو شواهد قبور تشهد عليها، لا شيء على الإطلاق[٩].

يفسر نادر قريط وهمية الفتوحات الإسلامية على أنها مجرد ذاكرة لأحداث وقعت وليست أحداثا حقيقية بالمطلق. فالفتوحات في رأيه فتوحات للغة كتابية عربية تمددت تاريخيا على حساب ثقافات شاخت. والحضارة الإسلامية في جوهرها حضارة عربية اللسان لكنها فارسية العقل[١٠].

---

[٨] آراء مثيرة حول أصول الإسلام والمسيحية، نادر قريط الأوان، مارس ٢٠٠٩

[٩] – تاريخ إسبانيا وفتح الأندلس، نادر قريط الأوان ٩-٢-٢٠٠٨

[١٠] – مقال في الأوان ١٩-٦-٢٠٠٧

بالتدقيق في تفاصيل التاريخ تبدو ما عرفت بالفتوحات الإسلامية مجرد أساطير. فالفحوصات الأركيولوجية لخط وادي اليرموك تشير إلى أن الروم تركوا المنطقة قبل ذلك بوقت طويل. وكان الغساسنة ينوبون عن الروم في الحكم إلى أن خرج الروم نهائيا وتسلم العرب زمام الحكم.

منذ أن كان الروم والفرس يحكمون المشرق العربي كانت البادية العربية فيما يعرف الآن بجزيرة العرب هي المستودع البشري الذي يزودهم برجال الحرب. فرجال البادية مقاتلون أشداء يبذلون اشد البذل لمن يدفع. وكثير من أولئك المقاتلين استوطن بلاد الشام والعراق بعد أن هدأت الحروب واستقرت الأوضاع إثر خروج قوات الروم والفرس ومنح عرب المشرق نوعا من الحكم الذاتي.

في منتصف القرن السابع شهدت المنطقة نهوض الحكم العربي وبداية الحركة الدينية التي تبلورت اعتمادا على العقيدة النصرانية. في النصف الثاني من القرن الثامن اندمج الاتجاهان السياسي والديني إذ سيطرت الدولة على الدين مما سهل ظهور الإسلام العربي وأسلمة الحكم وتعريب الدين.

تشير الحفريات التي جرت في بلاد الشام إلى أن أغلبية العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية كانوا لا يزالون وثنيين أو على دين النصارى. والوثنيون منهم مالوا نحو النصرانية والتزموا بها. لكن هؤلاء العرب لم يكونوا شديدي التدين. ولم يكن الدين بالنسبة لهم سوى طريقة حياة مثل أي طقوس وثنية أخرى.

لم يشكل وجود هؤلاء العرب في الشام أي تهديد لأصحاب البلاد. فهم كانوا عربا مثلهم من حيث العرق وكان بينهم من يؤمن باليهودية ومن يؤمن بالنصرانية ومنهم من كان وثنيا فمال إلى ديانة أهل البلاد وصار كواحد منهم.

في القرن السابع كان هرقل أقوى وانجح حاكم في العالم. وكان يحكم إمبراطورية واسعة مترامية الأطراف. وقد هزم الإمبراطورية الفارسية ودمر ملكها وسحق عرشها. فهل يهزم في اليرموك بكل تلك السهولة التي ترويها المصادر العربية؟

الذين بحثوا في تفاصيل معركة اليرموك لم يجدوا أي سبب لهزيمة البيزنطيين. كيف ينهزم هرقل الذي خبر الحروب ثلاثين عاما؟ وبحسب التاريخ المروي كان العرب مشغولين بجبهتين فكيف حققوا كل تلك الانتصارات؟ كما أن كتب التاريخ لا تحتوي أي مصدر ولو مصدر واحد يعود إلى القرن السابع يذكر فيه أن هرقل توجه إلى جنوب مدينة القدس أو مدينة مؤتة بالذات أو أنه توجه إلى صحراء العرب بجيوشه ليحارب ثلاثة آلاف عربي خرجوا عليه من بطن الصحراء[11]. ولم تبين الرواية الإسلامية أي سبب أو غرض يدفع هرقل لمحاربة المسلمين بمئة ألف جندي في مؤتة.

---

[11] – آل طلال م صمد، مقال في الحوار المتمدن، ٢٨-٨-٢٠١٣

ما لا تذكره مصادر الرواية الرسمية الإسلامية هو أن الروم والفرس انسحبوا بهدوء بعد أن أنهكتهم الحروب وتركوا العرب لمصيرهم يحكمون أنفسهم في حكم ذاتي مع بقاء بعض الحاميات الرومية الصغيرة التي لم يزد عدد أفرادها عن ألف وخمسمئة رجل في كل البلاد السورية.

لم يكن عرب سوريا بدون زعيم يقودهم. وهذا الزعيم كان *معاوية* الذي عرف في المصادر العربية بأنه *معاوية بن أبي سفيان* الخليفة الأموي الأول. تقدم كتب التاريخ هذا الزعيم على انه مسلم سوق نفسه بما يتوافق مع الرأي العام. وجعلوا منه أحد دهاة العرب بعد مسالة رفع المصاحف على الرماح في قصة صراعه مع *علي*.

لماذا سميت الدولة العربية الناشئة في بلاد الشام بالدولة الأموية؟ لا توجد إجابة وافية لهذا السؤال. المصادر العربية تنسب الأمويين إلى أمية بن عبد شمس ولكن لا توجد تفصيلات تبين كيف انتقلت الأسرة الأموية إلى بلاد الشام. لماذا يستقل الأمويون في سوريا ولماذا يذهب العلويون إلى العراق ولماذا يتركون مكة مهد الإسلام المفترض بحسب المؤرخين؟ لماذا يصمت التاريخ عن بقية الأمويين في الحجاز بعد تأسيس الخلافة في دمشق؟ فلا يعقل أن جميع الأسرة الأموية قاطبة غادرت مكة.

على أي حال هل يكفي أن يكون معاوية ابنا لأبي سفيان ليعين حاكما في دمشق وبعد فترة ما يعرف بالخلافة الراشدة يستفرد بالحكم بكل تلك السهولة؟

على الأغلب كان معاوية قائدا محليا قويا استطاع أن يجمع حوله العشائر العربية النصرانية التي عرفت باسم الغساسنة. وقد تسلم قيادة البلاد عندما انسحبت منها جيوش الروم سنة ٦٢٢ للميلاد وهي السنة التي انتصر فيها هرقل على الفرس وقرر بعدها الانسحاب من البلاد السورية وتركها لأهلها يحكمونها بطريقتهم[١٢]. وقبل معاوية أن يدفع الجزية للروم مقابل تثبيته في الحكم. كان معاوية يدفع للروم جزية بمقدار ثلاثة آلاف قطعة ذهبية بالإضافة إلى الخيول والعبيد[١٣]. ولو صدقنا الرواية الإسلامية أن معاوية كان خليفة المسلمين فهل يعقل أن يدفع الجزية للروم؟ على الأغلب كان معاوية خليفة بمعنى نائب الحاكم البيزنطي أي أن حكمه ليس مطلقا في البلاد وان حكم فهو باسم الإمبراطور.

كان معاوية على ما يبدو زعيما محليا. تحول إلى ملك عند وفاة هرقل ٦٤١. بوفاة هرقل تحقق الاستقلال العربي الكامل فضربت المسكوكات التي حملت عبارة أمير المؤمنين بمعنى مسؤول الأمن أو راعي الأرض. نصب معاوية نفسه أميرا للمؤمنين. وصفة أمير المؤمنين كانت عبارة مسيحية معروفة وهي لقب كان يطلق على الأسقف في بعض الأحيان. ويقول فلهاوزن "في بيت المقدس نصب معاوية نفسه خليفة وصلى بهذه المناسبة في الجلجلة وعند كنيسة الجسمانية وقبر مريم[١٤]. كما أن يوسيبيوس في كتابه الكبير: ***تاريخ الكنيسة***

---

[١٢] – نادر قريط، غولدتسيهر الإسلام وفارس، الأوان ٤–٥–٢٠١٢

[١٣] – هشام حتاتة في الحوار المتمدن نقلا عن كارل هاينز اوليغ ص ٥١

[١٤] – الهاجريون، تأليف باتريشيا كرونة، ترجمة نبيل فياض

يقول: "تجمع كثير من العرب وبايعوا معاوية ملكا. فذهب إلى الجلجلة وجلس هناك وصلى. ثم ذهب إلى الجسمانية ونزل إلى حيث قبر مريم وصلى فيه[١٥]". ويذكر كثيرون أن معاوية ترك نقشا باليونانية يتقدمه صليب وبعدها ظهر الصليب على العملات الأموية[١٦].

لقب السوريون معاوية بالمستنير وتعني حامل النور وهو لقب لأصحاب المراتب العليا. فهل كان مسيحيا؟ نسطوريا؟ نصرانيا؟ على الأغلب كان كذلك. كان نصرانيا يلتزم شيعة النصارى وهي المسيحية اليهودية التي تقيم التوراة والإنجيل معا. إن لقب معاوية يعني في الآرامية البكاء كثير البكاء وهي صفة تصبغ على رجال الدين الذين يخافون الله.

لكن بعض المصادر تشير إلى أن معاوية وأسرته ليست من الغساسنة بل من الساسانيين الفرس الذين كانوا يتبعون الكنيسة النسطورية التي سبق لها ولجأت إلى بلاد الفرس وكان لها أتباع كثيرون هناك. أي أن أسرة معاوية التي تسميها المصادر العربية الأسرة الأموية ليس لها علاقة بصحاري الحجاز أو قريش بل هم فرس عرب تحدروا من حدود بلاد الفرس الشرقية باتجاه فلسطين والشام.

---

١٥ – يوسيبيوس، تاريخ الكنيسة بحسب ما ورد في كتاب: كيف نظر الأولون إلى الإسلام

١٦ – كاظم خضير القاضي الحسني، مقال في الحوار المتمدن، ١٦-١٢-٢٠١٣

من خلال الحكم الذاتي للعرب في سوريا قامت الدولة العربية بزعامة "مع ـ ويه" الذي عرفته المصادر الإسلامية باسم *معاوية بن أبي سفيان*. ونسج له المؤلفون العرب تاريخا ونسبا وجعلوا أسرته من قريش وجعلوا جده *أمية بن عبد شمس* ليكون ندا لهاشم جد *علي بن أبي طالب* الذي ربما كان زعيما لمناذرة العراق وكان نظيرا لمعاوية هناك.

لا يعرف عن هذا الزعيم أي شيء حقيقي، لا عن أسرته ولا عن أهله ووالديه ولا عن مكان ولادته ونشاته. لم يعثر على أي دليل مادي يبين الإسم الحقيقي له وما هي قوميته فهل هو عربي أم فارسي أم مولد من سلالة رومية مثلا؟ وما هو دينه وعقيدته. ولكن مع بداية حكمه زالت فكرة أن الحكام من نسل الآلهة. فصار يطلق على الحاكم اسم عبد الله.

في العام ٦٦١ للميلاد اعترف بمعاوية كحاكم مطلق في سوريا فاحكم قبضته في دمشق وما جاورها واخضع المناطق المحيطة بالشام وقام بتعيين ولاة في فلسطين والحجاز والعراق. ومن كان يعرف بحسب الرواية الإسلامية بالخلفاء الراشدين قد يكونوا مجرد ولاة قام معاوية بتعيينهم. أبرزهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان الذي قتل وثارت بعده فتنة ابن الزبير الذي تحدى خلفاء معاوية وكانت معركته مع عبد الملك.

وإذ أصبح معاوية أول حاكم عربي بعد خروج الروم ثبت مركزه في دمشق وقام بإخضاع كل من حاول التمرد أو الاحتجاج ضد حكمه. وربما كانت معاركه

ضد القوى المحلية التي عارضته في بداية حكمه هي المعارك التي ضخمتها الرواية الرسمية للمؤلفين العرب في معارك أسمتها اليرموك ومؤتة وفتح دمشق وسقوط القدس وغير ذلك من المعارك الوهمية التي تتحدث عنها المصادر العربية. وقد تكون المعارك التي عرفت باسم حروب الردة هي غزوات قامت بها قوات معاوية لإخضاع مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

حكم معاوية وأولاده ثلاثة وعشرين عاما انتهى بعدها حكم ما يعرف بالفرع السفياني من الأسرة الأموية انتقل بعدها الحكم إلى ما يعرف باسم الفرع المرواني الذي بدأ فعليا من عبد الملك بن مروان. ولكن ما هي علاقة معاوية بأبي سفيان صخر بن حرب الذي تتحدث عنه الروايات الإسلامية؟ هناك رواية تقول إن أمية بعد صراع مع هاشم في الحجاز تم نفيه إلى الشام. لكنها رواية ضعيفة لا يعتد بها وإنما اختلقت لإيجاد مبرر لوجود بني أمية في الشام.

يشكك البعض بنسبة معاوية إلى أبي سفيان ويقولون إنها مجرد اختراع لإعطاء معاوية نسبا قرشيا يضاهي به نسب علي الهاشمي الذي اختلقت له أيضا سيرة ونسب وسلالة شريفة. وجعلوا أم معاوية هند بنت عتبة التي بحسب المرويات الإسلامية تلتقي أحد الكهان الذي يقول لها إن أحد أبنائك سيكون ملكا. وفي المقابل نسبت المرويات إلى هند أم معاوية قصة أكل كبد حمزة عم النبي للإساءة إليه.

لكن فضل معاوية الكبير كان إقامة الدولة العربية الأولى المستقلة التي وصفت بانها دولة الأمويين. فمن هم هؤلاء؟ من أين جاء وصف الأمويين؟ لماذا وصفت به أسرة معاوية ومن خلفه من أولاده وأولاد أعمامه؟ قد تكون الكلمة تصحيف من كلمة أميين. فالأميون أو الأمم بحسب التعبير الكتابي هم الوثنيون من غير اليهود. ولأن اللغة العربية لم تكن ناضجة بما يكفي في القرن السابع ربما اختلط الأمر على المؤلفين العرب فنسبوا معاوية وأولاده إلى الأمم أو الأميين فكان أن صارت الكلمة أمويين. ولم يلتفت أحد للتصحيف وبخاصة أن سلالة الأمويين نهض لها من الطرف الآخر من البلاد في الشرق أسرة آل هاشم تنافحها وتحاول تقويضها ونجحت بإسقاطها في نهاية المطاف.

بعد أكثر من عقدين من حكم أسرة معاوية جاءت الأسرة المروانية وأبرز حكامها كان عبد الملك بن مروان الذي حكم عشرين عاما كانت كافية ليقوم بكل ما قام به ويتغير مسار التاريخ إلى الأبد.

الفصل الخامس

عبد الملك بن مروان

اكتمال الدولة وبداية الإسلام

الذين إن مكناهم في الأرض

أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر

يرى البعض أن عبد الملك بن مروان قد يكون شخصية جاءت من الشرق ذات أصول ساسانية وتولى الحكم بعد أسرة معاوية. واليه ينسب الفضل في تثبيت دعائم الدولة الأموية. لكن لم تكن الدولة الأموية اهم إنجازات عبد الملك. شخصية عبد الملك المتحفزة المتوثبة للسلطة والسيطرة وقوة شخصيته وكاريزميته جعلته يلتفت إلى احدى اهم الضرورات اللازمة لضمان وحدة الدولة لإكمال السيطرة في المنطقة وكذلك ردع القوى الخارجية المجاورة له.

ويمكن أن يكون عبد الملك نصرانيا أو نسطوريا[١٧] من بلاد الفرس جاء ليحكم في دمشق بعد أسرة معاوية. فالإسم ابن مروان يعني الرجل الذي من ***مرو*** وهي منطقة فارسية. لكن هذا الأمر غير ثابت بصورة قطعية. وعندما تسلم الحكم ضرب عملة ونقش عليها صورة لرجل وبيده سيف العدالة الناري للمسيح وكتب إلى جانب الصورة بالآرامية: هلفت الله وهي تعني: خليفة الله[١٨]. كما أن العملة التي ضربها عبد الملك ثبت عليها عبارة توحيدية هامة مأخوذة من الناموس اليهودي: "اسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد[١٩]" وبالعبرانية يهوه آخاد Shema Yisrael Yahweh Elohenu Echad وترجمتها كانت: قل هو الله أحد[٢٠].

---

[١٧] – التجا النساطرة إلى مملكة فارس وأصبح مذهبهم المذهب الرسمي للكنيسة الفارسية، تاريخ الكنيسة الشرقية للمطران ميشيل يتيم والأرشمندريت أغناطيوس ديك من منشورات المكتبة البولسية بيروت لبنان

[١٨] – آل طلال م صمد الحوار المتمدن ٦-٢-٢٠١٤

[١٩] – سفر التثنية فصل ٦ آية ٤

[٢٠] – في سورة الإخلاص بحسب القرآن العثماني.

وفي الوجه الآخر: لا إله إلا الله وكتب حول الطوق: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق.

انتبه عبد الملك إلى البيئة الدينية التي كانت سائدة في البلاد السورية. وربما لفت نظره ذلك التشظي الذي أصاب دين النصارى من حيث كثرة الفئات عندهم واتساع الفجوات بينهم. كان النصارى كما ذكر في فصل سابق تناول الهرطقات في القرون الأولى متمسكين اشد التمسك بشريعة موسى والناموس اليهودي. وكانوا يمثلون المسيحية اليهودية في مواجهة المسيحية الهللينية وبالتالي المسيحية المشرقية في مواجهة المسيحية الغربية التي تمثلها بيزنطة. ومع أن الدولة العربية الناشئة كانت بالكاد قد خرجت من عباءة الهيمنة البيزنطية إلا أن الأمر على ما يبدو راق لهذا الزعيم وتفتق ذهنه عن فكرة توحيد هذه المذاهب النصرانية على دين واحد يكون متوافقا مع دين موسى بحجة أن يسوع المسيح جاء ليكمل الناموس وبحجة أن المسيحية الهللينية انحرفت عن رسالة المسيح الأصلية وان الرسول بولس ارتد عن الإيمان القويم وصار من الواجب الآن الاقتداء بالأمة من بني إسرائيل التي آمنت بالإنجيل.

لا يوجد أي نص يثبت أو يشير بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى أن عبد الملك بن مروان طلب من اكليروس النصارى أن يجمعوا له نصوصا يتم ترتيبها على شكل كتاب مصحف يعتمد في القراءات اليومية للصلاة يكون بمثابة الإنجيل النصراني في مواجهة الإنجيل اليوناني. كما لا يوجد أي إشارة في أي

مرجع كان أن مثل هذا الكتاب اكتمل في عهد عبد الملك أو انه اتخذ شكلا نهائيا.

على ما يبدو تم جمع القراءات من نصوص سريانية كانت تستخدم في الطقوس الليتورجية اليومية والأسبوعية. وكان الغرض من هذه الكتابات أن تكون مفندة للعقيدة المسيحية الهللينية في المسيح وناقدة لقانون الإيمان الذي أقره مجمع نيقية وكذلك مثبتة ومؤكدة للعقيدة الموسوية في التوحيد والشريعة. وكما كان الإمبراطور في الغرب راعي الكنيسة الغربية صار عبد الملك رئيس الكنيسة الشرقية النصرانية. وكان شديد الاهتمام ومتمسك كثيرا بان تكون هذه النصرانية *متوافقة إلى* حد *التسليم* مع الشريعة الموسوية من حيث التوحيد الخالص والالتزام بطقوس تلك الشريعة من ختان ووضوء وصلاة وصوم وزكاة. وجعلت قبلة الصلاة نحو هيكل الرب في بيت المقدس.

لكن الهيكل كان مدمرا ومجرد أطلال. فما كان من عبد الملك إلا أن بنى هيكلا مصغرا عرف باسم مسجد قبة الصخرة جعله مركزا وقبلة ولم يجعل فيه محرابا وجعل الصخرة التي قيل إن يسوع جلد عليها أو صعد منها إلى السماء في داخل القبة. واستغل جدران مسجد قبة الصخرة الداخلية وكذلك الخارجية لوضع آيات من الكتاب الجديد تناوىء الإيمان النيقاوي وتشدد على إيمان النصارى فيما يتعلق بشخصية المسيح البشر الإنسان النبي الذي رفعه الله إليه.

كان اليهود يتجهون في صلاتهم نحو هيكل الرب في أورشليم. وأراد النصارى أن يتجهوا في قبلة صلاتهم إلى المكان ذاته. ولما كان الهيكل مدمرا وخرابا قام عبد الملك بإعادة بنائه وابتدأ بمسجد قبة الصخرة وجعلها قبلة صلاة وكعبة حج. واستغل عبد الملك جو الانفتاح الديني الذي كان سائدا فنقش على جدران القبة من الداخل نصوصا تتحدى عقيدة نيقية وتعلن عقيدة النصارى في بشرية يسوع وإنكار التثليث والفداء والتجسد والصلب والخلاص.

لماذا بنى عبد الملك بن مروان مسجد قبة الصخرة وجعلها قبلة للصلاة ولم يتخذ مكة كذلك؟ بكل بساطة لان مكة لم تكن شيئا مهما في ذلك الوقت كما أن سلطانه لم يكن ممتدا إلى هناك[٢١]. ربما كانت مدينة قائمة وفيها كعبة ويطوف حولها الناس للتبرك والصلاة. وربما كان في مكة نصارى انتشرت عندهم العقيدة الجديدة والكتاب الجديد. ولكن نهض في مكة زعيم يناوىء عبد الملك ويدعي الملك وحماية الدين. وجعل من كعبة مكة قبلة حج يطوف حولها المؤمنون. فما كان من عبد الملك إلا أن بنى مسجد قبة الصخرة وجعله كعبة للطواف من الداخل والخارج وقبلة للصلاة.

استفرد زعيم مكة بالسلطة فيها وجعل كعبتها قبلة ونازع عبد الملك. وكأنه أراد أن تكون الزعامة للحجاز بدلا من الشام. فأهل الحجاز الذين عملوا في جيوش بيزنطة ومن بعدهم في جيوش الدولة الناشئة ومن ثم عادوا إلى موطنهم

---

[٢١] – سيكون تفصيل هذا في الفصل التالي

أرادوا أن يكون لهم شرف القيادة والزعامة. وصفت بعض المراجع زعيم مكة الذي عرف باسم عبد الله بن الزبير بانه كان مزيجا عجيبا من عدد من العناصر يحركها طموح شخصي وصراع قبلي التقتا في نفسه وشخصيته. وقد جرد عبد الملك حملة عسكرية قاسية ضد ابن الزبير ودمر كعبة مكة وأسقط تمرد ابن الزبير.

ولكي يصرف عبد الملك بن مروان أذهان الناس عن كعبة مكة أثناء قتاله ابن الزبير بنى مسجد قبة الصخرة. وجعل ثمة قداسة كبرى لبيت المقدس مع أنها لم تكن تحظى باي قداسة أو مجرد أي اهتمام. ومع اكتمال بناء مسجد قبة الصخرة كان الإسلام الذي نسق جهوده عبد الملك قد تبلور ولكن ليس كدين مستقل ولكن كمحاولة لبلورة النصرانية السائدة وإحياء ملة إبراهيم.

لقد جعل مسجد قبة الصخرة مسجدا بثمانية أضلاع وقبة عريضة بدون أي محراب يتوجه نحو كعبة مكة لأنه هو الكعبة التي كانت قبلة للصلاة. كما كانت وفق طريقة البناء هدفا للطواف حولها بدلا عن كعبة ابن الزبير. وكان في المبنى اثنا عشر عامودا تشير إلى أسباط بني إسرائيل. أما الصخرة فهي التي صعد منها يسوع إلى السماء وقيل كذلك أنها الصخرة التي صارع فيها يعقوب الرب وفق ما يذكر العهد القديم.

بنيت قبة الصخرة على نمط كنيسة بيزنطية لتكون مهوى أفئدة النصارى ومضاهاة لكنيسة القيامة. ولم ترتبط قبة الصخرة بقصة الأسراء والمعراج إلا في القرن الثامن الميلادي عندما ظهرت قصة الأسراء في الموروث الإسلامي[٢٢]. أما في زمن عبد الملك وبداية الإسلام فقد كانت تحتوي آيات لا علاقة لها بالإسراء والمعراج. والآيات المنقوشة الآن أضيفت[٢٣] في أيام السلطان العثماني عبد الحميد عام ١٨٧٦ وليست هي آيات النقش الأصلية.

مع بناء مسجد قبة الصخرة في القدس التي قصد منها أن تكون قبلة النصارى في مواجهة كنيسة القيامة قبلة المسيحية الهللينية الأرثودوكسية بدأت الأوضاع تتغير وبدأت النصرانية العربية تأخذ شكلها وصورتها. وان لم يكن يقصد منها أن تكون دينا مستقلا إلا أنها سارت في هذا الاتجاه بموجب تصاعد الأحداث بصورة ربما لم يقصدها عبد الملك ولا خلفاؤه من بعده لكنها هكذا حدثت. فإن كانت كنيسة القيامة للمسيحيين الهللينيين فإن قبة الصخرة للعرب النصارى المتهودين بزعامة عبد الملك بن مروان.

بني مسجد قبة الصخر على جبل الهيكل حيث كان هيكل اليهود الذي دمره الرومان. والقصد كان رغبة عبد الملك لإثبات تفوق عقيدته على اليهود وعلى المسيحيين. وفرض على اتباع العقيدة التوجه في صلاتهم نحو بيت

---

٢٢ – مقال بقلم أرنست مارتن عام ١٩٩٩ في موقع www.ask.com

٢٣ – جاي سميث: القرآن المنحول، نسخة الكترونية.

المقدس. وقد ظلوا على ذلك ست عشرة سنة كما يذكر الموروث الإسلامي وقبل تحويل القبلة نحو مكة بعد السيطرة عليها وإعادة بناء الكعبة التي دمرها الحجاج أثناء الحرب مع ابن الزبير.

فالآيات التي نقشت في الأصل قصد منها مجادلة المسيحية الهللينية من حيث طبيعة السيد المسيح وإنكار ألوهيته وبنوته لله وإقناع الناس بعقيدة النصارى في بشرية يسوع. تحمل تلك الآيات شهادة التوحيد ولكن بقصد مختلف. فمن حيث هي ترجمة لنص سرياني كان معروفا في الأصل عند نصارى الشام تبدو وكأنها شهادة التوحيد الإسلامية الحالية. لكن مراجعة النص بتمعن تعطي معنى مختلفا.

الآيات صارت من سورة مريم وتتحدث عن بشرية يسوع المسيح معلنة أن عيسى ابن مريم رسول الله وعبده وليس ابنه على أي حال. ما نقش على جدران قبة الصخرة في عصر عبد الملك يؤكد على فصل النصرانية نهائيا عن بيزنطة ويرسم الحدود الجديدة بينها وبين باقي الأديان الإبراهيمية[٢٤]. صحيح أن النصرانية هي المسيحية اليهودية المسلمة لشريعة موسى وناموس اليهود لكنها مختلفة من حيث إيمانها بالمسيح النبي البشر.

---

[٢٤] – حمود حمود، محمد واتباعه مؤمنون ومسلمون، الأوان.

ينكر النص المنقوش على جدران القبة من الداخل عقائد التجسد والفداء والخلاص ويعرض بما يسميه الغلو المسيحي في تأليه يسوع وهذا بسط لعقيدة النصارى في المسيح. ويرى كريستوف لوكسنبرغ صاحب كتاب ***قراءة سريانية للقرآن*** أن نقش قبة الصخرة نص نصراني بامتياز يتحدث عن يسوع وكلمة محمد ليست اسم علم هنا لكنها تعني تحميد وتمجيد عبد الله ورسوله عيسى. فالنصارى في الشام كانوا يرون يسوع مجرد خادم وعبد لله ورسول مع انه كلمة الله وروح منه أيضا. لكن نصرانية الشام كانت تنأى عن التأليه والغلو وتلوم المسيحية الهللينية وخاصة بعد مجمع نيقية على تأليه يسوع وجعله ابنا لله ومساويا له.

يورد لوكسنبرغ نقلا عن غرابر تفاصيل النص الذي نقشه عبد الملك على جدران مسجد القبة. طبعا هذا النص نقش بالترجمة العربية المنقطة وليس بالأصل السرياني الذي كتب فيه لو كان مكتوبا على شكل آيات في القراءات المجمعة.

تبدو آيات قبة الصخرة التي وضعها عبد الملك بن مروان التحدي النصراني للمسيحية الهللينية. مؤكدا في هذه الآيات على إنسانية يسوع وبنوته على الطريقة الإبراهيمية واصفا إياه بالرسول والعبد. وتبدو من ناحية ثانية وكأنها بيان من زعيم ديني موجهة إلى اتباع دين أخر يجادلهم في عقيدتهم ويطالبهم الإيمان بما يؤمن به. وقد أضيفت فيما بعد إلى النص القرآني كما هو معروف.

يبدا النص بالبسملة التي كانت معروفة عند السريان، "*بشم ألوهو رحمانو رحيمو* ". وهي هكذا باللغة العربية[٢٥]:

١. *بسم الله الرحمن الرحيم/لا إله إلا الله وحده لا شريك له/ له الملك وله الحمد/ يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير*/ هذا المقطع يتطابق مع القرآن آية ٢ سورة الحديد.

٢. محمدٌ *عبد الله ورسوله/ إن الله وملائكته يصلون على النبي/يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما/صلى الله عليه والسلام عليه ورحمت الله/* جزء من المقطع يعود للقرآن (الأحزاب آية ٥٦).

٣. *يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق/* ***إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه/فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة/ انتهوا خيرا لكم/ إنما الله إله واحد/سبحانه/أن يكون له ولد****/له ما في السماوات وما في الأرض/وكفى بالله شهيدا* (النساء آية١٧١)

٤. *لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون/ومن يستنكف من عبدته ويستكبر فسيحشركم إليه جميعا*/ (النساء آية ١٧٢).

---

[٢٥] – من مقال نادر قريط البدايات المظلمة للإسلام الحوار المتمدن ٢٠١٠

٥. *اللهم صلي على رسولك وعبدك عيسى ابن مريم/ والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حيا/ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه تمترون/ما كان لله أن يتخذ من ولد/إذا قضى أمرا يقول له كن فيكون/إن الله ربي وربكم فاعبدوه/هذا صراط* مستقيم (مريم آية ٣٣. ٣٦).

وثمة مصادر أخرى تورد نصوصا إضافية من مثل: *قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، محمد رسول الله صلى الله عليه إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا*.

التساؤل الكبير يبرز هنا عن سبب كراهية نصارى الشام للمسيحية الهللينية؟ فالبيزنطيون الذين انسحبوا من البلاد ومنحوا أسرة معاوية فرصة الحكم يفترض أن يكونوا حلفاء لهذه الأسرة. والتحالف السياسي قد يستتبع تحالف ثقافي وديني. ولكن يبدو أن الاستقلال العربي لم يكن بكامل إرادة البيزنطيين وانما كان قبولهم به قبول الأمر الواقع.

فالتاريخ يخبرنا أن معاوية الذي دفع الجزية للبيزنطيين في فترة ما عاد وحاربهم في الثغور وكذلك فعل عبد الملك. وبما انه كان متسلحا بعقيدة منتشرة وسائدة ولها مؤيدوها وأنصارها في البلاد تجرأ وواجه العقيدة المسيحية التأليهية

التي تبناها مجمع نيقية. وعندما لم تكن عقيدة أهل الشام واضحة وسائدة وليس لها كتاب وقيادة لم تأبه بها الدولة البيزنطية. ولكن بعد تجميع النصوص الكتابية في مصحف قراءات على المذهب النصراني بدأت مخاوف بيزنطة وربما بتحريض من المسيحيين في القدس. فكان تحدي عبد الملك ببناء قبة الصخرة وإثبات إنسانية يسوع وبشريته عبر بيان أضيف فيما بعد إلى مصحف النصارى على شكل آيات في سور متناثرة عبر الكتاب.

اشتداد كراهية عبد الملك ورعاياه للدولة البيزنطية وعقيدتها ربما كان نابعا من هزائمهم المتكررة أمام قوات بيزنطة. فكان الانتقام عبر الفصل النهائي مع عقيدة بيزنطة وإثبات انتساب العقيدة النصرانية المسلمة للشريعة الموسوية والناموس التوراتي على ملة إبراهيم. من هنا نفهم عبارة عبد الملك على جدران قبة الصخرة: *إن الدين عند الله الإسلام* قاصدا مخاطبة بيزنطة بان دينه هو الصحيح لأنه يتطابق مع اليهودية والعهد القيم بينما دين بيزنطة يناهض اليهودية.

بعد القرن السابع وعند بداية الثامن احتاج القادة السياسيون الذين أقاموا الدولة إلى عقيدة دينية لتوحيد الإمبراطورية الجديدة. فبدأ الأمويون الذين أسسوا تلك الدولة يتحدثون أكثر عن الإسلام ونبي الإسلام وكتاب الإسلام. كانت الإمبراطورية الأموية بحاجة إلى بطل أسطوري تقيم الدولة عليه. ولمنافسة ديانة

الروم والفرس احتاج الأمويون إلى الإسلام الذي سيضمن لهم ولاء الشعوب[٢٦]. وتقدم الأيدولوجية السياسية أفضل تفسير لاختلاق الدين. فالإمبراطورية العربية احتاجت ذلك لضمان السيطرة على مساحات واسعة ضمتها إليها فكانت المظلة الدينية التي تبنتها هي الأداة التي تخضع لهم الشعوب وتوحدها في ديانة تجمع ما بين اليهودية والمسيحية ولكن ببساطة شديدة لا ترهقهم لا فكريا ولا ماديا.

طوال عهد الأمويين ظل الدين الجديد وان لم يعرف على انه دين مستقل ظل مرتبطا بالإبراهيمية باليهودية بصورة أو بأخرى إلى أن وقع الانفصال التام بعد انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية في منتصف القرن الثامن وقيام الإسلام الرسمي.

---

[٢٦] Robert Spencer: Did Mohammad Exist

الفصل السادس

كعبة مكة وقبلة القدس

أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها

إلا لنعلم من يتبع الرسول ومن ينقلب على عقبيه

وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض

كانت قبة الصخرة التي بنيت على جبل الهيكل قبلة الصلاة للنصارى. وكانت الدولة الأموية محدودة في بلاد الشام. وكانت محاولات عبد الملك في التوسع نحو الحجاز قد اصطدمت بثورة ابن الزبير الذي كان يتبع النصرانية على ملة إبراهيم أيضا ويريد أن يكون مركزها مكة وجعل فيها كعبة يحج إليها الناس للتبرك والصلاة.

في الوقت الذي جعل فيه ابن الزبير مكة مركزا دينيا وبنى كعبتها كان عبد الملك يبني قبة الصخرة في القدس. وحيث لم يعجبه تفرد ابن الزبير في مكة فقد أرسل إليه أحد اشد قادته قسوة: الحجاج بن يوسف.

وصل الحجاج مكة وحاصرها وقصف الكعبة بالمنجنيق ودمرها. وقتل ابن الزبير اشد قتلة. تقول لنا الروايات التي كتبت فيما بعد انه بعد أن قتله قطع راسه وأرسله إلى عبد الملك وعلق جثته مصلوبة أياما عدة إلى أن تشفع له عبد الله بن عمر على ما تقول الروايات إذ قال للحجاج: أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟ فانزله وتم دفنه.

لماذا كان ابن الزبير يرى نفسه أحق بزعامة النصارى؟ في الواقع إن هذا الإسم قد لا يكون حقيقيا. ولكن الحقيقي أن زعيما من زعماء الحجاز اتخذ مكة مركزا ونازع الأمويين السلطة الدينية والسياسية. وبعد أن فرض الحجاج سيطرة عبد الملك على مكة وعبرها على الحجاز كله، وتخلص من كل أعوان ابن الزبير قام اكليروس عبد الملك بمراجعة ما كان ينادي به ابن الزبير ويعلنه

للناس. لقد كان لدى ابن الزبير كتابه الذي يبشر به بين الناس فتبناه عبد الملك وضمه إلى كتابه الذي جمعه في الشام. وبحكمته وحنكته وبمكر الحجاج ودهائه تم تحويل قبلة الصلاة من قبة القدس إلى كعبة مكة حتى لا تكون كعبة ابن الزبير هدفا يقسم المؤمنين[٢٧] ولكي يكسب قلوب وعقول أهل الحجاز الذي كان بأمس الحاجة إلى سيوفهم في تعضيد ملكه وفرض سطوته على ما جاوره من بلدان وشعوب.

بحسب المرويات الإسلامية كانت مكة مهد الإسلام. ولكن الغريب أنها لم تذكر بهذا الإسم ولا بهذه الصفة طوال الفترة السابقة على انتصار عبد الملك على ابن الزبير وضم الحجاز إلى مملكة الأمويين. كما أن اسم مكة لم يذكر[٢٨] في المصادر غير الإسلامية المعاصرة للفترة التي يقال إن الإسلام الرسمي ظهر فيها. وتقول بعض المراجع الحديثة التي بحثت في قصة مكة أنها ليست كما ذكرت المرويات الإسلامية المتأخرة. فهي لا تقع على طريق التجارة بين اليمن والشام بل كانت القوافل تمر على بعد مئة ميل منها. ولو كان هناك مدينة عامرة في مكة وذات تجارة واسعة ورجال أعمال كبار فمن المفترض أن يكون لها ذكر في سجلات عملائهم الذين كانوا يزودونهم بالبضائع والسلع[٢٩].

[٢٧]– المستشرق مرغليوث، محمد، نسخة الكترونية.

[٢٨] – باتريشيا كرونة، تجارة مكة وظهور الإسلام. نسخة الكترونية.

[٢٩] – المصدر السابق ص ١٣٤ نسخة الكترونية

وإذ تتحدث المصادر الإسلامية عن تجارة قريش مع الروم فإن المصادر البيزنطية لا تذكر شيئا عن أي تجارة مع عرب الحجاز. وبعد بحوث مضنية خرجت الباحثة الأوروبية باتريشيا كرونة[٣٠] بنتيجة خطيرة: إن "محمد" لو كان حقيقيا فإنه لم يظهر في مكة بل في مكان ما في شمالي غربي الحجاز أقرب ما تكون إلى بلاد الشام، وهي تشير أحيانا إلى منطقة ما بجنوبي الأردن.

من الغريب أن يبقى العرب لأكثر من مئة سنة بعد التاريخ المفترض لظهور الإسلام لا يعرفون مكة. لا يوجد أي أثر أركيولوجي يبرهن على وجود مكة قبل فترة عبد الملك بن مروان ولا يوجد أي أثر يدل على أنها كانت ممرا تجاريا مهما ورئيسيا بين الجنوب والشمال. وهي إن وجدت فلم تكن مدينة يسهل الوصول إليها وربما من هذا الباب اتخذها ابن الزبير " أو زعيم نصارى الحجاز" ملجا وحصنا يناوىء منها سلطة عبد الملك.

الرواية الإسلامية تقول إن مكة كانت منذ أيام إبراهيم وإن إبراهيم وابنه إسماعيل هما اللذان قاما ببناء الكعبة. لكن التاريخ لا يذكر شيئا عن مكة حتى القرن الرابع للميلاد. وبعد ذلك ليس هناك أي إشارة في أي مصدر غير إسلامي إلى هذه المدينة إلى أن ذكرت في المرويات الإسلامية على أنها مركز تجاري

٣٠ – المصدر السابق.

مهم ومهد الدين الجديد. كما انه لا يوجد أي دليل على أن مدينة مكة كانت موجود في زمن محمد المفترض[٣١].

وبحسب سليمان بشير هناك من الحقائق والأدلة التاريخية ما ينبه إلى أن دخول مكة الإسلام وتحولها إلى أهم مركز لشعائره وإلى عاصمته الدينية على الإطلاق لم يتم في الواقع إلا في الربع الأخير من القرن الهجري الأول وربما كان ذلك بواسطة الاحتلال العسكري الأموي المباشر زمن عبد الملك بن مروان.

في بحث طويل ودقيق يستغرب الدكتور رأفت عماري أن مدينة قديمة دينية تعد مركز التوحيد بحسب الإسلام لا ينتبه إليها أحد في القرنين الثالث والرابع خصوصا في ضوء الادعاء بوجود معبد كبير فيها هو الكعبة[٣٢]. مع أن اليونان أحصوا كل معبد على وجه الأرض لكن مكة لم تذكر ولم يعرف شيء عن الكعبة. ولو كان الادعاء الإسلامي بان مكة كمركز لديانة التوحيد موجودة منذ أيام إبراهيم فإنها حينئذ ستلفت نظر العابدين من القبائل العربية وخصوصا في اليمن. كما أنها ستكون محط اهتمام بعثات الإسكندر. ولم تكن أي مدينة أخرى أكثر أهمية منها ليحدثوا عنها زعيمهم الذي عرف عنه اهتمامه الشخصي بالأديان وبتاريخ الشعوب[٣٣]. كما انه من المستغرب أن اسم مكة مفقود من على الخرائط القديمة. صحيح أن الخرائط لا تبين كل مدينة وقرية وناحية ولكنها

---

٣١ – Was Mohammad Real?

٣٢ – مكة في ضوء التاريخ، رأفت عماري، نسخة الكترونية.

٣٣ – المصدر السابق.

بالتأكيد تذكر وتشير إلى الأماكن المهمة المشهورة. من العجب انه ليس من خريطة واحدة قبل عام ٩٠٠ للميلاد ذكرت اسم مكة[٣٤].

تقول باتريشيا كرونة في كتابها: ***تجارة مكة وظهور الإسلام***، إن مكة كانت بقعة جرداء والأماكن الجرداء القاحلة من الطبيعي ألا تكون محطة تجارية مريحة. وإن وجدت مثل هذه المحطات فقد تتوفر على مسافة مجاورة لمحيط أخضر. فلماذا تنزل القوافل في طريق شديد الإنحدار إلى مكان قاحل مثل مكة بينما بإمكانهم التوقف في منطقة الطائف الخضراء الغناء.

هذا جانب من جوانب البحث العجيب في سيرة مكة. ولكن ثمة حقائق أخرى أكثر غرابة. إن مكة بهذا الإسم قد تكون فعلا مدينة تجارية هامة ولكنها ليست في الموقع الذي هي فيه الآن. فالموروث يقول إن مكة تقع في وادي غير ذي زرع وأن بالقرب منها ثمة مجرى مائي صغير. لكن هذا ليس حال مكة المعروفة اليوم. هذا الوصف ينطبق على مكان آخر قريب من مدينة البترا في جنوبي الأردن. يشير أحد الباحثين إلى أن الكعبة التي دمرها الحجاج قد لا تكون في مكة. بل في منطقة البترا. فهناك وجدوا حجارة المنجنيق ولم يجدوا أي حجارة منجنيق في مكة[٣٥].

---

[٣٤] – باتريشيا كرونة، تجارة مكة وظهور الإسلام، نسخة الكترونية.

[٣٥] – دان جبسون، مكة في جغرافية القرآن، نسخة الكترونية ص ١٤

ولكن مهما يكن من أمر مكة وسواء كانت الكعبة فيها أم في البترا فإن عبد الملك بحسب المرويات الإسلامية قام ببناء قبة الصخرة لتكون كعبة وقبلة ومحجا للمؤمنين الذين جمع شملهم بكتاب جديد. يقول اليعقوبي: ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم بالبيعة فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة فضج الناس. فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن ***رسول الله*** قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام. وهذه هي الصخرة التي يروى ***أن رسول الله صعد منها إلى السماء*** تقوم لكم مقام الكعبة[٣٦]. بطبيعة الحال هذه رواية إسلامية متأخرة، ولكن لنلاحظ المفردات المستخدمة: ليس فيها أي ذكر لاسم محمد، وفيها حديث عن الصعود. ويقال إن الصخرة التي بنيت عليها القبة هي الصخرة التي صعد منها يسوع المسيح إلى السماء. وكان النصارى يعتبرون المسيح عبد الله ورسوله.

لفترات طويلة كانت كثير من المساجد تتجه في قبلتها بعيدا عن كعبة مكة. الآثار الأركيولوجية المكتشفة في المساجد التي بنيت لغاية القرن الميلادي الثامن تشير إلى أنها كانت تتجه ناحية مكان يقع إلى الشمال من مكة[٣٧]. فهل هي البترا؟ أم بيت المقدس؟

---

[٣٦] – اليعقوبي، مجلد ٢ ص ٢٦١

[٣٧] – Does Archeology Support the Quran? Peter Saunders, 1999

مسجد الكوفة المبني سنة ٦٧٠ للميلاد يتجه في قبلته نحو الغرب وليس الجنوب. كما أن مخططات مسجدين من العصر الأموي في العراق، مسجد واسط ومسجد بغداد تشير إلى أن القبلة باتجاه الشمال[٣٨] وليس مكة. وفي رسالة من يعقوب الأوديسي[٣٩] وهو شاهد عيان ورسالته موجودة في المتحف البريطاني، يقول إن العرب في مصر يصلون باتجاه الشرق نحو أراضي آبائهم الأصليين، نحو فلسطين وليس نحو مكة. كما أن مسجد المشتى في الأردن وهو منطقة فيها قصر أموي، يتجه في قبلته نحو البترا وليس مكة.

كما يشير البلاذري إلى أن بعض مساجد الكوفة كانت تتجه في قبلتها نحو الغرب وليس نحو مكة. وفي المئة سنة الأولى من عمر الإسلام الرسمي كانت المساجد تتجه نحو البترا ولكن بعد عام ٢٠٧ للهجرة صارت كل المساجد تتخذ كعبة مكة قبلة لها[٤٠].

تقع البترا جغرافيا شمالي المدينة المنورة، يثرب، أما مكة فتقع جنوبها. ويلاحظ دان جبسون[٤١] انه عند وقوع معركة المدينة فإن الجيوش هاجمتها من الشمال ودافعت المدينة عن نفسها من خلال خندق في شمالها. وعندما هاجمت

---

[٣٨] – المصدر السابق، نسخة الكترونية.

[٣٩] – المصدر السابق، نسخة الكترونية.

[٤٠] – دان جبسون، مكة في جغرافية القرآن، نسخة الكترونية.

[٤١] – المصدر السابق ص ١٢، نسخة الكترونية.

جيوش المدينة "المدينة المقدسة" يقصد مكة فإن الجيوش سارت نحو الشمال. وهذه مواصفات تدل على أن المدينة المقدسة تقع في الشمال.

براهين عديدة على أن الحرم كان في شمال الحجاز، القدس الفلسطينية وليس مكة الحجازية حتى بداية القرن الميلادي الثامن[٤٢]. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون المسلمون الأوائل مخطئين في اتجاه القبلة وإنما كان مفروضا عليهم اتباع القبلة التي يرضاها الحاكم. والتغيير الذي حصل في تحويل القبلة من بيت المقدس باتجاه كعبة مكة، لم يحدث في السنة التي تشير إليها المرويات الإسلامية الرسمية وهي سنة ٦٢٤ للميلاد وإنما تم ذلك بعد انتصار عبد الملك على ابن الزبير وضم الحجاز إلى ملكه وفرض العقيدة الجديدة بالإسم الجديد على كل مناطق مملكته. وتم بعدها هدم كثير من المساجد وإعادة بنائها للتوافق مع القبلة الجديدة.

هناك أدلة على أن الحجاز ومكة لم تكن مهد التوحيد العربي الذي تطور إلى الإسلام. فأول نص عربي يحاكي نص القرآن وجد في منطقة الطائف حوالي سنة ٦٦٠ م بينما الاكتشافات الأثرية في الحجاز لم تثبت وجود الجاهلية. وهذا يشير بوضوح إلى أن التوحيد العربي لم ينطلق من بطحاء مكة بل من منطقة ما بين سورية وفلسطين[٤٣]. ولكن غرض تعريب الدين احتاج انتسابه إلى منطقة

---

٤٢ - Does Archeology Support the Quran?

٤٣ - Nevo: Cross Roads of Islam

عربية خالصة. لذلك فإن عملية تعريب الإسلام وازدياد وزن العرب فيه دفع إلى تبني مكة. رغم عدم وجود إشارات تدل على تحديد موقع الكعبة فعليا غير أن الكشوف الأثرية في مسجدين أمويين في العراق تشير إلى انهما كانا منحرفين باتجاه اليمن[٤٤].

خلاصة القول إن مكة لا يمكن أن تكون المسرح الذي نشا عليه الإسلام[٤٥]. فالقبلة كانت القدس وما زالت كثير من المساجد تكتشف وقبلتها متجهة نحو القدس. لكن الانتقال من قبلة القدس إلى قبلة مكة لم يكن فقط لاسترضاء اتباع ابن الزبير وبناء سيرة جديدة تستهوي الأتباع ولكنها كانت أيضا لتكريس الإنفصال النهائي عن اليهودية التي توافقت معها النصرانية الشامية.

في عام ٢٠٠٢ سال دان جبسون مؤلف كتاب ***مكة في جغرافية القرآن***[٤٦]، سأل عدة علماء آثار عرب عن سجل الآثار حول مكة. من المؤسف أنهم لم يرغبوا في إعلان أسمائهم لكنهم اتفقوا على أنه لا يوجد أي سجل آثار لمكة قبل سنة ٩٠٠ للميلاد. لقد افترض جبسون أنهم سيبلغونه عن مدينة قديمة ذات أسوار كانت هناك مليئة بالبيوت والجنان والمباني والمعابد لكنهم قالوا: لا... لم يوجد أي شيء من مثل ذلك.

---

٤٤ – شامل عبد العزيز: بدايات الإسلام مرة ثانية، الحوار ٢٠١٢/١١/٢٨

٤٥ – باتريشيا كرونة، تجارة مكة وظهور الإسلام.

٤٦ – دان جبسون، مكة في جغرافية القرآن، ص ١٣ نسخة الكترونية.

الفصل السابع

القرآن العربي

(تاريخية النص القرآني)

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم

ثم يقولون هذا من عند الله

لم يكن ينقص العرب بعد أن أقاموا الدولة وسيطروا على جوارهم إلا كتاب ينسبونه إلى السماء، كما هي حال الأمم التي حولهم، يكون بلغتهم وأبجديتهم يرون فيه محليتهم ويقوي فيهم عصبيتهم العربية ليتكتلوا حوله كأمة ناشئة فتية تبحث عمن ينقذها من صراعاتها المحلية وينقلها إلى ساحة السياسة الدولية[٤٧].

من المعروف أن اللغة السريانية وهي لغة شقيقة للعربية كانت سائدة في جميع أنحاء البلاد السورية وكذلك في العراق. وكان منها السريانية الشرقية التي يتكلم بها الأشوريون ومنها السريانية الآرامية التي يتكلمها أهل الشام. وعندما سعى عبد الملك والسلطات الدينية في عصره لجمع كتاب بلغة أهل البلاد يوضح الفكرة النصرانية والعقيدة التوحيدية التي يؤمنون بها في مواجهة المسيحية الهللينية استعملت الكلمة التي يستعملها السريان في وصف كتاب القراءات الليتورجية: قريان.

إن رواية جمع القرآن التي تحدث عنها الموروث الإسلامي وأفرد لها فصولا طوالا وناقشها المستشرقون والباحثون قد لا تعدو كونها قصة إكليروس عبد الملك في جمع القراءات الإنجيلية والتوراتية التي كانت سائدة في بلاد الشام. منها الأناجيل القانونية وتوراة موسى ومنها الأناجيل المنحولة والأساطير التي

[٤٧] – الناصري لعماري، من الذي كتب القرآن، مقال في الحوار المتمدن ٣٠-٤-٢٠١٣

نشأت حول العقيدة المسيحية وقصص القديسين وخلق العالم وغيرها من القصص التي يسهل رصدها وتعيينها ومعرفة أيها استخدم في أي قصة قرآنية.

بدأ المكلفون بالجمع يجمعون القصص التوراتية والإنجيلية ويسمعون من الناس ومما هو محفوظ في اللوح. أي لوح هذا؟ اللوح المحفوظ لا بد أنه نسخة من التوراة باللغة الآرامية كانت محفوظة في مقر كنيسة أنطاكية ونسخ منها بعض الروايات والقصص التوراتي والإنجيلي. ويرى أبو موسى الحريري في كتابه ***عالم المعجزات: بحث في تاريخ القرآن***[٤٨] أن اللوح المحفوظ هو كتاب موسى من قول القرآن نفسه: *ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة*، *ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما*. وكتاب موسى الإمام قد يكون هو أم الكتاب إذ يصرح القرآن *انه في أم الكتاب لدينا*. على أي حال كانت قصة جمع القراءات في قريانة واحدة على شكل مصحف هدف يقصد به مناصرة العقيدة النصرانية في مواجهة العقيدة المسيحية. وتم هذا من خلال جمع كل النصوص التي تتحدث عن ضرورة موافقة العقيدة لشريعة موسى من أجل إقامة التوراة والإنجيل معا بعيدا عن غلو المسيحية الهللينية في تأليه يسوع، وبعيدا عن عقيدة الخلاص المسيحية التي بشر بها بولس الذي اعتبروه مرتدا عن شريعة المسيح وموسى.

لم يتقصد النصارى وضع إنجيل جديد ولا كتاب جديد ولكن أرادوا أن يجمعوا من كل ما يتوفر حولهم نصوصا تعلم الناس العقيدة الجديدة المتوافقة أو

---

[٤٨] – نسخة ألكترونية

التي يجب أن تكون متوافقة ومسلمة بشريعة موسى وتوراة اليهود و إنجيل متى الذي وضع للعبرانيين لكي يعرفوا قصة يسوع استنادا إلى مراجع متى العبرانية من توراة وتلمود وتقليد عبراني كان معروفا في عصره.

بالنظر إلى كل هذه الحقائق تبدو قصة التنزيل السماوي للقرآن ضعيفة ولا يمكن أن تصمد أمام البحث الدقيق. فالبحوث الأركيولوجية لا تدعم وجهات النظر التقليدية بشأن ما يسمى حفظ النص القرآني. فمعظم المخطوطات القديمة وجدت بعد الوقت المفترض لجمعها من قبل عثمان بحوالي مئة سنة[٤٩] على أقل تقدير. وكثير منها يختلف عن النص المتداول حاليا والتي تعد النسخة النهائية المعتمدة. من بعض النسخ التي يعتقد أنها من الأقدم للمخطوطات القديمة ما يعرف بنسخة اسطنبول ونسخة سمرقند لكن الخبراء ينفون أن تكون تلك المخطوطات أصلية فعلا أو أنها من عصر عثمان.

ترى الرواية الإسلامية الرسمية أن القرآن هو عين كلام الله جاء به جبريل مباشرة من اللوح المحفوظ ولقنه للرسول. والنص الموجود حاليا في رأيهم هو نفسه حرفيا وشكليا الذي أنزله الله مع جبريل ووصل إلينا كما هو عبر التواتر والحفظ[٥٠]. ويرى المفكر التونسي منصف بن عبد الجليل في ندوة حول تاريخية القرآن أن "المسلمين يعتبرون القرآن كلام الله المنزل على محمد بدون أي تدخل

---

[٤٩] - تيموثي دنكن، القرآن. نسخة الكترونية.

[٥٠] - Harold Felder، The Quran: Heavenly or Human

بشري بلغة عربية بليغة سليمة معجزة. ووحدة القرآن تشكل مفهوميا مثل وحدة الله". والمسلمون يؤمنون بهذا إيمانا يقينيا لا يأتيه الشك ولو مجرد قيد أنملة.

لكن كثيرا من الباحثين الموثوقين يرون أن أول نص قرآني متكامل جاهز للقراءة كما هو الآن موضوع في القرن العاشر الميلادي[٥١] بينما المخطوطات الأخرى السابقة على هذا التاريخ تحمل قراءات مختلفة مثل نسخة صنعاء. ولذا يميل كثير من الباحثين إلى أن القرآن نص تم تأليفه وتحريره وتنقيحه من قبل عرب سوريا والعراق وفيه قراءات مختلفة واحتاج قرونا ليظهر في نسخته النهائية التي نعرفها اليوم.

فمعظم النسخ المكتشفة "باللغة العربية" تعود للقرن الثامن الميلادي على أقدم تقدير. نصوص منسوخة بالخط الكوفي وهو خط ظهر في أواخر القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر وهو خط قليلا ما كان مستخدما في أماكن أخرى من العالم الإسلامي إلى أن استبدل بخط النسخ.

لذلك يمكن القول باطمئنان أن القرآن احتاج على الأقل إلى مئة سنة من التنقيح والتعديل إلى أن ختم بنص نهائي معتمد. وهناك إشارات من الباحثين والعلماء إلى أن أكثر من مؤلف تدخل في كتابة القرآن. والقرآن الموجود الآن لا يمكن أن يكون نفسه الذي بدأت كتابته في القرن السابع كما أنه بالتأكيد ليس

---

٥١ – Ten Myths about Islam نسخة الكترونية

قرآنا نزل من السماء على نبي في مغارة مكة. ومع أن الرواية الإسلامية التقليدية تصر على أن القرآن هو عين كلام الله غير أن الدلالات والبراهين التاريخية صارت موضع تحدي غريب في الزمن الأخير. فالمخطوطات والوثائق والبراهين الأيديولوجية أخفقت في إثبات كثير مما يعلنه الإسلام[٥٢].

هل يمكن أن يكون عثمان بن عفان هو رئيس الفريق الذي كان كبير كتابه زيد بن ثابت الأنصاري؟ ربما. فالرواية التي تتحدث عن إشراف عثمان على جمع القرآن وكيف نقحه وحرق النسخ الأخرى توحي بسلطته وصلاحيته في فعل ما فعل. وبطبيعة الحال نقلت الرواية الإسلامية الحدث إلى زمن آخر ومنحت هذا الشخص صفة الخليفة وما إلى ذلك من قصة معروفة.

صدق كثيرون على مدى مئات السنين الرواية الإسلامية بشأن نزول القرآن ولكن لا براهين على ذلك بل كل المؤشرات تدل على أن القرآن كان نتاج عملية تطور نصي. وفي الوقت الذي يفترض فيه وفاة النبي وباعتراف كتب الموروث الإسلامي كلها لم يكن القرآن مجموعا في مصحف ولو كان كذلك لما طلب عثمان من زيد القيام بذلك[٥٣]. وعندما قام باحثون في الإسلام بكل جرأة بالتدقيق في الأصول والمصادر الإسلامية تم الكشف عما يمكن أن يثير الشك

---

٥٢ – ?Does Archeology Support the Quran نسخة الكترونية.

٥٣ – البخاري، جزء ٢ ص ٤٧٧

والتساؤل حول كثير من الأمور التي كانت بمثابة مسلمات بشأن الإسلام ومحمد والقرآن[٥٤].

في كتابها ***الهاجريون*** تقول باتريشيا كرونة انه لا يوجد أي دليل على وجود القرآن قبل نهاية القرن السابع الميلادي وقد تم الانتهاء من نص القرآن في عام ٧٠٥ على يد الحجاج في العراق[٥٥]. لقد جمع الحجاج كل كتابات الهاجريين ووضع بدلا منها ما أراد على حسب أهوائه. ومن هنا بدأ وضع وتأليف القرآن ولم تنته هذه العملية قبل منتصف أو آخر القرن الثامن الميلادي.

تعترف مصادر إسلامية متأخرة أن الحجاج تلاعب في النص القرآني على هواه. ويورد السجستاني في كتابه ***المصحف*** تحت باب ما غير الحجاج في مصحف عثمان ويحصي له أحد عشر موضعا[٥٦]. وهذه الأعمال لا تسيء إلى الحجاج بل تظهره قويا على قدرة وفهم سمح له بالتجرؤ على المقدس في إطار مشروع بناء الدولة الذي كان يعمل على إنجازه. وينسب إلى الحجاج قيامه بكثير من التبديل والتغيير في القرآن وإتلاف النسخ المخالفة.

ظل القرآن يخضع لعملية تأليف وتنقيح وتحرير وإعادة كتابة طوال عشرات السنين. فهو اعتبر في البداية كتاب قراءات ولم يقصد به كتاب تشريع أو كتابا

---

[٥٤] – جاي سميث، القرآن المنحول، ترجمة إبراهيم جركس، نسخة الكترونية.

[٥٥] – باتريشيا كرونة، الهاجريون

[٥٦] – مالك مسلماني، الكعبة، نسخة ألكترونية.

يكون بديلا عن التوراة أو الإنجيل العبراني الذي كان معتمدا لدى النصارى. ومجموعة النصوص التي وضعت فيه واعتمدت في وقت لاحق كان فيها نصوص ربما وجدت قبل العصر الذي يفترض فيه وجود النبي. ويقول أحد المختصين في قراءة وتحليل مخطوطات مصحف صنعاء المكتشف أوائل السبعينات في العاصمة اليمنية[٥٧]: "في رأيي أن القرآن كشكول من النصوص لم تكن موجودة أيام محمد وربما يكون بعضها أقدم من الإسلام بمئة سنة مثلا".

يرى علماء أن التنوع اللفظي في القرآن دلت عليه الاكتشافات الحديثة لبعض المخطوطات التي تحتوي على نصوص مختلفة عن النص المتداول. وهذه التباينات واضحة جلية في المسكوكات النقدية الأولى وفي زخرف الآيات المنقوشة على مسجد قبة الصخرة داخليا وخارجيا التي تختلف عن النص الحالي. وفقدان بعض المخطوطات الأولى تدل على أن القرآن لم يكن موجودا في سنوات "محمد المفترضة".

تباينات يعزوها البعض إلى فكرة أن القرآن "انزل" على أكثر من شخص واحد. وتم جمعه وتنقيحه من قبل مجموعة أشخاص على مدى مئات من السنوات. وان القرآن المتداول حاليا ليس هو الذي كان في منتصف القرن السابع لكنه نتاج القرنين الثامن والتاسع. القصد من هذا أن القرآن من تأليف أو إعداد أكثر من شخص واحد. وقد لا يكون بحسب ما يعتقد ونزبرو عمل مجموعة

---

[٥٧] – بوين في مقال بعنوان القرآن في مجلة أتلانتيك الأميركية ١٩٩٩

قليلة بل انه تطور عضوي احتاج عشرات السنين وربما المئات. لكنه لم يوضع أو يجمع في مكة وإنما في بغداد حيث اتخذ "الإسلام" شكله النهائي وصار دينا مستقلا. وهذا رأي مجموعة من الباحثين أبرزهم ونزبرو، شاخت، كرونة وريبين.

مصادر كثيرة أشارت إلى أن القرآن لم يكن مكتملا قبل القرن العاشر. ويقال إنه تم جمعه في سبع نسخ (ربما هذا سبب الحديث عن سبع قراءات). أما الإشارات من خارج العالم الإسلامي إلى كتاب يدعى القرآن[٥٨] فكان في حوار يرجع إلى نهاية الحقبة الأموية بين العربي والراهب الذي من بيت جالا. لكن ذلك الكتاب ربما يكون مختلفا عن القرآن الذي بين أيدينا الآن. وكما تقول باتريشيا في كتابها ***الهاجريون***[٥٩]: في حين لا توجد أسس خارجية متماسكة لرفض الرواية الإسلامية فإنه لا يوجد أي أسس داخلية متماسكة للقبول بها.

استمر القرآن في تطوره حتى العقد الأخير من القرن الميلادي السابع. إضافة إلى ذلك فإن أكثر ما نعرفه عن الإسلام كان من خلال كتب السيرة والحديث التي يرجع تاريخ وضعها إلى ما بين مئة وثلاثين إلى ثلاثمئة سنة بعد الزمن الافتراضي للنبي[٦٠].

---

[٥٨] – باتريشيا كرونة، الهاجريون، ترجمة نبيل فياض، نسخة الكترونية.

[٥٩] – باتريشيا كرونة: الهاجريون، ترجمة نبيل فياض، ص ٨ نسخة الكترونية

[٦٠] – جريس بقاعين، دراسة الإسلام، الحوار المتمدن، ١٣-٢-٢٠٠٨

في رأي ونزبرو تطور القرآن تدريجيا طوال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين من أصل روايات شفوية عن طريق تعديلات وتنقيحات جرت عبر قرنين ثم أعطيت شكلا رسميا وصادف ذلك بروز التفاسير القرآنية وكانت هذه العملية مماثلة لما حدث في تقويم الكتاب المقدس لليهود.[٦١]

أما غيرد بوين الذي درس مخطوطات صنعاء فقد وضع ثلاثة استنتاجات تبدو قوية ومقنعة:

١. إن النص القرآني تطور عبر الزمن وهو ليس من إعداد شخص واحد وان ثمة أجزاء منه كتبت قبل زمن محمد
٢. المخطوطات لم تكتب باللغة العربية وكلماتها ذات جذور آرامية وهذا شبيه باستنتاجات لوكسنبرغ.
٣. النص القرآني تطور تدريجيا خلال القرنين السابع والثامن وكان شفهيا ولا توجد أي مخطوطة ترقى إلى مرحلة ظهور الإسلام بحسب الرواية الرسمية.

لقد عجز علم التاريخ عن إيجاد قرآن يسبق عهد عبد الملك بن مروان وهذا بتأييد الرواية الطبرية. فالطبري مثلا ينقل ما نسب إلى "النبي" في حجة الوداع إذ قال: تركت بينكم ما لن تضلوا بعده، **كتاب الله** وسنتي. لم ينسب إليه قوله: تركت فيكم ***القرآن***. فعن أي كتاب يتحدث النبي؟ أو لنقل عن أي كتاب

[٦١] – مزاعم المستشرقين، محمد مهر علي، نسخة الكترونية.

يتحدث الطبري؟ هل كان المقصود التوراة؟ أم هو كتاب القراءات التي وضعه النصارى تجميعا من مصادر مختلفة؟

تتحدث الرواية الإسلامية عن جهود قام بها أحد قادة عبد الملك وهو الحجاج بن يوسف الثقفي في إعادة كتابة القرآن. وربما كانت الكلمة الأصح: تنقيح القرآن.

تستنتج باتريشيا كرونة في أحد كتبها[٦٢] أن القرآن يفتقد البنية المتكاملة وغالبا ما يكون غامضا وغير متسق سواء في اللغة أو المضمون، سطحي في ربط المواد المتفاوتة ويتميز بالتكرار. ولذا يمكن الاعتقاد أن هذا الكتاب هو نتيجة عمل أكثر من شخص كما أن تنقيحه غير كامل إذ اعتمد على تقاليد متعددة. من السهل الاعتقاد أن القرآن هو مجمع فصول مختارة من الكتب المقدسة السابقة التي سبق أن ترجمت إلى اللغة العامية وهي لغة مركبة من العربية والسريانية لكي تقرأ بلغة قريش. كتابة ترجمت في مفاصل عربية، *كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا*. وترى هذه الباحثة المتخصصة في شؤون الإسلام إن القرآن نص له تاريخ لكن أحدا لا يعرف تفاصيل هذ التاريخ. وتقول في كتابها: ***عبيد على الخيول*** إن الجميع كان يأخذ الأمر مسلما به بأن كل شيء يقوله المسلمون بشأن القرآن وأصله ومعانيه كان صحيحا. لكن الواقع انه مر بتحولات نصية طوال مئة سنة بعد وفاة النبي المفترضة. والنصوص التي كانت منقوشة

---

٦٢ - Quran is a Work of Multi Hands

على جدران قبة الصخرة والمسكوكات الأموية تشير إلى نصوص مختلف عن التي بين أيدينا[٦٣].

لكن غيرد بوين وهو باحث ألماني مرجع في الدراسات القرآنية واللغة العربية يرى أن القرآن مجرد كوكتيل من النصوص[٦٤] لم تكن مفهومة حتى في عصر "محمد" (القصد هو العصر الذي كتبت فيه) وربما كان بعضها سابق الإسلام ومحمد بمئات السنين. وفي التقليد الإسلامي ثمة تناقضات هائلة وفيه فكر مسيحي باطني. يقول القرآن عن نفسه انه مبين أي واضح وفصيح ولكن بالتدقيق فيه نجد أن كل أربع جمل تكون الخامسة غير مفهومة ولا معنى لها. أن خمس القرآن غير مفهوم وهذا ما أعاق الترجمة. وما دام غير مفهوم من قبل العرب فلا يمكن ترجمته لأي لغة كانت.

ويعتقد وانزبرو انه من الواضح أن القرآن مركب من ألفاظ ونصوص تم جمعها على مدى عشرات السنين إن لم تكن مئات السنين من القراءات المسيحية والنصرانية التي كانت منتشرة في المنطقة. ويرى العلماء انه ليس هناك دليل على ظهور القرآن حتى سنة ٦٩١ أي ٥٩ سنة بعد الوقت المفترض لوفاة محمد حين تم بناء مسجد قبة الصخرة في القدس الذي ضم نقوشا لبعض الآيات القرآنية. وتختلف هذه النقوش إلى حد ما عن نسخة القرآن التي جرى تداولها

---

٦٣ - Does Archeology Support the Quran?

٦٤ - Puin، What is Quran, the Atlantic, 1999

خلال القرون مما جعل الباحثين يستنتجون أن القرآن استمر في تطوره حتى العقد الأخير من القرن السابع[٦٥].

والقرآن عند جاي سميث مجموعة من المصادر المختلفة والمتباينة والمتفرقة المنحولة من الآداب المحيطة وقصص وروايات محلية فولكلورية وتقاليد شفهية كانت شائعة ومنتشرة في القرنين السابع والثامن جرى تطعيمها على أيدي جامعي ومصنفي العصر العباسي الذين يصفهم بالجهلة[٦٦].

بالنسبة لبعض المفكرين والباحثين لم يكن يقصد من القرآن أن يكون كتابا دينيا مستقلا. فافتراض انه مجرد مختارات ومجمع فصول من الكتب والأناشيد السابقة يعني أنه لا يزعم من الأصل أن يكون سوى كتاب قدسي يتضمن تفاصيل مختارة من الكتابات السماوية وليس بكتاب مستقل في ذاته.

ما هي حجج[٦٧] الذين يقولون بتطور القرآن طوال قرنين قبل أن يثبت على ما هو عليه الآن؟

١. إن المصادر التاريخية الإسلامية ليست معاصرة "للزمن المفترض" للدعوة الإسلامية ولا يمكن تصديقها.

---

[٦٥] – ألكسندر ستيل، نظريات جديدة في القرآن. ٢٠٠٢

[٦٦]– جاي سميث، القرآن المنحول، ترجمة إبراهيم جركس، الحوار المتمدن ٢٠١٢/٢/٩

[٦٧] – مزاعم المستشرقين في القرآن، محمد مهر علي، نسخة ألكترونية.

٢. إن الحفريات الأثرية في الجزيرة العربية خصوصا تلك التي جرت في منطقة نجف كشفت العديد من النقوش القديمة تدل على عدم وجود القرآن في القرن الهجري الأول.
٣. إن المخطوطات القرآنية القديمة التي عثر عليها في صنعاء تشير إلى تطور القرآن خلال فترة طويلة تصل إلى مئتي سنة.
٤. إن نقد النص يشير إلى أخطاء في نسخ القرآن.

تظهر المخطوطات الخاصة بالقرآن والسابقة على النسخة الحالية تعرض القرآن للتنقيح والتبديل والتصحيح. كثير من المخطوطات وخصوصا مخطوطات صنعاء أظهرت أنها احتوت على كتابة سابقة[٦٨] أي أن النص الأصلي مسح وكتب فوقه، أي انه تم تعديل النص القرآني وإعادة كتابته على الورقات نفسها.

تعد مخطوطات صنعاء من أهم وأبرز المخطوطات التي تجري مناقشتها حتى الآن. هذه المخطوطات اكتشفت صدفة عام اثنين وسبعين عندما سقط سقف أحد المساجد القديمة في العاصمة اليمنية فظهر الكثير من أسرار القرآن. لقد أدت الصدف إلى اكتشاف نسخة من القرآن في مخطوطة قديمة تشير بوضوح إلى قرآن مختلف. تولت مجموعة خبراء برئاسة غيرد بوين وهو من الثقات في موضوع الدراسات القرآنية القديمة دراسة وتحليل تلك المخطوطات. لكن يبدو أن العلماء الألمان الذين بدأوا البحث في الموضوع

---

[٦٨] – نهي سيلين الزبرقان، مقال في الحوار المتمدن ٢٠١٢/٩/٢٩

لا يرغبون في إثارة الأمور بشكل يؤدي إلى إحراج الحكومة اليمنية وبالتالي دفعها لاتخاذ موقف يمنع أي بحوث مستقبلية. حتى الآن تمت دراسة وإعداد خمسة عشر ألف صفحة من مخطوطات صنعاء والسلطات اليمنية مترددة في إتاحة المزيد من المخطوطات للباحثين.

وقد فتح العثور على مخطوطات صنعاء أفاقا أثريه جديدة وأتى بأدلة وكسر المعتقد الذي يزعم أن كل ما بين دفتي مصحف القرآن هو منزل. فالمخطوطات أوضحت أن القرآن خضع للتنقيح والتغيير عبر الزمن وقد ساعدت المخطوطات العلماء في إثبات أن للقران تاريخا كغيره من الكتب[٦٩].

وكتب بوين في مجلة ***أتلانتيك*** الأميركية[٧٠] أن هذا القرآن في مخطوطة صنعاء لا يشبه القرآن الحالي. فالكلمات لا تحتوي التنقيط ولا التشكيل ولا الهمزة ولهذا يمكن أن تعطى الكلمة عديدا من المعاني. وكشف مصحف صنعاء وهو الإسم الذي أطلق على المخطوطات المكتشفة كشف عن تبديل في النص واختلاف في الخط والأسلوب. أي أن النص جرى عليه تطوير وتعديل وليس هو النص المفرد أو كلمات الله التي كانت معروفة أيام محمد المفترضة في القرن السابع.

---

[٦٩] – نهى سيلين الزبرقان، مقال في الحوار المتمدن ٢٠١٢/٩/٢٩

[٧٠] – Puin, What is Quran, the Atlantic, 1999

لقد كشفت بحوث بوين عن ترتيب لآيات القرآن بصورة غير تقليدية. ووجد اختلافات نصية ونماذج أسلوبية مختلفة ونادرة تختلف عن النسخ المعتمدة فيما بعد. بعضها مكتوب بلغة الحجاز المبكرة فثمة نصوص كثيرة بدا أنها مكتوبة فوق نصوص تم محوها مما يفند الادعاء بألوهية النص القرآني.

يرى أندرو ريبين أستاذ اللاهوت والدراسات الدينية في جامعة كالغاري أن القراءات المتعددة وترتيب الآيات كلها لها دلالات ومعاني. والكل يوافق على هذا. وتلك المخطوطات تقول إن التاريخ المبكر للنص القرآني عبارة عن سؤال مفتوح أكثر مما يعتقد الكثيرون. فالنص كان اقل استقرارا واقل سلطة مما كان يعتقد ويظن حتى الآن.

الفصل الثامن

الترجمة والجمع

كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون

يكاد يكون من شبه الإجماع لدى المختصين في علوم الدراسات القرآنية من المستشرقين أن القرآن وهو كتاب المسلمين المقدس ليس تنزيلا وليس من كتابة النبي "محمد" الذي يعتقدون انه تلقى النص القرآني وحيا عبر وسيط هو جبريل". وتبدو رواية الموروث الإسلامي فيما يخص مسالة جمع القرآن متهافتة للغاية. والمرجح أن القرآن هو نتاج ما قامت به لجنة من رجال الدين النصراني الذين عملوا مع الدولة الأموية الناشئة وترسخت أعمالهم مع عبد الملك بن مروان. فهؤلاء هم الذين قاموا بجمع النصوص التي وضعت في مصحف يكون كتاب قراءات للمؤمنين عند صلاتهم. ولذلك فالكتاب الجديد اخذ اسم القريانة من اللغة السريانية كما كانت تعرف كتب القراءات الليتورجية عند السريان التي كانت تستخدم في الطقوس الكنسية. ويبدو من طبيعة النصوص المشكلة للقرآن أن الجمع تم على أكثر من مستوى ومن قبل أكثر من لجنة وربما كان هناك أكثر من قريانة واحدة. ودليل ذلك تكرار كثير من النصوص والقصص وأحيانا تكرار مع تناقض واختلاف مما يدعم فكرة أن أكثر من يد عملت في هذا الكتاب. فالخلط الكبير في المعلومات والقصص والشخصيات يؤكد على كثرة الأيدي التي عملت في وضع النص النهائي[٧١] حيث القصة مذكورة أكثر من مرة. ويدل هذا بصورة مباشرة على أن القرآن نص تطور مع الزمن عبر أكثر من مئة سنة.

---

[٧١] – علي دشتي، ثلاثة وعشرون عاما في الرسالة المحمدية

وعندما يقال إن القرآن نزل على سبع قراءات فهل يعني أن سبعة أشخاص عملوا على وضعه وتنقيحه؟ أم هؤلاء هم الذين قاموا بالترجمة أو ربما بالنسخ؟

وكما تمت الإشارة في الفصل السابق لم يكتمل هذا الكتاب قبل القرن التاسع الميلادي، بل ويذهب مستشرق روسي[٧٢] إلى أن الإسلام نفسه لم يتبلور حتى الحروب الصليبية إذ لم يكن هناك تمييز بين أتباعه وبين اليهود. ومن الواضح كما تشير دراسة جريئة ورائدة لعالم اللسانيات الألماني كريستوف لوكسنبرغ أن القريانة جمعت أساسا من نصوص سريانية وآرامية. فقد كانت هذه هي اللغة السائدة في المنطقة في الوقت الذي نشأت فيه الدولة العربية التي احتاجت إلى جمع النصارى إلى كلمة سواء. وهذا ينطبق بصورة أساسية على ما يعرف بالقرآن المكي الرحيم والمسالم والتبشيري بصورة جلية والمليء بقصص التوراة والأناجيل المنحولة[٧٣]. وأول إشارة للقرآن ككتاب ظهرت في منتصف القرن الثامن الميلادي 135 للهجرة وكان يوصف بانه كتاب الله ولم يذكر بانه قرآن المسلمين.

على أي حال، لا يعرف بالضبط كيف نظم القرآن لان محمد لم يكتب شيئا بيده. هذا ما يراه نولدكه في كتابه الكبير: ***القرآن***. فهو غير متأكد من مسألة أمية محمد كما تشير إليها المرويات الإسلامية المتأخرة. ويرى أن سبب

---

٧٢ – Morozov, Christ, 1930

٧٣ – ربما كانت النصوص التي تعرف باسم المدنية قد وضعت من قبل نصارى الفرس المتأثرين بالزرادشتية وربما كان بعضها وضع للترهيب وفرض هيبة الدولة.

التباين في القيم الفنية الإبداعية بين سور القرآن هو دخول مفردات أجنبية غير عربية مثل الآرامية وغيرها. لم يخطر على بال نولدكه ما خطر على بال لوكسنبرغ بان النص الأصلي لهذا الكتاب لم يكن في الأصل باللغة العربية. ويرى باحث تونسي[٧٤] أن ما يعرف بقصة جمع القرآن ما هي في الواقع إلا تاريخ تأليف وكتابة القرآن "بعد وفاة النبي" وهي قصص ملحقة بالسنة.

لقد قامت المسيحية العربية اليهودية بتأليف كتابات وشروح وتفسيرات للعهدين القديم والجديد[٧٥] بلغتها السيرو آرامية تناسب رؤاها وربما أضافت إليها من الموروث التقليدي الشعبي ومما هو منتشر بين الناس من روايات شفهية. وقد تم نقل ذلك كله إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان الذي جعل اللغة العربية لغة رسمية للدولة.

بالعودة إلى ما قاله جاي سميث في كتابه ***القرآن المنحول***[٧٦] فإن القرآن يبدو أشبه ما يكون تجميعا لبيانات وأفكار ليس بينها علاقة ربط قوية. ويرى غيره من الباحثين عدم وجود أي ترابط بين نصوص القرآن في مجملها. ويتساءل البعض ما دام القرآن تنزيلا فلماذا يضطر الله إلى تكرار نفسه؟ فالقصة تتكرر أكثر من مرتين وفي كل مرة هناك تفصيلات مختلفة.

---

[٧٤] – ناصر رجب، في أصول القرآن، الأوان، مجلة ألكترونية ٢٠١٤/٤/٩

[٧٥] – نادر قريط: البدايات المظلمة للإسلام مقال في الأوان

[٧٦] – ترجمة إبراهيم جركس

عند البحث والتدقيق في كتب التراث هناك الكثير بين المشاركين في عملية جمع وتدوين القرآن وهم غير معروفين لأغلب المسلمين. يسرد إبراهيم جركس في مقال بعنوان: ***من هم مؤلفو القرآن***[٧٧]، إن الجزء الأكبر من القرآن من تأليف هؤلاء: امرؤ القيس، سلمان الفارسي، الراهب بحيرا، جبر ويقال إنه غلام يهودي، ابن قمته ويقال إنه عبد نصراني، ورقة بن نوفل، أبي بن كعب، عبد الله بن سلام، مخيريق، كما يضيف إليهم بطبيعة الحال محمد وعائشة وعمر بن الخطاب. هناك باحثون آخرون يضيفون إلى هؤلاء كلا من لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت وخديجة بنت خويلد.

إن فكرة تعدد مؤلفي القرآن أو واضعي القرآن أو حتى مترجميه تؤكدها كثرة التناقضات والاختلافات الموضوعية إلى جانب التباين في الأسلوب وهذا مؤشر على اختلاف الكتاب. فلكل كاتب أسلوبه وبصمته وروحه التي يمكن تلمسها في النص. لكن فكرة اجتماع لجنة للكتابة لا تبدو منطقية والمنطقي هو قيام هؤلاء بتجميع ما هو موجود في مصادر مختلفة والقيام بتنقيحه بلسان عربي. أما جمع النصوص على صعيد واحد فكانت عملا لاحقا.

وبما أن الرواية الإسلامية تنسب إلى عثمان بن عفان فضل جمع القرآن فربما يكون هو من رأس لجنة الحكماء من اكليروس الأمويين لجمع القراءات لاستخدام صلاة المؤمنين. من المؤكد أن الرواية الإسلامية الرسمية نسبت هذه

---

[٧٧]- من هم مؤلفو القرآن، إبراهيم جركس، الحوار المتمدن، ٢٠١١/٥/١

الشخصية إلى عهد قريب للنبي لكي تكمل الإسقاطات التي تبني الرواية بأكملها. تبدو قصة جمع القرآن كما ترويها المصادر الإسلامية قصة جميلة وفيها حبكة معقولة إن كانت تمت في أوائل الدولة الأموية أو ربما قبل هذا الوقت. فالنصوص كانت تكتب على الجلود وقطع العظم وسعف النخيل ولحا الشجر. وكذلك كان يوجد كثيرون يحفظون من النصوص الدينية الشيء الكثير وخصوصا من القصص الديني الشعبي المستند إلى الكتب المنحولة.

استنادا إلى الرواية الإسلامية في جمع القرآن، لا يبدو أن ما كان يجمع هو نص موحى به إلى نبي كان له كتاب وحي معروفون في التراث الإسلامي، وكان صحابته يتسابقون على حفظ ما يتنزل على رسولهم. وبحسب التراث كان هناك على الأقل عشرون شخصا يحفظون القرآن كله. فلو كان الأمر كذلك لماذا يحتاج زيد رئيس لجنة جمع القرآن إلى البحث عن النص بين الرقاع وقطع الشجر والعظام والجلود؟ الم يكن أبو بكر يحفظ القرآن؟ وكذلك عمر وعلي وعثمان وغيرهم من الصحابة المقربين؟ فلماذا لم يجلس هؤلاء ويملون النص على زيد فيكتبه في يومين أو ثلاثة؟ فالمعروف أن أبا بكر كان الأكثر حفظا. ثم أين كانت تذهب النسخ التي كان النبي يمليها على كتبة الوحي؟ ولو كان هناك كتاب وحي فعلا فأين كان هؤلاء يكتبون؟ الجواب التاريخي يقول انهم كانوا يكتبون على جلود الحيوانات والألواح وبقايا العظم. ولكن لماذا لم يكن "محمد" وهو المعني أولا وآخرا بضمان صيانة النص السماوي، لماذا لم يكن

يحتفظ بتلك النصوص أو بالأحرى بتلك القطع التي كتب عليها نص الوحي؟ ولماذا في قصة الهجرة إلى المدينة لم يذكر النص أن محمد حمل معه مادة القرآن؟ أم هل اكتفى بانه كان يحفظها؟ فإن كان يحفظها فلماذا يوظف كتابا للوحي؟

النص الحالي ثبته بحسب الرواية الرسمية زيد بن ثابت الذي كان يترأس لجنة عثمان لجمع القرآن. لكن ترتيب السور إلى حد بعيد اعتباطي ولا يرتبط باي مبدأ على الإطلاق. فاختلطت الآيات ببعضها دون أي اعتبار للتاريخ والمكان[٧٨].

في قصص الموروث الإسلامي نلحظ اعتراضات من بعض الصحابة على جمع القرآن. فهل يعقل أن يعترض عاقل على جمع وحي الله في مصحف؟ يبدو أن اعتراض عمر الذي تشير إليه الرواية الإسلامية كان اعتراضا من نوع آخر وربما من شخص آخر. وبحسب الرواية الإسلامية فقد عارض ابن مسعود أيضا نص عثمان كما جمعه زيد ورفض تسليم ما كان بحوزته من نص قرآني إلى لجنة عثمان ويقال إن الخليفة ضربه فمات بعد أيام[٧٩].

ثم ما هو القصد من رواية مختلفة تذكر أن علي بن أبي طالب كان يعمل على جمع القرآن أيضا؟ هل كان الإمام علي شخصية أخرى في العراق تضاهي

---

[٧٨] – كانون سيل: تدوين القرآن، ترجمة مالك مسلماني ص ٨

[٧٩] – كانون سيل: تدوين القرآن ترجمة مالك مسلماني، ص ١٣

معاوية في الشام يجمع قريانة أخرى لأمة المناذرة كما فعل الأمويون لأمة الغساسنة؟ كما تشير الرواية الإسلامية إلى أن عمر كان لديه نسخة من القرآن وكذلك عائشة. فلماذا لم تأخذ لجنة زيد هذه النسخ وتضاهيها على بعضها مع ما يحفظه عمر وعلي وأبو بكر فيكون لدينا نسخة كاملة من وحي القرآن؟

من الغريب انه لم يتم اكتشاف أي نسخة من النسخ الأصلية للقرآن خصوصا تلك التي جمعها زيد ونسخها عثمان وبعث بها إلى الأمصار. فهل يعقل كما يقول كامل النجار[٨٠] أن يتسابق المسلمون الأوائل على نخامة النبي وبصاقه وشعره وماء وضوئه ويفرطون في الاحتفاظ بأول مصحف يجمع القرآن في كتاب واحد؟ إن عدم اكتشاف أي نصوص أصلية يؤكد نظرية تأليف القرآن في وقت متأخر يعود إلى سني العصر الأموي. فالأمويون هم الذين قادوا نصارى الشام في الاستقلال عن بيزنطة وتأسيس دولة عربية احتاجت كتابا فكان القرآن.

لم يكن القرآن جديدا فهو مجرد إعادات وتكرار لتقاليد كانت معروفة وتم ربط بعضها بالتراث اليهودي أضيفت إليه في الإضافات العباسية المتأخرة فكرة الجهاد والقتال في سبيل الله. ولذا فالقرآن ليس كتابا أصيلا إذ تمت صياغته النهائية بعد زمن محمد بمئة وخمسين سنة. وهو تجميع لنصوص ليتورجية نصرانية ويهودية وضعت معا وجمعت لمواجهة حالات مستعجلة. ويرى

٨٠ – كامل النجار، تاريخ وماهية القرآن، الحوار المتمدن، ٢٠١٠/١٠/٣

لوكسنبرغ[81] إن افتراض كون القرآن مختارات ومجمع فصول من الكتب والأناشيد القدسية يعني انه لا يزعم من البداية أن يكون سوى كتاب قدسي يتضمن مفاصل مختارة من الكتب السماوية أي العهدين القديم والجديد وليس بكتابة مستقلة في حد ذاتها. ولهذا نجد في القرآن إشارات متعددة إلى الكتابات السابقة بدونها يبدو للقارىء أن الكتاب مغلق بسبع عقل. لقد جمعت لجنة عبد الملك القريانة من مقطوعات منسوخة من الإنجيل القديم أو من المسيحية القديمة ومن اليهودية وكذلك استعان بنصوص زرادشتية. ولكن إصرار واضعي القرآن انه مصدق لما سبقه نابع من كونهم اعتقدوا أن كل النصوص التي استندوا إليها كانت من الكتاب المقدس. ولم يدركوا أن معظم تلك النصوص والقصص كانت إما من أناجيل منحولة أو من كتب وأساطير قديمة.

بحسب ما تقدم فالقرآن كان تجميعا لنصوص سريانية مأخوذة من العهدين القديم والجديد ومن الكتب المنحولة والتراث النصراني الشفهي. واكتمل على ما يبدو في عهد عبد الملك بن مروان الذي فرضه على الأقاليم الخاضعة لسلطانه. ويبدو انه كان متداولا لفترة ما باللغة الآرامية إلى حين احتاج عبد الملك إلى تعريبه بعد توسع رقعة الدولة وتغلبه على ابن الزبير وانضمام العرب إلى دولته. فرض عبد الملك نسخته المترجمة من القرآن لكنها لم تستمر طويلا. فقد أعيد النظر في مصحف عبد الملك وأضيف إليه على يد الحجاج. وفي أواخر القرن

---

[81] – من كتاب دراسة سريانية آرامية للقران، كريستوف لوكسنبرغ، ص ٧٩

الثامن تدخل الخليفة العباسي المهدي فأرسل إلى المدينة مصحفا يحل محل مصحف الحجاج. ومن الواضح في نسخة مصحف صنعاء أن النص الأصلي وهو نص عبد الملك قد تم محوه وكتب فوقه النص الجديد. وفي منتصف القرن العاشر الميلادي انتهى الجدل والتنقيح واعتمد النص النهائي المتداول الآن.

ومع أن المسلمين يجادلون بقوة أن القرآن في الأصل وضع باللغة العربية إلا أن الدراسة المتعمقة لبنيته تؤكد الآن انه نص مترجم وليس أصيلا. وفي القرآن نفسه ثمة آيات عديدة تشير إلى هذه الترجمة أو فسرت على أنها إشارة للترجمة. من هذه الآيات:

فإنما يسرناه بلسانك

وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا

قرآنا عربيا غير ذي عوج

فصلت آياته قرآنا عربيا

ماذا يعني أن يقول القرآن إن مضمونه موجود في كتب أخرى؟ إن هذا بحسب محمد علي عبد الجليل في مقالة له بعنوان ***الألفاظ الأعجمية في القرآن*** يعني حكما أن القرآن مقتبس من تلك الكتب. فإن كانت لغة هذا الكتاب الجديد تختلف عن لغة الكتب السابقة المقتبس منها فهذا يعني بالأكيد أن هذا الكتاب

الجديد هو ترجمة من تلك الكتب[٨٢]. فهو يقول: ولقد صرفنا وبينا وفصلنا وما شابه ذلك يعني التحويل من شكل لغوي إلى شكل آخر. كما أن عدم استبعاد المفسرين لفكرة أن ثمة كلمات في القرآن قد أخذت من الكتب السابقة يعني منطقيا إمكانية أن يكون القرآن كله أو كثير منه قد أخذ من غيره. ولا يمكن الأخذ من تلك الكتب إلا بطريق النقل أي الترجمة لان الكتب المقدسة السابقة لم تكن بالعربية مما يفترض وجود مترجمين قاموا بعملية النقل إلى العربية[٨٣].

في كتابه ***قراءة سريانية آرامية للقرآن*** يرى لوكسنبرغ[٨٤] أن القرآن المكي على الأغلب اعتمد على نصوص سريانية كانت تستخدم في الطقوس الكنسية بما فيها كلمة القرآن التي كانت القريانة أي كتاب القراءات الكنسية.

يرى لوكسنبرغ ويؤكد بشدة أن القرآن ترجمة عن نص سرياني وبهذا يمكن حل معضلات كبيرة في النص القرآني. فالتفصيل بحسب مفهوم القرآن يعني أمرين: أولهما يعني تعريبا ونقلا من لغة إلى لغة ليدرك السامعون مضمونه ويعملون بموجبه. *ولو جعلناه كتابا أعجميا* (كما هو الكتاب العبراني) *لقالوا لولا فصلت آياته*. فأكد لهم أن الكتاب نقل إلى العربية[٨٥] بواسطة خبير حكيم. فهو كتاب *أحكمت آياته ثم فصلت من لدن خبير حكيم*.

---

٨٢ – محمد علي عبد الجليل: الألفاظ الأعجمية في القرآن

٨٣ – محمد علي عبد الجليل: دور محمد في تأليف القرآن

٨٤ – The Syro Aramain Reading of the Koran

٨٥ –أبو موسى الحريري، قس ونبي، ص ٧٥ نسخة الكترونية

يقول التقليد الإسلامي أن الرواية الشفهية هي التي حفظت لنا القرآن بشكله المتماسك لكن ذلك الشكل تراجع بعد تدوينه. فهل كانت لغة القرآن عند ترجمته الأولى أكثر صفاء مما هو النص الذي وصلنا؟ سؤال يمس مصداقية الرواية الشفهية التي نقلت إلينا القرآن. وربما كانت كل الإشارات إلى عربية القرآن أضيفت بعد الترجمة لإبعاد الشبهة عن الأصل الآرامي له.

عندما يقول القرآن: بلسان عربي مبين فهذا لا يعني الفصاحة العربية التي نعرفها اليوم بل يقصد بها لسان العرب ليميزها عن لغة غير العرب الذين كانوا بين ظهرانيهم. ولذا فإن مقولة لوكسنبرغ بان النص القرآني كتب أولا بالآرامية ثم ترجم ولو ترجمة غير دقيقة تبدو معقولة. واستنادا إلى هذه المقولة فإن بعض الآيات الغامضة باللغة العربية يمكن أن تفهم إذا قرأت بلغتها الأصلية وهي السريانية. لا يقول لوكسنبرغ أن القرآن كله كان مكتوبا باللغة الآرامية[٨٦] ولكن برأيه فإن الذي كتبه كان يفكر بالطريقة السريانية ويكتب باللغة العربية.

والقرآن في رأي لوكسنبرغ[٨٧] كان أول محاولة في التعبير الذاتي باللغة العربية في ذلك الوقت حيث لم يكن هناك أي نموذج للغة المكتوبة. والذين بدأوا استخدام اللغة العربية استدعوا عناصر اللغة التي كانوا يستخدمونها في الحوار المتحضر ويمكن الافتراض أن تلك اللغة كانت الآرامية وليست العربية. ولذلك

[٨٦] – Hidden Origins of Islam

[٨٧] – مقابلة مع لوكسنبرغ نشرها إبراهيم جركس في الحوار المتمدن ٢٠١٠/١٠/٣١

فالعربية القرآنية يمكن أن تظهر كمزيج من العربية والآرامية أراد كتبة القرآن أن يخلقوا لغة مشتركة مفهومة ومقبولة لأكبر عدد ممكن من الناس.

في النص القرآني نجد كثيرا من الكلمات الغامضة أو من أصل غير عربي. وعدم فهم معاصري القرآن لها يدل على أنها ليست من لغتهم بل مقترضة من لغات وثقافات أخرى. ووجود كلمات غامضة يظهر أن القرآن مترجم من ثقافات مهيمنة إلى ثقافات خاضعة محلية وناشئة. والقرآن لذلك مترجم بطريقة الترجمة النازلة[٨٨] من لغة قوية إلى لغة ضعيفة. لذلك كان تحرير النسخة النهائية من القرآن ضعيفا ومواضيعه مرتبة بشكل فوضوي. وهذا مما يؤكد تطور القرآن عبر عشرات أو مئات من السنين.

الكلمات الغامضة غير المفهومة في القرآن هي كلمات سريانية عجز منقحو القرآن في القرنين الثامن والتاسع من فهمها على حقيقتها فاجتهدوا فيها بطريقة أساءت فهمها الأجيال اللاحقة. فأي كلمة تبدو غير معقولة بالعربية لا بد أنها سريانية ويجب البحث عنها في اللغة السريانية. واستنادا إلى نسخ قديمة من القرآن تظهر أن جزء من هذا الكتاب مأخوذ من نصوص نصرانية آرامية كانت موجودة سابقا تبين أن تلك النصوص أسئ فهمها بعد أن أسئ ترجمتها[٨٩] من قبل العلماء المسلمين الذين جاؤوا بعد تلك المرحلة وساهموا في إعداد القرآن

---

٨٨ – محمد عبد الجليل، القرآن نص مترجم، مقال في الحوار المتمدن ٢٠١٣/١/١٥

٨٩ – ألكسندر ستيل، نظريات جديدة جذرية عن أصول القرآن، ٢٠٠٢/٣/٢

المتداول بين أيدي الناس الآن. وقد كان مترجم القرآن على ما يبدو إذا ما واجهته كلمة لم يعرف ترجمتها يقربها إلى أقرب صيغة لها بلغة العرب فيستخدمها ويكمل عمله.

يبدو من أسلوب القرآن أن من ترجمه نقل المعنى بتصرف مع الاحتفاظ بآثار النص المصدِر لكي يعطي للنص قيمة وهمية. وهي ترجمة بالمعنى يسميها الخبراء: التكافؤ الديناميكي. وقد جمع مترجمو القرآن بين التكافؤ الديناميكي (أي ترجمة المعنى بتصرف في قالب عربي) وبين الترجمة المصدرية النازلة. فبدت فيه عبارات واضحة وعبارات وكلمات غير واضحة احتار في ترجمتها كبار اللغويين والمفسرين فظهرت فيه آيات بينات وآيات متشابهات[٩٠].

أخيرا ورد في طبقات ابن سعد منسوبا إلى زيد بن ثابت الذي تقول الرواية الإسلامية انه أشرف على جمع القرآن قوله: قال لي رسول الله انه يأتيني كتب من أناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو قال السريانية فقلت نعم فتعلمتها في سبع عشرة ليلة.

---

٩٠ – محمد عبد الجليل، القرآن نص مترجم، الحوار المتمدن ٢٠١٣/١/١٥

الفصل التاسع

الأصل والصورة

إن هذا لفي الصحف الأولى

صحف إبراهيم وموسى

كثيرون بحثوا في أصول القرآن وأصول ما يرويه من قصص وأحداث وروايات عن أنبياء وشخصيات عرفتها البشرية في العصور الغابرة وكذلك في الديانات السابقة. ونشر الدكتور كامل النجار بحثا مستفيضا بعنوان: ***الإسلام نسخة منتحلة من اليهودية***[٩١] وفي هذا البحث أوضح النجار أصل الأفكار الإسلامية ومصادرها في اليهودية سواء في التوراة أو التلمود أو غيرها من الكتب غير القانونية. ونشر إبراهيم جركس في الحوار المتمدن مقالات تحت عنوان ***مصادر القران بحث في مصادر الإسلام*** مترجمة عن غولدساك. وهناك كتاب سنكلير تسدال ***مصادر الإسلام***، وكتاب جون سي بلير بعنوان: ***مصادر الإسلام***. بالإضافة إلى عشرات المقالات التي تتحدث عن الأصول المختلفة للإسلام والقرآن. لكن كل تلك الدراسات والأبحاث تنسب الفضل في جمع تلك المواد من مصادرها ووضعها في منظومة دينية إلى النبي محمد على أساس انه شخصية تاريخية حقيقية قامت بكل ذلك العمل المنسوب إليه وينسبه المسلمون إلى الوحي.

ولكن بما أن مسالة الوحي مستبعدة كليا وكذلك شخصية محمد نفسها فان المصادر المشار إليها في تلك الكتب والدراسات وان كانت صحيحة إلا أن من جمعها هم الذين جمعوا القرآن في المرة الأولى ومن بعدهم من نقحوه وهذبوه

---

[٩١] – نشر البحث في الحوار المتمدن

وأضافوا عليه وحذفوا منه إلى أن استقر الوضع على النسخة التي يتداولها الناس الآن.

الكاتب السوري نبيل فياض يؤكد في كل كتاباته إن الإسلام أكثر من مجرد يهودية تلمودية. ويقول انه تم اخذ الكثير من قصص التلمود ***ترجوم يوناثان***" خصوصا القصص المتعلقة باليهود والذين سمعوا هذه القصص اعتقدوا أنها موجودة في التوراة ومن هنا كان التأكيد على ضرورة التأكد من القرآن بالعودة إلى أهل الذكر.

من اجل إقناع الناس بالكتاب الجديد تمت نسبته إلى الوحي والتنزيل. فقد وصف بأنه منزل كما نزلت الوصايا على موسى بالنص. ويحتج البعض بأنه لو كان القرآن صنعة بشرية لكان قد مجد أم محمد ولم يمجد أم المسيح. ولكن حيث أنه يمجد مريم أم عيسى ويرفعها فوق جميع نساء العالمين فهذه حجة يستخدمها المدافعون عن فكرة التنزيل محاولين إثبات أنه من عند الله. لكن فات هؤلاء أن تنزيه مريم أم يسوع ورفع مكانتها ناجم أصلا عن أن النص من البداية كان نصا نصرانيا وكان النصارى يجلون مريم ويصفونها حتى اليوم بأنها معونة النصارى.

ما هي المصادر التي اعتمد عليها واضعو القرآن من أجل إنجاز مهمتهم في كتاب يكون مرجعا دينيا لهؤلاء المؤمنين يجمعهم في إيمان واحد؟ فالمعتقدات التي تنسب إلى الإسلام الآن كانت شائعة جدا في الوسط الديني في القرن

السابع. ثمة بعض الكتب التي تحدثت عن أصول القرآن أبرزها كتاب تسدل: ***مصادر القرآن***، من بعض تلك المصادر: الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وكتب الأناجيل المنحولة والإنجيل العربي والعبراني وكتب النصارى والأبيونيين وكتب الأبوكريفا.

تنقل كتب التراث في بعض الأحيان قصصا وأقاويل تعطي تلميحات وقد لا تكون حقيقية ولكن ربما اخترعت خصيصا لإعطاء تلك التلميحات. فهل كانوا يتعمدون ذلك؟ ينسب إلى كتب التراث قولها إن النضر بن الحارث كان يعير "محمدا" بانه ناقل أقوال الفرس ولم يأخذ من الوحي شيئا. فقصص الفرس كانت منتشرة في البلاد العربية أيضا وكان النضر بن الحارث يحدث الناس بقصص الفرس ويقول "وما محمد بأحسن حديثا مني".

من أكثر الكتب التي أخذ منها لإعداد القرآن العهد القديم وأبرز الفصول التي اعتمد عليها كان سفرا التكوين والخروج. ويرى البعض[٩٢] إن القرآن ما هو إلا القراءة العربية للكتاب العبراني نقلت أخباره وفصلت بلسان عربي مبين ليدركها العرب ويؤمنوا بها. وفي كتاب آخر[٩٣] يتساءل أبو موسى الحريري إذا كان قسم من القرآن سابقا على عصر محمد كما يقول البعض من الباحثين فما هو هذا القسم؟ ومن كتبه؟ وهل من دليل عليه ومرجع؟ وإذا ثبت ذلك أيكون

٩٢ – أبو موسى الحريري، قس ونبي، صفحة ٧٥

٩٣ – أبو موسى الحريري، عالم المعجزات: بحث في تاريخ القرآن، ص ١٥٤ نسخة ألكترونية

القرآن نقلا أو ترجمة لذلك الكتاب؟ ما هو مدى مطابقة هذه الترجمة للأصل؟ وما هي اللغة الأصلية؟ ومن وضعه بلسان عربي مبين في حال كان الأصل بلغة أعجمية.

أما ونزبرو فيرى انه لا توجد أصول عربية للقرآن. ويشكك في الشعر العربي ويرى انه اخترع من أجل تبرير عروبة القرآن. أي أن إثبات عروبة شعراء الجاهلية تبرر عروبة النص القرآني وتخلق لغة عربية بأثر رجعي.

نرى في النص القرآني حديثا مبهما عن آيات محكمات هن **أم الكتاب** وآخر **متشابهات**. وعندما يتحدث القرآن عما يسميه أم الكتاب فهل يقصد ***الكتاب المقدس***؟ أم يقصد كتابا آخر كان عند النصارى؟ فهل الآيات المحكمات هن الآيات المطابقة تمام الانطباق مع آيات ***الكتاب المقدس*** (أي ترجمة كاملة ودقيقة) والمتشابهات هن الآيات التي تمت ترجمتها بتصرف؟ لقد تتبع البعض هذه المسألة ووضعوا جداول بالآيات التي تشبه إلى حد التطابق آيات الكتاب المقدس[٩٤]. ومن القصص[٩٥] التي اعتمد فيها القرآن على الكتاب المقدس وخصوصا العهد القديم منه: قصة الخلق، قايين وهابيل، قصة نوح، قصة إبراهيم، قصة موسى وهارون، قصة السامري وقوم موسى، قصة سليمان، وقصص غيرها كثيرة.

---

[٩٤] – ستتم الإشارة بالتفصيل إلى هذ الموضوع في فصل لاحق.

[٩٥] –كتاب الترجوم، فصل استير وعشتار

من المعروف أن هناك فئة من الأناجيل[٩٦] تناولت خصوصا ما سكتت عنه الأناجيل القانونية: تحدثت عن أصل يسوع ومولده وطفولته والظروف العجيبة التي أحاطت بمولده ورافقت سني طفولته وبعضها يشير إلى ألوهية الطفل وبتولية مريم قبل الولادة وفي الولادة وبعد الولادة ومن أبرزها إنجيل يعقوب و إنجيل الطفولة بالعربية والإنجيل المنسوب إلى متى و إنجيل توماس الإسرائيلي المسمى إنجيل توما.

هناك مصادر أخرى اعتمد عليها القرآن من أجل تفنيد عقائد المسيحية الهللينية. سادت في منطقة الهلال الخصيب بعض الأفكار الغنوصية وانتشرت تعاليم باسيليدس[٩٧] الذي كان ينكر موت المسيح على الصليب. كما انه ينكر تألم المسيح وعلم بأن سمعان القيرواني الذي حمل الصليب لمسافة ما في طريق الآلام كان قد حمل شبهة يسوع الذي وقف جانبا يضحك بينما الرومان يصلبون القيرواني. ومن هذا المصدر نفسه أخذ واضعو القرآن قصة رفع يسوع. من هنا مصدر القرآن بقصة الشبه وإنكار الصلب والرفع إلى السماء.

كانت هناك قصص أخرى منتشرة اعتمد عليها واضعو القرآن مصدرها كتاب منحول بعنوان: ***رحلات الرسل***. في هذا الكتاب أن يسوع لم يصلب وان أحد الذين ألقى عليهم شبهته هو الذي صلب.

---

[٩٦] – من تاريخ الفكر المسيحي ص ٤٣-٤٧ نسخة ألكترونية

[٩٧] – علم في الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي لكن أفكاره ظل لها أثر لقرون.

لقد حرم القرآن العديد من الأطعمة والممارسات والطقوس لكن هذا التحريم مصدره ما كان سائدا بين النصارى. فالكتاب قام بتثبيت تلك المحرمات وإضافتها إليه ضمن خطته الشمولية. من بين تلك المحرمات: النفور من الأصنام، تحريم ذبائح الأصنام، تحريم الربا، تحريم الخمر، تحريم الزنا، قطع يد السابق، تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير. وشدد من ناحية ثانية وعظم بعض الممارسات التي كانت شرطا للإيمان. وقد رأينا أن بعضها كان محل خلاف بين رسل المسيح لأنها كانت في نظر بولس مجرد شكليات ليس لها تأثير في الإيمان الحق. من ذلك الصوم على الطريقة اليهودية، والختان، والغسل من الجنابة. أما بالنسبة للأساسيات فكان أهمها التوحيد والإيمان بالبعث والحساب.

كانت هناك أصول وثنية أضافها واضعو القرآن وجمعوها مما كان سائدا في ذلك العصر بمنطقة الشام. يرد ابن الوراق[٩٨] كثيرا من الطقوس التي ثبتها القرآن ومن ثم الإسلام إلى أصول وثنية ويهودية وزرادشتية ومسيحية. فالكتب القديمة والأناجيل المنحولة وكتابات الهرطقات وأساطير الشعوب كلها مدونة الآن ومتوفرة للتدقيق والمضاهاة. فقصة ولادة يسوع مصدرها ***إنجيل الطفولة***، فتيان قصة أهل الكهف من كتاب ***قصة الشهداء***. وقصة مريم وزكريا من كتاب أبينا العجوز ***المقدس والنجار***. أما أسطورة ناقة صالح فهي معروفة عند العرب الأقدمين وكذلك قصة تحول بعض اليهود إلى خنازير فهي أسطورة شعبية كانت

[٩٨] - electronic Copy، Ibn Warraq،why I am not a Muslim

متداولة. وإذا أردنا ملاحقة القصص القرآني كلها وتحديد مصادرها فالمسألة سهلة وهينة[٩٩]. وقد قام كثيرون بهذه المهمة ووضعوا جداول بمضاهاة آيات القرآن وآيات الكتاب المقدس فيما يتعلق بالنقل المباشر للنصوص. أما بالنسبة للأساطير والقصص الشعبي التي أضيفت إلى النص فقد وضعت فيها جداول أخرى للمضاهاة والمقارنة.

وفي الموروث الإسلامي ما ينسب إلى أبي هريرة من أقوال[١٠٠] تشير بصورة أو بأخرى إلى مصادر القرآن. فينسب إليه قوله: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. وروي عن كعب الأحبار وكان يهوديا أسلم انه كان يجلس في المسجد وبين يديه القرآن والتوراة فكان يقرأ القرآن ويفسره بالتوراة.

أما الشعر فقد رأى البعض أن واضعي القرآن اخذوا من أشعار القدماء. ومع أن الشعر القديم مشكوك فيه وبشخوصه إلا أن الشعر نفسه ثابت وموجود مع انه منحول في العصور المتأخرة. وربما عاش واضعو القرآن وواضعو الشعر القديم في فترة متقاربة فاخذوا من بعض بدون إحراج. من هنا التشابه الكبير بين كثير من آيات القرآن وأبيات الشعر العربي. من هذا النقل على وجه الخصوص ما يقال انه منقول عن أمية بن أبي الصلت، أو امرؤ القيس، وربما غيرهما

---

[٩٩] – زكريا بطرس، هل القرآن كلام الله؟ نسخة ألكترونية منشورة على الإنترنت.

[١٠٠] – تدوين السنة، إبراهيم فوزي، نقلا عن طبقات ابن سعد.

أيضا. ولكن هنا يبرز تساؤل يتعلق بالأشعار المنسوبة للجاهلية. حيث أن ثمة تشابها بينها وبين بعض آيات القرآن فربما كانت تلك الأشعار أيضا مترجمة من حيث أفكارها عن السريانية. أي أن تلك الترانيم ترجمت وسارت في اتجاهين: الأشعار والقرآن. إلى درجة أن بعض السور القصيرة تبدو وكأنها مثل الشعر من حيث ترتيبها وموسيقاها.

يتحدث كتاب ***النقد الكتابي للقرآن***[١٠١] وهو من تأليف شاكر فضل الله النعماني عما يسميه تطور النص القرآني. وفيه جداول يثبت فيها مصادر القصص التي أخذها القرآن أو على الأصح واضعو القرآن من مصادر معروفة. ويصنف النعماني تلك المصادر إلى أربعة أبواب رئيسية وهي: المصادر اليهودية، والمصادر المسيحية (والنصرانية) والمصادر الفارسية وكذلك الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وفي هذا الكتاب تفاصيل مذهلة موضحة لكل قصة قرآنية ومكانها في المصادر الأخرى.

لا ننسى أن القرآن نفسه يشير ولو بشكل غير مباشر إلى مصادره. فما معنى أن يثبت فيه قوله: *ومن قبله كتاب موسى إماما، وهذا ذكر من معي وذكر من قبلي، مصدقا لما بين يدي، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا، وأنزلناه قرآنا*

---

[١٠١] – نسخة ألكترونية.

عربيا لعلكم تعقلون، إن هذا لفي الصحف الأولى، ومصدقا لما بين يدي من التوراة.

من المعروف أن القرآن يقسم إلى مكي ومدني. فالمكي بحسب الموروث الإسلامي التقليدي هو ما نزل بالوحي في الفترة المكية قبل الهجرة إلى المدينة المنورة يثرب وقد استمرت بحسب التقليد ثلاث عشرة سنة. أما القرآن المدني فهو ما نزل في المدينة بعد الهجرة. من الملاحظ أن النص المكي يبدو تبشيريا ومسالما يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة محاولا إقناع الناس بقبوله من دون محاولة فرضه بالقوة والإكراه. وعلى العكس من هذا ما يعرف بالقرآن المدني. فهو عنيف وعدواني ويدعو للتوسع والهيمنة وفيه تشريعات قاسية وخصوصا ما يتعلق منها بالجهاد وفرض الجزية والأحكام القاسية على المخالفين.

تفسير هذا التناقض ليس سهلا ولا مستحيلا لكنه ممكن عند إمعان النظر في الأصول والتدقيق في النص وكيفية وضعه. لذلك يبدو النص المكي إعادة كتابة للأدب السرياني الذي كان منتشرا في الشام وكذلك النقل عن المصادر التي تم التنويه عنها. فقد تمت الإشارة من قبل إلى أن القرآن هو نصوص قراءات طقسية وليتورجية كتبت في الأصل بالسريانية قبل أن تترجم إلى ما عرف بالقرآن العربي بعد استكمال بناء الدولة وتوسعها إلى دولة إمبريالية مترامية الأطراف. لم يكتب القرآن كله في مرحلة واحدة. وقد أضيف إليه في أوقات تالية نصوص أخرى. لكن المادة الأولى كانت تلك التي كتبت بالسريانية وأخذت عن

العهدين القديم والجديد والقصص التوراتي والأسطورة. أما المادة الأخرى التي تنسب إلى فترة المدينة وهي المادة القاسية فتبدو أحيانا على شكل تعليمات وأوامر وتشريعات وتفسيرات فقهية. وبعضها أشبه ما يكون ببيان رسمي من زعيم حربي أو ملك. ويرى مرغليوث في كتابه ***القرآن*** أن سورة التوبة على سبيل المثال هي في الواقع أشبه ما تكون ببيان أرسله "محمد" إلى مكة قبل فتحها[١٠٢]. ولكن إذا ما نقلنا الحدث إلى زمانه الحقيقي أي ما بعد الزمن الافتراضي لمحمد فيمكن أن تكون سورة التوبة هي بيان الفتح من عبد الملك بن مروان إلى مكة بزعامة ابن الزبير. ومع معرفتنا بما تمت إضافته إلى القرآن في أوقات لاحقة أي في العصر العباسي حيث تم ختم القرآن بنسخته النهائية، سنجد أن ثمة آيات تشتم أجداد عبد الملك من زعماء الأمويين وتصف جده بالمحتال وفي الوقت نفسه يصف خصومه الهاشميين بالمصطفين الأخيار. ولان العباسيين أقرب إلى الهاشميين فقد مدحوا الهاشميين في القرآن ومجدوهم وجعلوا محمدا واحدا منهم مع أن نص القرآن الآن فيه شتم لأحد أعمام محمد[١٠٣].

إذا كان القرآن انتسب للكتاب الذي قبله وأخذ من مصادر مسيحية ويهودية ونصوص الليتورجية السريانية فلماذا لم يأخذ اسم الإله كما هو في الكتاب؟

---

[١٠٢] – ص ٣٣ نسخة ألكترونية.

[١٠٣] – قوله: تبت يدا أبي لهب ...

لماذا ترجم واضعو القرآن اسم الإله العبراني يهوه، واسم الإله الآرامي الوها، إلى الإسم العربي: الله.

السبب الممكن لهذا الاختلاف والتناقض هو رغبة واضعي القرآن في جذب الأعراب الذين كانوا يعبدون الله ويطلقون اسمه على أكبر أصنامهم. فعندما انتصر عبد الملك على ابن الزبير وتم ضم الجزيرة العربية إلى مملكة الأمويين وبدأت عملية ترجمة النص إلى لغة الأعراب تم اعتماد اسم الله العربي الذي كان مبجلا عند أولئك الأعراب. يعبدونه ويسمون أبناءهم بالانتساب إليه. وهذا الله ليس اسم عام يعني الإله الحقيقي بل هو اسم وثن كان يعبد من قبل العرب قبل الإسلام. ولم يأت هذا الإسم من الكتاب المقدس بل من الصابئة الذين كانوا يعبدون إله القمر المعروف بهذا الإسم. وانتشرت عبادة إله القمر في جنوب سوريا والعراق وشمال الحجاز. وهي المنطقة التي بدا فيها القرآن ومن ثم الإسلام. من هنا اتخذ الإسلام هلال القمر شعارا له. كانت قريش بحسب الموروث أكبر قبيلة عربية وكانت تعبد الله إله القمر ومن أجل استرضائها وضمها إلى مملكة عبد الملك اضطر إلى اعتماد اسم إلهها وتعميمه لكي يقنع القبيلة بالانضمام إلى الدين الجديد الذي أسسه. ولأن قريش كانت ملتزمة بالله وبناته الثلاث: اللات والعزى ومناة. وكان العرب يصلون لها وأصنامها في الكعبة يصلون باتجاهها. فكان تبني اسم الله كاله والكعبة قبلة للصلاة الأمر الذي سهل كثيرا ضم الجزيرة العربية إلى المملكة العربية.

الفصل العاشر

المسيح والمسيحية في القرآن

جدل تفنيد قطيعة

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم

إنـي عبد الله آتانـي الكتاب وجعلنـي نبيا

"

يبدو الإسلام في صورته الحالية وكأنه مجرد مقارعة للمسيحية ومناكفة لها. أشبه ما يكون بالمذهب المنشق الذي يصبح همه وهدفه مقارعة المذهب الأم. وهذا شيء مفهوم بالاستناد إلى ما تم تفصيله حتى الآن. فالإسلام هو المسيحية الشرقية أي النصرانية المناهضة للمسيحية الهللينية. فيكون بذلك عبارة عن مسيحية أو يهودية منزوعة الألوهية مفتقدة للكهنوت لا تعرف معنى المسح ولا الخلاص. ولذا فإن شخصية المسيح اللاهوتية مفتقدة في الإسلام. والسبب أن الإسلام دين بسيط مفرغ من اللاهوت والفلسفة والروحانيات ولم يكن سوى إطار عام لفكرة دينية. ولذا فالإسلام ينكر اشد الإنكار كلا من بنوة المسيح لله، والثالوث والصلب والقيامة وبالتالي ينكر التجسد والفداء. أي انه لا يؤمن بفكرة الخلاص المسيحي أو بالأحرى فكرة الخلاص فكرة لا وجود لها في الإسلام. وبذلك يتماهى الإسلام مع النصرانية الشرقية.

لقد تم إدخال الفكرة المسيحانية أي الحاجة إلى قدوة مختارة تكون مركز الدين الجديد، أن يكون هناك نبي عربي نظير لأنبياء المسيحية واليهودية الذي يوحد العرب في أمة واحدة دينيا وقوميا. وقد كان عبد الملك هو من فعل ذلك. لكن الإسلام أخذ من المسيحية كل ما هو بسيط وسهل وترك كل ما هو صعب ومعقد ولذلك فإن البساطة هي كلمة السر في الإسلام. وهذا امر مغر جدا ليتبعه العرب. وهؤلاء العرب لم يكونوا أصحاب شعور ديني عميق أصلا ولم تكن

ثقافتهم الدينية متأصلة فيهم[١٠٤]. وهذا ما جعل البعض يطلق على الإسلام وصف المسيحية المنزوعة اللاهوت.

وإذا كان المسيح اللاهوتي مفقودا في القرآن فإن المسيح النبي الإنسان موجود بكثرة. وعديدة هي الآيات التي تذكر بشرية يسوع وتنكر لاهوته وترفض التجسد والفداء وبالتالي تنكر الصلب والقيامة كما تبين آيات كثيرة في هذا الصدد. ومع ذلك يتمتع يسوع المسيح في القرآن بمرتبة خاصة جدا تفوق مرتبة محمد الذي يفترض انه الشخصية المركزية في القرآن لكنه ليس كذلك فالمسيح هو الشخصية المركزية في القرآن. فقد جعل المسيح فوق كل الأنبياء وهو الوحيد بينهم بدون آثام والوحيد بينهم الذي يمكن أن يشفع والوحيد الذي سيعود حيا آخر الزمان. وهو الوحيد المولود من عذراء والوحيد الذي رفع إلى السماء والوحيد الذي أيده الله بالمعجزات والوحيد الذي اعتبره القرآن آية للعالمين وقد جعل الذين اتبعوه *فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة*.

المسيح في القرآن هو عيسى بن مريم بشر سوي ولد كسائر الناس وخلقه الله كما خلق آدم من تراب وان كان ذلك بطريقة معجزة. وهو في النصرانية أيضا يسوع بن مريم وبشر بين البشر ولد كسائر الناس وخلق مثل آدم من تراب ولكن بطريقة معجزة[١٠٥].

---

[١٠٤] – تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١٢٤

[١٠٥] – جوزيف قزي، مسيح القرآن ومسيح المسلمين ص ٨٨ نسخة ألكترونية

بالنظر إلى آيات القرآن نجد أن المسيح نبي مرسل من أولي العزم من غير آثام ومولود من عذراء وسينزل يوم القيامة ليحكم بين الناس ومع ذلك ينكر القرآن ألوهيته. ويفصل[١٠٦] القرآن قضية المسيح في ثلاث سور رئيسية وهي: آل عمران والمائدة ومريم. أكثر ما ينكره القرآن من المسيح صلبه وموته وقيامته. يرفض الإسلام فكرة الصلب ويدعو إلى فكرة الشبه حيث أن الله أنقذ مسيحه بأن القى شبهته على غيره ليصلب نيابة عنه وينجو المسيح ويرفع إلى السماء. وقد رأينا في مكان سابق أن فكرة الشبه كانت بدعة انتشرت بين النصارى وتطورت إلى ما نقله القرآن عن مسالة الصلب. أي انه ينكر الفداء وهنا مكمن الفكرة الأساسية التي من أجلها انفصل النصارى عن المسيحيين وتطورت عقيدتهم فيما بعد.

إذا تتبعنا كل ما جاء عن عيسى / يسوع في الفكر القرآني عن ميلاده وعن حياته ومعجزاته وإنكار ألوهيته فإن كل ما ذكره القرآن على انه وحي إلهي ما هو إلا تلخيص وإيجاز وانتقاء لعقائد مهرطقة سبقت الإسلام بقرون. وخلال تلك القرون ظهرت عقائد مختلفة ومتعددة اختلفت مع بعضها البعض كما اختلفت مع المسيحية الأم.

عندما تبلورت النصـــرانية وقام عبد الملك بن مروان بجمع كتابها شـــدد على النصـوص التي تدعم فكرة بشـرية يسـوع المسـيح. ونعى على المسـيحية

---

[١٠٦] – زويمر، المسيح المسلم، نسخة ألكترونية The Muslim Christ, internet version

الهللينية التي يدعو اتباعها بأنهم أهل الكتاب، ينعى عليها إيمانها بألوهية المسيح ودعاها إلى كلمة سواء، إلى التوحيد الخالص على الطريقة الموسوية. وكان النصارى يرون في تأليه المسيح كما نص عليه قانون الإيمان النيقاوي مسالة أقرب إلى الكفر. وقد قالوا ذلك صراحة في القرآن. فالقرآن ليس فقط مجاميع نصوص من الكتاب المقدس وغيره من الكتب المنحولة بل أيضا فيه نصوص عقائد نصرانية وما يبدو ردا عقائديا على مجمع نيقية. فالقانون النيقاوي يقر أن *المسيح هو ابن الله الوحيد، المولود من الآب، إله من إله، المساوي لله في الجوهر- الذي نزل من السماء وتجسد وصلب ومات وقبر وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وسوف يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات*. لم تقبل النصرانية من هذا النص سوى أن *المسيح صعد إلى السماء وسياتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات*. في أكثر من مكان في النص القرآني تتم مناهضة هذه الأفكار. لقد تم إثبات رد النصرانية على قانون الإيمان النيقاوي في آيات متفرقات[١٠٧] في قريانة عبد الملك التي صارت القرآن. آيات تزيد كلماتها على أكثر من ثلاثمئة كلمة. أبرزها ما جاء في سورة الإخلاص. سورة الإخلاص قصيرة من أربع آيات لكنها واضحة جدا مختصرة ومباشرة في الرد على فكرة الألوهية والولادة. *قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد*. وثمة آيات كثيرة متناثرة في قريانة عبد الملك جمعت من كتب النصارى وردودهم لمواجهة المسيحية الهللينية التي أقرت ألوهية المسيح وبنوته لله ومساواته له في الجوهر. هذا هو جوهر القرآن وجوهر الإسلام: نصرانية يهودية معادية للمسيحية الهللينية تؤمن بالمسيح نبيا

---

[١٠٧] – تم وضع نص تلك الآيات في نهاية الفصل

بشرا وتقيم التوراة والناموس على شريعة موسى والنبيين. وقد كان رأي النصارى الأبيونيين في ردهم على مقررات نيقية أن المســـيح ليس مولودا من الله الآب، بل مخلوقا وهو أحد رؤساء الملائكة المالك عليهم.

يشار إلى يسوع في القرآن بتسعين آية موزعة على خمس عشرة سورة لكن مع هذا ينفي القرآن عن يسوع صفة المخلص والرب. فالقرآن[١٠٨] يضع معايير محددة للنبوة ويطبقها على يسوع كنبي. وهو يتعامل مع يسوع على انه شخصية مهمة جدا ويعطيه الكثير من الأوصاف التكريمية ويسميه آية، ورحمة، وشاهد، ومثل، وشخص من المقربين ويصفه بانه المسيح ابن مريم رسول ونبي وعبد الله وكلمته وروح منه لم يلوث بالإثم وليس مضطرا لطلب المغفرة.

في إنكار الألوهية عن يسوع يتفق القرآن مع النصرانية اتفاقا كاملا[١٠٩]. ويختلف بذلك عن المسيحية اختلافا تاما. وبسبب ذلك الاتفاق قيل إن الإسلام هو النصرانية الشرقية، وبسبب الاختلاف مع المسيحية الهللينية قيل إن الإسلام هو دين التوحيد الخالص. ولأن قريانة عبد الملك ليست فقط مجرد نصوص مجمعة بل أضيف إليها رسائل ومجادلات من قبل اكليروس عبد الملك نجد فيه نصوصا من مثل: *يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق*. فأهل الكتاب هم المسيحيون أصحاب التأليه والتثليث. يسمون باهل الكتاب لان كتابهم بأيديهم معروف مسبقا ومحدد ولم يكن في طور الإعداد كما هو كتاب النصارى. بالتأكيد هذه الرسالة النصرانية إلى أهل الكتاب لا تعنى اليهود.

---

١٠٨ – Jesus in the Quran, electronic version

١٠٩ – جوزيف قزي، مسيح القرآن ومسيح المسلمين، ص ٨٧ نسخة ألكترونية.

وبالتالي فإن وصف أهل الكتاب لا يقصد به اليهود والنصارى كما تقول المرويات الإسلامية بل هو وصف المسيحيين الذين يتبعون المسيحية الهللينية. ولتأكيد ذلك فإنه يدعوهم لإقامة التوراة والإنجيل معا *قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل* (المائدة). فاليهود يقيمون التوراة وحدها ولما قامت منهم أمة تقيم التوراة والإنجيل معا كانت أمة النصارى. وبقي المسيحيون وحدهم الذين يقيمون الإنجيل من دون التوراة فدعوتهم لإقامة التوراة والإنجيل معا يؤكد أن هؤلاء هم أهل الكتاب وليس غيرهم. لذلك يطالبهم شيوخ النصارى بالتخلي عن تأليه المسيح والتخلي عن بنوته لله لأن العقلية الشرقية المتأثرة بالعقيدة اليهودية والتوحيد العبراني الخالص يجعل من الصعوبة بمكان هضم فكرة الثالوث وتقبل فكرة التجسد. ولان النصارى كانوا يلتزمون شريعة موسى والناموس ولان اليهود لم يتقبلوا المسيح الإله بل ورفضوا مجرد الاعتراف بنبوته كان موقف النصارى مماثل لموقف اليهود من المسيحية الهللينية وكانوا البوق الذي استخدمه اليهود لمحاربتها.

النصارى في الإسلام هم الذين امنوا وعملوا الصالحات وأولئك هم خير البرية. امنوا بعيسى بن مريم على انه نبي جاء ليكمل ناموس موسى وكانوا يقيمون التوراة والإنجيل وما انزل إليهم من ربهم. هم أمة وسطا، أمة مقتصدة في عقيدتها. لا تظلم حق عيسى مثل اليهود فتعتبره إنسانا عاديا، وهي لا تغلو فيه مثل المسيحيين فتعتبره إلها أو ابن إله. هؤلاء النصارى جزاؤهم عند ربهم

جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه[١١٠].

لقد ورد اسم عيسى في القرآن خمسة وعشرين مرة بصفة عيسى بن مريم وذكر باسم المسيح ثماني مرات وبصفة كلمة الله مرتين وبصفته روح الله ذكر مرة واحدة وذكر خمس مرات ملحقا باسم موسى.

ربما كان للصراع المسيحي اليهودي تأثير على تسمية يسوع في القرآن. فالقرآن يسميه عيسى وهذه معضلة من غير الواضح سببها وأصلها. ومع ذلك يمكن تقدير تلك الأسباب. فهذا الإسم قد يكون تحريفا لاسم يشوع السرياني أو لأغراض القافية ليكتمل السجع مع اسم موسى. وربما كان اسم الازدراء الذي استخدمه اليهود لوصف يسوع باستحضار اسم عيسو الذي باع بكوريته ليعقوب ونال غضب أبيه اسحق. فاليهود هم الذين حرفوا اسم يسوع ليصبح عيسى أو عيسو. وقد أخذها النصارى العرب دون أي نظر منهم في القصد اليهودي الخفي المناهض ليسوع المسيح.

الاختلاف بين النصرانية والمسيحية يتعلق بيسوع المسيح: حقيقة هويته وسبب قدومه للعالم. على الدوام كان ينظر إلى النصرانية على أنها بدعة وهرطقة ومسيحية منشقة عن الكنيسة الأم. وعندما بدأت تلك الهرطقة تأخذ شكل دين جديد لم يأخذ المسيحيون الأمر بالجدية الكافية. فالقديس يوحنا الدمشقي كان يعتقد انهم إسماعيليون لم يفهموا الكتاب المقدس. كان يوحنا الدمشقي واسع الاطلاع على تفاصيل النصرانية عندما بدأت تتبلور على شكل دين جديد وإن

[١١٠] – جوزيف قزي، مسيح القرآن ومسيح المسلمين ص ١٠ نسخة ألكترونية.

لم يرها كذلك. وهو لم يذكرها باسم الإسلام ولا باسم النصرانية، لكنه وصفها بأنها هرطقة الإسماعيليين ووصفها بالعتمة الروحية المليئة بالخزعبلات المضللة. لم يخطر ليوحنا الدمشقي أن الإسلام دين مختلف. وما دام أن لاهوتيا كبيرا في قامة يوحنا الدمشقي ظن واعتقد أن الإسلام المحمدي شكل من أشكال المسيحية المهرطقة فليس غريبا انتشار هذا الدين بتلك السرعة التي انتشر فيها.

كان النصارى في بداية توحيدهم وتكتلهم بزعامة الأمويين يتوددون لأهل الكتاب من المسيحيين وكانت العلاقة معهم ودودة وإيجابية وكانوا يصفوهم بالمؤمنين. من هنا كانت تلك الآية التي تفرق بين المسيحيين واليهود في العلاقة مع النصارى. تقول الآية: *لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا* ... وكأنهم يريدون إفهامهم أن من بين النصارى رهبان وقسيسين مثل المسيحيين تماما وانهم يودونهم ويحبونهم. كذلك ثمة آية أخرى تتودد للمسيحين أهل الكتاب وتفرق بينهم وبين اليهود: *من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين*. ولكن عندما لم تجدي هذه الوسائل تحول الجدل إلى تفنيد ومن ثم صار قطيعة شبه تامة ثم قطيعة كاملة وصراع مسلح بعد اكتمال الدولة وتوسعها.

الآيات القرآنية التي ترد على قانون الإيمان النيقاوي

قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

(الإخلاص)

وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم (النساء ١٥٧)

يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى أبن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد (النساء ١٧١)

لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبرهم فسيحشرهم إليه جميعا (النساء ١٧٢)

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار (المائدة ٧٢)

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد (المائدة ٧٤)

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل (المائدة ٧٥)

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكن غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (المائدة ٧٧)

إذ قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله (المائدة ١١٦)

ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه (مريم ٣٥)

قالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن ادعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا (مريم ٩٠-٩٢)

وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا لوم يكن له شريك في الملك (الإسراء ١١١)

الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك (الفرقان ٢)

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه (البقرة ١١٦)

بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (الأنعام ١٠١)

قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه (يونس ٦٨)

وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (الكهف ٤)

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (الأنبياء ٢٦)

ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون (المؤمنون ٩١)

وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا (الجن ٣)

لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار (الزمر ٤)

الفصل الحادي عشر

اليهودية في القرآن

(تقارب . قطيعة . صراع)

ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه

وجعلناه هدى لبني إسرائيل

ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون

عندما تم جمع القريانة الأولى اهتم الجامعون بالأخذ من توراة اليهود. ولذلك كثرت في السور الأولى قصص الأنبياء. بطبيعة الحال عند دراسة الترتيب الكرونولوجي لسور القرآن فإن هذا الترتيب غير دقيق وغير مضمون وإنما هو تقديري ومجرد تخمينات حاول المفسرون والمؤلفون وضعها. ولذا نجد الترتيب الكرونولوجي يختلف بين المفسرين وبين المستشرقين. ومع ذلك يمكن القبول بذلك الترتيب لأغراض البحث.

ولأنهم نصارى يؤمنون بشريعة موسى ويرغبون بتطبيقها مع إيمانهم بالمسيح ورسالته دون فكرة التجسد والفداء التزموا الأخذ من التوراة وجمع قصص أنبيائها وأحداثها في القريانة التي ستكون كتاب صلاتهم. لكن هؤلاء اليهود أصحاب التوراة لم يكونوا في الحجاز بحسب ما يقوله التاريخ وإن كان منهم عدد ضئيل جدا فليس إلى درجة التأثير بهذا الشكل. من هنا فإن التأثير اليهودي على القريانة نابع من كون تلك القريانة تم إعدادها في البلاد السورية وليس في بلاد الحجاز.

فالكتابات التي وضعت عن يهود الحجاز لا تستند إلى مؤلفات تاريخية[١١١] معاصرة للحدث ولا إلى نصوص جاهلية عربية أو أعجمية لها علاقة باليهود. لكنها تستند إلى روايات إسلامية ذكرتهم وأشارت إليهم لمناسبة ما وقع بينهم وبين محمد من خلاف. وقد ورد شيء كثير بحقهم في القريانة ومن ثم في

[١١١] – باسيليوس زينو، يهود شبه الجزيرة العربية مقال في الأوان، ٢٠٠٩/٨/٩

الحديث المنسوب إلى محمد. من الغريب انه لم توجد أي كتابات أصيلة سواء يهودية أو غير يهودية تتحدث عن يهود يثرب أو الحجاز. ورغم خطورة أحداث مثل حروب اليهود مع المسلمين إبان فترة ما يعرف بدولة المدينة وأحداث مثل إجلاء اليهود من المدينة فلا توجد أي كتابات موثقة عن هذه الأحداث سوى ما كتبه الرواة المسلمون الذين وضعوا سيرة الإسلام[١١٢]. وتشير دراسة بعنوان: ***دراسة سريانية آرامية للقرآن*** أن التاريخ لا يشير أبدا إلى وجود يهود في يثرب. ولذا فيكون موقع الأحداث في شمالي الحجاز أو جنوبي الأردن. وقد وجدت هناك آثار للإلهات الثلاث اللات والعزى ومناة[١١٣]. لم يوجد في المدينة[١١٤] أي نقش بالعبرية رغم أن حجارتها مليئة بالنقوش الثمودية والصفوية واللحيانية. لكن البحوث والحفريات أثبتت وجود يهود في شمالي الحجاز عند مدائن صالح وتيماء ولكن لا نجد نقشا عبريا واحدا في يثرب مع أن الموروث والتقليد الإسلامي أخبرنا بوجود اليهود فيها مدة قرون.

لقد كان اليهود بحسب ما تذكر الروايات[١١٥] يدعمون تلك الدعوة النصرانية التي بدأت تتحول تدريجيا إلى دين مستقل. وتشير روايات إلى أن اليهود في العراق مثلا كانوا يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والإكرام لأنهم

---

[١١٢] – المصدر السابق.

[١١٣] – دراسة سريانية آرامية للقرآن، الأوان. نسخة الكترونية

[١١٤] – محمد النجار، مدخل إلى تاريخ المدينة، الأوان نسخة ألكترونية ٢٠١١/٤/٢٤

[١١٥] – إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص ١٠ نسخة ألكترونية

كانوا يؤثرونهم على غيرهم إذ يرون فيهم قوما يؤمنون باله موسى وإبراهيم. وازدادت تلك الروابط متانة مع الوقت إلى أن دخل اليهود في جيوش المسلمين ليناضلوا معهم في الأندلس. ويعتقد ولفنسون انه لو ظهر شخص يهودي ذو عاطفة ربانية قوية ودعا العرب إلى الدخول في دين جديد يشبه اليهودية في جوهره ويبقى عربيا في عاداته وتقاليده لكانت دعوته قد وجدت آذانا مصغية وقلوبا واعية. فماذا فعل عبد الملك عندما جمع النصارى على ملة واحدة ووضع لهم القريانة سوى أن دعا إلى التوحيد الخالص مثلما يدعو اليهود ومجد إله إبراهيم وموسى مثلما يفعلون وأبقى على الإطار العربي الذي هو التقليد المعروف إلى الآن.

وما يقال عن يهود المدينة يقال عن يهود مكة. فهؤلاء لم يكتب عنهم أحد ولم يشر إليهم أحد في أي نص أو نقش أو كتابة أو شعر خارج نطاق المرويات الإسلامية المتأخرة. وان كان هناك البعض منهم فإن عددهم كان ضئيلا مثلما الأمر في المدينة لا يستحق الكتابة.

يذكر الموروث أن محمد قام بطرد قبيلتين يهوديتين من يثرب وأباد قبيلة ثالثة عن بكرة أبيها. لكن أحدا خارج الكتابات التقليدية الإسلامية لم يذكر هذه الأحداث ولا حتى من اليهود أنفسهم. وربما كان اختراع مثل هذه الأحداث وبهذه القسوة محاولة لإثبات أن الدين الجديد نشأ في الحجاز بحسب الرواية المتأخرة التي وضعت في السنين التالية.

التقارب والمودة بين النصارى واليهود في البلاد السورية دام ستة قرون تقريبا إلى أن أراد اكليروس الدولة الأموية تأطير النصرانية بنص مقدس مستقل. في البداية كانت النصوص ودودة مع اليهود، متسامحة مع عقيدتهم وداعية لهم لكلمة سواء. تحدث النص في البداية عن إيمان اليهود ولم ينتقص منه وترك الفصل فيه لله يوم القيامة. واستعمل معهم الترغيب والترهيب فقال لهم أن شاهدا من بني إسرائيل شهد على مثله فآمن واستكبرتم. يريد النصارى من اليهود الإيمان بالمسيح الذي رفضوا نبوته من الأصل. كان أبرز ما يشير إلى التقارب مع اليهود ومحاولة استمالتهم هو التزام شريعة موسى ومن ثم إنكار الصلب بما يتضمن تبرئة اليهود من دم المسيح وهم الذين قالوا بحسب الإنجيل دمه علينا وعلى بنينا. فإنكار الصلب بحسب العقيدة النصرانية يحمل أكثر من معنى. فهو أولا تبرئة لليهود وإلقاء الملامة على الرومان الذين قاموا بالتنفيذ. وهو ثانيا محاولة للتأكيد على فكرة توراتية بأن الأنبياء يموتون بسلام ولا يموتون بالعنف. وكان جدل اليهود بشأن المسيح أن الله لن يقبل أن يصلب نبيه لو كان صحيح النبوة[١١٦]. فإن أقرت النصرانية بصلب المسيح وقتله فإنها بذلك بحسب الفكرة اليهودية تنكر نبوته ومن هنا أصرت على إنكار الصلب ومن ثم تبنت فكرة الشبه المأخوذة من بدعة باسيليدس بقصد إقناع اليهود بالانضمام إلى أمتهم.

---

[١١٦] W. Montgomery Watt. Muhammad: Prophet and Statesman –

ويمكن إجمال محاولة النصارى التقارب مع اليهود من خلال تبنيهم الأفكار التالية:

- الصلب: لم يصلب على الصليب وإنما ألقى شبهه على شمعون الذي صلب بدلا منه وربما كان الهدف أيضا تبرئة اليهود من دم المسيح بنسبة الصلب إلى الرومان وليس اليهود.
- عيسى: استعمل النصارى الإسم الإسيني عيسى لنفي صفة المخلص وجعل يسوع نبيا فقط
- تحريم الخمور: حرموا الخمر في الدنيا على امل أن يشربوها في الجنة
- طفولة مريم: مريم تهب حملها إلى الهيكل وكان رزقها يأتيها عبر الملائكة تماشيا مع الرواية التلمودية
- لحم الخنزير: حرموا لحم الخنزير التزاما بشريعة موسى والتلمود

كل هذا التودد لم يقنع اليهود بترك دينهم وتوراتهم والقبول بالمسيحية النصرانية ولا بالمسيح حتى مجرد نبي. عند هذه النقطة انتقل النصارى إلى الهجوم وخصوصا أن دولتهم كان تتشكل وكان اليهود شراذم بدون دولة. هناك آية في سورة البقرة تقول إن اليهود يكذبون الأنبياء ويقتلونهم وتنص على ما يلي: *ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم*

ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون؟ أي أنهم كذبوا موسى وقتلوا عيسى وكان هذا أقسى اتهام يوجهه النصارى إلى اليهود وبعدها كانت القطيعة. ووضعت نصوص تعيب على اليهود انحرافهم عن كتابهم الذي تنبأ بالمسيح. فقد تحدثت التوراة كثيرا عن النبي الآتي الذي هو المسيح وفقا للتقليد. هناك في التراث الإسلامي حديث كثير عن نبوة الكتاب المقدس عن *النبي الآتي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة... أقيم لك نبيا من بين أخوتك...* وهناك ثماني عشرة آية تهاجم اليهود في هذا المجال وحده. ومع أن النصرانية احترمت اليهودية والتزمت شريعتها لكنها واصلت منافحة اليهود وتطور الأمر إلى درجة معاداتهم وقتالهم. من هنا كان الحديث عن انحرافهم وتحريفهم ووضعت الروايات التي تتحدث عن حنثهم المواعيد وغدرهم ومكرهم وقتلهم الأنبياء وما إلى ذلك من قصص كثيرة متواترة في المرويات الإسلامية المتأخرة. لكن ما يلفت الانتباه في الإسلام هو احتواؤه على الإسرائيليات من رأسه إلى قاعدته واختص اليهود بالكثير من الآيات ومع ذلك فهو يواصل تحذير اتباعه منهم. والغريب أن الإسلام مملوء بما يتطابق مع اليهودية مما يعني أن التحذير من اليهود حدث متأخر ومقصود منه تحويل الأنظار حتى لا يكتشف الاتباع حقيقة المصدر الأصلي.

وقد يبدو في بعض الأحيان أن المسيحية اليهودية أي النصرانية لا تريد مجرد شريك بل تريد إخضاع المسيحية الهللينية وكذلك إخضاع اليهودية العبرانية فكان لا بد من محاربة الطرفين عندما اكتمل الإطار واستقر الأمر على

الانفصال النهائي للنصرانية في دين جديد متوافق تمام الإتفاق مع اليهودية التوراتية ومختلف اشد الاختلاف مع المسيحية الهيللينية.

الفصل الثاني عشر

المؤتلف والمختلف

الله أنزل أحسن الحديث كتابا متشابها

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

في فصل سابق رأينا القرآن يصرح بأن ما يعلنه إنما كان في الصحف الأولى أي صحف إبراهيم وموسى وهي التوراة والتلمود والإنجيل وغيرها من كتب اليهود والنصارى. في هذا الفصل سنفصل أكثر ونحدد أين وكيف وفي أي صورة توافقت قريانة الأمويين مع ما سبقها. لم يأت هذا التوافق صدفة بل كان مدبرا من البداية. فالقرآن أو القريانة هو كتاب القراءات الذي أمر بوضعه عبد الملك للنصارى عندما جمعهم في ملة واحدة لمواجهة المسيحيين الهللينيين الذين يغالون في المسيح ومواجهة اليهود العبرانيين الذين يرفضونه كلية. أراد إحياء الأمة الوسط التي تقيم التوراة والإنجيل وتؤمن بالمسيح نبيا رسولا.

توافقت النصرانية مع التوراة في نواح كثيرة واضحة جدا في معظمها وقليل منها بحاجة إلى توضيح. المشكلة الكبرى في القرآن الحالي تشابك نصوصه واختلاطها وسوء تبويبها. ربما كان الأمر مقصودا لإخفاء التشابهات والمقاربات بينه وبين كتب السابقين وبخاصة الإنجيل والتوراة. ومع ذلك قام كثيرون بالبحث والكشف عما هو مخفي واظهروا بالضبط وبتفصيل وتحديد أين يلتقي القرآن مع التوراة ومع الإنجيل ومع التراث ومع كتب الأقدمين وأساطيرهم وكتبهم المنحولة وأشعارهم.

لا نأتي هنا بجديد أو خطير ولكن لاستكمال البحث لا بد من الإشارة إلى مواطن التشابه التي أراد منها النصارى استمالة اليهود والمسيحيين من أجل الانضمام إليهم في أمة مقتصدة تقيم التوراة والإنجيل وتؤمن بموسى وعيسى

والنبيين وترفع لواء العروبة. وكما كان للروم عقيدتهم وكتابهم أراد الأمويون أن يكون لأمة العرب عقيدتها وكتابها.

يعزو المدافعون عن الإسلام التشابه بين قصص القرآن وقصص الكتاب المقدس بأن المصدر للإثنين واحد فهي كتب منزلة من عند الله. قول التقليد الإسلامي في هذا الخصوص دفاعي محض. لكن الحقيقة أن تلك النصوص المتشابهة مع الكتاب المقدس وقد وصفت بالمتشابهات إنما تتشابه لأنها جمعت من الكتاب المقدس نفسه ومن ترجماته سواء الكتابية أو الشفهية أو القصص الشعبي الذي كان يرافقها بين البسطاء من الناس.

في مقابلة مع موقع الحوار المتمدن يرى نبيل فياض وهو أكاديمي سوري وباحث في الأديان المقارنة ويحمل رأيا واضحا في الإسلام يرى أن القرآن مليء حتى الثمالة بالأساطير الحاخامية المأخوذة عن التلمود أو المدراش[١١٧]. وتم تبني كثيرا من شرائعها وطقوسها. وفي المقابلة نفسها يؤكد نبيل فياض أن معظم شرائع الإسلام عندما اكتمل كانت مأخوذة عن اليهودية. وفي كتابه "***حكاية إبراهيم***" يكشف نبيل فياض أن حجم التطابق بين التلمود البابلي والنصوص القرآنية المقابلة يبلغ حدا كبيرا حتى لنجد الألفاظ ذاتها في بعض الأحيان[١١٨].

---

١١٧ – مقابلة نبيل فياض مع الحوار المتمدن ٢٠٠٧/٥/٢٣

١١٨ – المقابلة نفسها في الحوار المتمدن ٢٠٠٧/٥/٢٣

هناك الكثير من الأدب اليهودي المنحول والمشكوك في صحته أغلبه من التلمود يعود تاريخه إلى القرن الثاني الميلادي الذي يمكن مقارنته مع الكثير من القصص والروايات. وعندما نقوم بذلك نجد تماثلا وتشابهات هائلة بين هذه الفبركات أو القصص الفولوكلورية والقصص التي تم سردها في القرآن[١١٩].

وإذا كانت التقوى الكونية والخوف من نار جهنم تماثل التبشير السرياني فإن دور النبي ودلالة الوحي الكتابي والطاعة لأوامر الله والتشدد في الحياة الاجتماعية تنفيذا للتعليمات الدينية والتزاما بالحلال والحرام التزاما متطرفا كل هذا يماثل الأفكار اليهودية[١٢٠].

اعتمدت النصرانية في كتابها الذي جمعه اكليروس عبد الملك مفاهيم من التوراة تتعلق بوحدانية الله التامة، فكرة الخلق والأيام الستة، الدينونة والقيامة. وفيما يخص النساء على سبيل المثال أخذت من اليهودية فكرة الرضاعة حولين كاملين، وقيود الزواج وتحريماته. وفيما يتعلق بالأخلاق أخذت طريقة الصلاة في الشكل والحركات، وتحليل الصلاة القصيرة في الحروب. إضافة إلى طرق الصيام والزكاة والدية. ورد في سورة المائدة مثلا "*وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس*" وهي فكرة مأخوذة بالنص من الخروج فصل ٢١ آية ٢٣.

---

١١٩ – القرآن المنحول، نقلا عن فاينبرغ، ص ٥٥ نسخة الكترونية

١٢٠ – Ira Lapidus: A History of Islamic Society, p25

قصص الأنبياء في القرآن كلها مأخوذة من التوراة أو من التراث الشعبي الذي كان سائدا وان أضيف إليها بعض النكهات الشعبية. لننظر في قصة إبراهيم مثلا وابنه الذبيح. الآيات لا تذكر أنه إسماعيل. وذكرت المرويات الإسلامية القديمة انه إسحق ولكن في مرويات متأخرة تغير الإسم بعد العداء مع اليهود.

لو دققنا في قصص ***المدراشة*** وهو كتاب تفسير التوراة نجد مثلا قصة تتحدث عن معراج موسى إلى السماء ونكاد نجد نقلا حرفيا لبعض المواضيع من هذه القصة في روايات معراج محمد التي ترويها التقاليد الإسلامية. في المدراشة صعد موسى إلى السماء ورأى الجنة والنار فرأى عذاب أهل النار ثم زار الجنة ورأى ما لم تره عين.

ومن كتاب المشنا العبراني استعار واضعو القرآن قصة قابيل وهابيل وكذلك قصة إبراهيم. بالنسبة لقصة قابيل[١٢١] وهابيل ليس فقط النص مأخوذ من المشنا بل أن تعليق الحاخام العبراني منقول بنصه كلمة بكلمة. أي أن واضعي القرآن لم يميزوا بين النص والتعليق.

لقد تم الإعتماد[١٢٢] على النصوص المسيحية اليهودية لإنتاج التوحيد العربي ومنه تطور القرآن كمجموع نصوص معتمدة على تعاليم المسيحية

---

١٢١ - Heavenly or Human, by Harold C. Felder

١٢٢ - Ten myths about the Quran By Timothy W. Dunkin

اليهودية التي كانت سائدة خارج الجزيرة العربية. في شمالي الحجاز، أي البلاد السورية التي كان عرب الجزيرة يسمونها الشام.

تتشابه قصص القرآن كثيرا مع الكتب والأناجيل المنحولة. وهذه لم تكن مجرد ثقافة سائدة في المنطقة وقصص شعبي يتداوله الناس بل كان النصارى يؤمنون بها ويعتمدونها. من أبرز تلك القصص قصة الولادة البتولية التي ثبتت في سورة مريم فهي موجودة بالنص فيما يعرف بالإنجيل العبراني الذي كان يكتبه ورقة بن نوفل وهو شخصية كتابية رفيعة وربما كان أحد شيوخ النصارى الذين اعتمد عليهم عبد الملك في وضع القريانة. كما تم الأخذ عما يعرف بإنجيل الطفولة المنسوب إلى توما.

ثمة مقاطع عديدة من القريانة يمكن ردها للنصوص المسيحية وخاصة منها السريانية. فكرة الحوريات مثلا في الجنة. فهذه الفكرة ليست عن الحوريات من النساء الجميلات الكواعب ولكن سوء الترجمة جعل الزبيب الأبيض جميلات بيض. ***تراتيل الفردوس*** نصوص آرامية وضعها أفرام السرياني في القرن الرابع باللغة الآرامية وتتحدث عن فردوس بمعنى بستان مليء بعيون الماء ووفرة الفواكه وخاصة العنب الأبيض والزبيب.

يرى بعض المدققين[١٢٣] أن ما تعرف بالصلاة الربانية في الإنجيل نقلت إلى القريانة ولكن بصيغة مختلفة قليلة. وهي تبدو في النص العربي جميلة بالفعل ويمكن الرجوع إليها في سورة البقرة ونصها كالتالي مع بعض الإضافات من مثل وانصرنا على القوم الكافرين في آخر الآية:

لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا

نجد في القرآن الكثير من المفاهيم والمعتقدات اليهودية والمسيحية التي تشغل مساحات ليس قليلة ضمن النص القرآني[١٢٤]. ومنها ما يشير إلى التوراة والإنجيل على أنها تستحق الإيمان والطاعة. تعلمنا المراجع[١٢٥] أن الإسلام خضع لمؤثرات مسيحية ويهودية كان لها آثارها السلبية والإيجابية على الأجيال الأولى من المسلمين الذين عرفوا تلك المؤثرات دون الاعتراف بمصادرها الأصلية.

---

١٢٣ – محمد حسان المنير، يوم قبل وفاة محمد، تشابهات بين الإنجيل والقرآن.

١٢٤ – وليم غولدساك، القرآن في الإسلام. منشور عام ١٩٠٦ ترجمة إبراهيم جركس

١٢٥ – غولدتسيهر، الإسلام وفارس، ترجمة نادر قريط، الأوان ٢٠١٢/٥/٤

على سبيل المثال، ينص القرآن على ضرورة ترتيله. ما معنى ترتيله؟ انه طريقة القراءة للكتاب المقدس كما كان النصارى يفعلون وكذلك المسيحيون الآن في ترتيل الإنجيل. أما عندما يقول القرآن "*وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا*" فهي ترديد للعبارة التي تقال حتى الآن في الكنيسة عند قراءة الإنجيل: الحكمة... لنقف ونصغي" وربما كانت أيام النصارى: لنستمع إلى القريانة ونصغي باهتمام".

من التحريمات التي التزمها النصارى بسبب التزامهم شريعة موسى تحريم لحم الخنزير وتحريم الخمور وتحريم التبني وتحريم الرهبانية. كما تمت إباحة تعدد الزوجات والطلاق وملكات اليمين وفرض الصيام والختان والوضوء. وكلها ممارسات نصرانية ثبتها اكليروس عبد الملك في القريانة.

وكما تشابهت قصص القريانة مع ما لدى اليهود تشابهت أيضا مع ما لدى الزرادشتيين والمانويين. فالتأثير الفارسي في النصرانية الشرقية كانت واضحة أيضا. فقصة الإسراء والمعراج كانت ذات مصدر فارسي أيضا إلى جانب أن كتبا منحولة نسبتها إلى إسراء موسى. ومقابل البغل المجنح في إسراء القرآن نجد الثور المجنح الأشوري، والقصة تماثل قصة فارسية باسم أرثا فيراف.

لم يحظ الأثر الفارسي الزرادشتي في الإسلام بالاهتمام الكافي وهو الذي صاغ الفرادة النوعية للإسلام، مثل التصور الفارسي للبراق مثلا. ولكن حديثا وربما من أجل تفادي أي تبريرات سلبية، توصل باحث يدعى الشفيع الماحي إلى أن الزرادشتية ديانة موحى بها من الله لكنها تحرفت إلى المجوسية. ناقش

أحد الكتاب أطروحة الدكتور الماحي في مقال بدون توقيع في موقع الذاكرة وقال إن أبحاث الدكتور الماحي جاءت على خلفية المطابقات المذهلة المكتشفة في أقوال وأحكام بعض الأحداث في سيرة محمد مع سيرة زرادشت وخصوصا قصة الإسراء والمعراج بهدف تهدئة روع المسلمين وتخفيف غرابة التشابه بين الزرادشتية والإسلام. كما إن هناك كثيرا من التشابه بين قصة محمد وقصة ماني النبي الفارسي الذي زعم إن ملاكا ظهر له وكشف له الحقائق الإلهية.

قد تكون هذه الإضافات الفارسية التي أضيفت إلى النصرانية العربية مساهمة من العرب الفرس في نشر دين أجدادهم[١٢٦] عبر إضافة ما هو عندهم إلى ما صار دينا راسخا في المشرق العربي.

يرى غولدتسيهر[١٢٧] المستشرق الذي درس التأثير الفارسي في الإسلام إن هذا التأثير يتبدى في عدة مشاهد منها: الوضوء والطهارة، والتلاوة لغسل الذنوب وفكرة ميزان الحسنات والسيئات وكذلك فكرة الحساب الأخروي. ولكن التأثير الأكبر كان في عدد الصلوات وطريقة السجود. لقد كان النصارى ومن ثم المسلمون الأوائل يصلون ثلاث صلوات في اليوم مثلما يفعل اليهود لكنهم أضافوا إليها صلاتين أخريين لتصبح خمس صلوات مثلما هي صلوات الزرادشتيين.

---

[١٢٦] – آل طلال م صمد الحوار المتمدن ٢٠١٣/١٢/٢

[١٢٧] – غولدتسيهر، الإسلام وفارس، ترجمة نادر قريط، الأوان ٢٠١٢/٥/٤

وكذلك هي صلاة الصابئة. يقول محمد شكري الآلوسي في كتابه ***بلوغ الأرب في أحوال العرب*** الجزء الثاني أن صلوات الصابئة خمس صلوات في اليوم وبنفس الترتيب الإسلامي. وصلاتهم على الميت بلا سجود، وصومهم ثلاثين يوما والبعض منهم صيامهم في رمضان وكعبة صلاتهم مكة. وهم أيضا يحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ويحرمون في الزواج ما يحرم المسلمون[١٢٨].

كما تم الأخذ عن الوثنيين العرب بعد أن اختلط النصارى بالعرب عندما توسعت المملكة الأموية باتجاه نجد والحجاز. يقول الشهرستاني في ***الملل والنحل*** إن معظم ممارسات المسلمين مستمدة من الوثنية. فقد اعتاد العرب في الجاهلية على ممارسة شعائر أضيفت إلى الشريعة الإسلامية. كانوا يحرمون الزواج من البنت وأمها ويحرمون الجمع بين الأختين ويستنكرون زواج الرجل من زوجة أبيه. وكانوا يحجون إلى الكعبة ويطوفون حولها ويسعون بين الصفا والمروة ويرمون الجمرات ويغتسلون ويتمضمضون وينتفون الإبط ويحلقون العانة ويختتنون ويقطعون يد السارق. لكن هذه الشعائر كانت أيضا سائدة في بلاد الشام. وبينما لا توجد إثباتات أركيولوجية في جزيرة العرب تثبت هذه الممارسات فإن في جنوب سوريا على سبيل المثال براهين أركيولوجية عليها. ففي منطقة سيدي بوكر في صحراء النقب تم اكتشاف موقع عبادة لأوثان جاهلية. في عام

---

١٢٨ – محمد شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في أحوال العرب، جزء ٢ ص ٢٤٤ و٢٤٦

١٩٩٤ نشر يهودا نيفو مقالة في مجلة دراسات مقدسية تحدث فيها عن النقوش التي اكتشفت في النقب.

ثمة تشابهات أخرى مع الشعر الجاهلي وتمت الإشارة إليها في مكان سابق. أن التفسير للتشابه بين النص والأشعار هو أن الاثنين ظهرا في وقت واحد. في بداية عصر الدولة الأموية.

أخيرا لا بد من التنويه إلى الجهود الكبيرة التي قام بها بعض الباحثين الكبار. أحدهم فراس السواح وقد نشر بحثه في موقع الأوان[١٢٩]. فقد قام بإجراء مقارنة هامة بين الإنجيل والقرآن من حيث ما قال إنها نصوص للمسيح في الإنجيل يوردها القرآن بترجمتها العربية. وقد فعل كثيرون الشيء نفسه بوضعهم لوائح وجداول بالعبارات القرآنية وما يوازيها من نص إنجيلي أو توراتي.

في حديث ينسب إلى محمد متواترا عن أبي هريرة يقول الحديث القدسي: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. لكن هذا النص بحرفيته موجود في رسالة القديس بولس الأولى إلى كورنثوس فصل ٢ آية ٩: **بل كما هو مكتوب:** ***ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان: ما أعده الله للذين يحبونه.***

---

[١٢٩] – الإنجيل برواية القرآن، الأوان ٢٠٠٧/٦/٢٦

يحاول البعض أن يفسر كثرة التشابه على أنها تعني زيادة الاحتمالية بان يكون القرآن من مصدر سماوي. ولكن ماذا يكون الوضع عندما نجد نصوصا تناقض الكتاب المقدس؟

يتوافق القرآن مع الإنجيل والتوراة في كثير من النقاط لكنه ينحرف بعيدا عن الإنجيل وخصوصا فيما يتعلق بألوهية المسيح وصلبه وقيامته وبالتالي يرفض فكرة الفداء كلية. إن فكرة مصالحة الله والبشر غير موجودة في القرآن ويسوع ليس المخلص وليس الوسيط مع الله. انه مجرد نبي مثل إبراهيم وموسى. ليس هذا هو الخلاف الوحيد مع المسيحية الهللينية. هناك نقاط اختلاف عديدة مصدرها الكتب المنحولة. أما تناقضات القرآن في قضية المسيح فهي تكشف كثرة الأيدي التي عملت في وضعه، وكيف أن تلك المعلومات استقيت من مصادر مختلفة وهي في الأصل متضاربة. فهناك أفكار ثيولوجية أبيونية وأخرى مسيحية كما أن فيه تعاليم غنوصية وزرادشتية. وهناك اقتباسات مباشرة بالإضافة إلى الكلمات السريانية.

القرآن مليء بالآيات التي تناقض بعضها البعض ويمكن الرجوع في التفاصيل إلى عشرات المقالات في هذا المجال على الإنترنت. وقد وجد سدنة الدين الجديد طريقة ذكية للخروج من هذه الورطة سموها الناسخ والمنسوخ. ووضعت آيات خاصة بالنسخ. وقضية الناسخ والمنسوخ هي مسالة التبديل الذي قام به الحجاج ومن بعده آخرون غيروا في النص وكانت حجته انه يريد أن

يأتي بما هو أحسن. تقول الآية: *ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها* . وهذا التبرير قد يكون من عند الحجاج أو عبد الملك. ولمساعدة السلطات في تبرير قضية الناسخ والمنسوخ تم وضع قصص أسباب التنزيل. وهذه كانت حيلة ذكية جدا للخروج من المأزق وتبرير التناقضات.

وإذا أخذنا التراث ككل فيما يتعلق ببدايات الإسلام سنجد الخبر ونقيضه، روايات متباينة ومتعارضة للحدث الواحد. كما نجد اختلافات صارخة حول قيمة هذه الشخصية أو تلك واختلاق الشخوص والأحداث التي لم توجد أصلا. وكثرة التناقضات وعدم معقولية الروايات في السيرة والحديث تثير الريبة في حقيقتهما وأبرز تلك التناقضات ما يتعلق بمن يسمين بنات النبي. وتشير الروايات المتناقضة إلى إن الذين كتبوها لم يكونوا على دراية بالتفاصيل ومن كان يتناقل الرواية شفاهة إنما كان يروي قصصا وهمية ومختلقة.

الفصل الثالث عشر

الإسلام من دون محمد

إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب

إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم

منذ أكثر من ألف وأربعمئة سنة بدأ الإسلام وانتشر واتباعه اليوم يربون على ألف ومئتي مليون نسمة موزعين في قارات العالم كلها. لكن هذا الدين لم يخضع للتمحيص والبحث والتدقيق إلا حديثا أي منذ ما يقرب من مئتي سنة فقط عندما تجرأ باحثون لمناقشة أصوله ومصادره وأركانه وشخوصه ونصوصه.

في التقليد الإسلامي المعروف يشكل النص القرآني وشخصية الرسول نقطتي الارتكاز الرئيسيتين التي ينتصب عليهما الإسلام. فهو خاتم النبيين وخلاصة النبوة والإنسان الكامل والأسوة الحسنة. لكن العلماء في العقود الأخيرة بدأوا يشككون في كثير من المسلمات. منذ البداية رأينا كيف أن الرواية الإسلامية التقليدية لا تصمد أمام البحث والتمحيص. فالقرآن الذي ينسبه التقليد الإسلامي إلى الوحي السماوي كان نصوصا متفرقة جمعت من المصادر المتوفرة في البيئة الدينية في القرنين السابع والثامن ليكون كتاب قراءات للنصارى الذين تبنوا مواجهة المسيحية الهللينية رافضين مقررات مجمع نيقية وملزمين أنفسهم شريعة موسى وتوراة اليهود إلى جانب إنجيل المسيح من دون الإيمان بألوهيته أو بعقيدة الخلاص المسيحية التي بلورها بولس الرسول.

وكما كان القرآن مثار بحث وتمحيص كذلك كانت شخصية نبي الإسلام. فشخصية هذا النبي تبدو شخصية وهمية تم اختلاقها وبالتالي ليست شخصية حقيقية وان محمدا كشخصية تاريخية لا وجود لها. وإن كلمة محمد لم تكن اسم علم وإنما كانت في البداية وصفا ليسوع المسيح الذي كان النصارى يعتبرونه

نبيا ورسولا. وعندما شكك محمد كاليش[١٣٠] بوجود محمد تاريخيا قال إنه يصعب الرجوع إلى محمد تاريخي محتمل بل إلى إيمان ثيولوجي أنتجته مراحل صيرورة متأخرة. وقد جعل محمد مجرد أرضية مشروع أسقطت عليه كل الرؤى الثيولوجية والفقهية وكل طائفة نسبت تشريعها وفقهها إلى النبي والشخصيات الأخرى المؤثرة المرافقة له. ويتساءل الباحثون إذا كان محمد شخصية غير موجودة فعلا فلماذا يتم اختراعه أصلا؟ ففي الأدبيات غير الإسلامية وعند الحديث عن السيطرة العربية على البلاد لم تكن هناك أي إشارات إلى الديانة التي يعتنقها الحكام الجدد. المصادر السريانية لا تشير إلى شخص محمد بأي إشارة ولا تتحدث عن أي إسلام بل عن غزو عربي ولم يلتفت أحد لوجود دين باسم الإسلام.

التفسير المحتمل كما يرى بعض الباحثين في الموضوع هو أنه لما كان لكل دولة أو إمبراطورية دينها الخاص بها أراد العرب أن يكون لهم دينهم الخاص. فكما كان للبيزنطيين مسيحيتهم الهللينية وللفرس زرادشتيتهم صار للعرب إسلامهم. وقد يكون الإسلام بالفعل سابق لمحمد. أي أن العرب الذين قننوا النصرانية الشرقية المعادية للمسيحية الهللينية لتكون متوافقة مع اليهودية الموسوية أرادوا أن يكون لهم نبي ورسول. وافتقار العرب إلى نبي وكتاب أسوة بغيرهم من الأمم وباليهود دفعهم إلى ترجمة وتأليف كتاب مقدس واختلاق سيرة لنبي لم يره أحد ولم يترك أثرا. وبما أن النصرانية كانت تعتبر يسوع مجرد نبي

---

[١٣٠] – –نادر قريط، تحدي كاليش، مقال في الحوار المتمدن ٢٠٠٩/٥/٤

رسول فقد حولت صفته التي كانت تعطى تمجيدا له "**محمد** عبده ورسوله يسوع المسيح" إلى اسم علم تجسدت فيه شخصية صارت مع الوقت محمد بن عبد الله ومن ثم نسج حول هذه الشخصية ما نسج.

شخصية محمد لم تكن معروفة حتى منتصف القرن السابع[١٣١]. ولم يكن هناك أي حديث عن الإسلام كدين مستقل أو عن كتاب الإسلام ككتاب عقيدة وكذلك لم يكن هناك نبي رسول باسم محمد. بدأت قصص محمد بالانتشار لتبرير الإمبراطورية التوسعية للعرب ولإعطاء هذا التوسع بعدا لاهوتيا وتبريرا دينيا. لهذا السبب نشأ الإسلام كدين سياسي فهو إيمان مسيس والمظهر السياسي للإسلام برز قبل المظهر الديني. ويرى سبنسر أن الإسلام كما نعرفه كان مجرد وسيلة توضيحية للنجاحات العسكرية والسياسية للعرب في القرن الذي سبق أي انه ثيولوجيا متأخرة.

وفي كتابها ***خليفة الله*** تقول باتريشيا كرونة[١٣٢] إن هناك ثمة حقيقة ملفتة وهي أن الوثائق التي عاشت منذ العهد السفياني لا تذكر على الإطلاق اسم رسول الله. أي أنها لا تأتي على ذكر عبارة رسول الله مطلقا. البردية لا تشير إليه، النقش العربي للمسكوكات العربية الساسانية تذكر الله وليس رسوله، كما أن المسكوكات البرونزية العربية البيزنطية التي ذكر فيها محمد كرسول الله والتي

---

١٣١ - Robert Spencer, Did Mohammad Exist?

١٣٢ - Patricia Krone: God’s Caliph

نسبت في السابق إلى المرحلة السفيانية تنسب الآن إلى المرحلة المروانية. حتى شواهد القبور تشير إلى الله وليس رسول الله وكذلك نقش معاوية في الطائف. ولذا فإنه في المرحلة السفيانية لم يكن للنبي أي دور.

أثار محمد سفن كاليش[١٣٣] ضجة كبيرة في أوروبا عندما أعلن أن محمدا كشخص تاريخي يصعب إثبات وجوده ويرجح انه اختراع أسطوري مثله مثل الديانتان الأخريان اليهودية والمسيحية. لكنه في الوقت نفسه يقول إنه مثلما يصعب البرهنة على وجوده يصعب أيضا البرهنة على عدم وجوده لكنه في النهاية يرجح عدم وجوده ويقول إنه ما لم يتوفر دليل أركيولوجي على وجوده فلا يمكن حسم مسالة وجوده من عدمها. ولهذا ثارت عليه الجالية الإسلامية في أوروبا وأخرجته الجامعة من بين صفوفها. ويرى كاليش انه لا توجد أي وثائق أصلية من القرنين الهجريين الأولين والمصادر التي يمكن الوثوق بها تبدأ اعتبارا من القرن الهجري الثالث.

ولكن إن كان محمد غير موجود تاريخيا فمن أين أتت كل تلك السير والأحاديث؟ لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن محمدا كان صناعة أسطورية متأخرة حتمتها الظروف العقائدية والاجتماعية للإمبراطورية العربية الناشئة[١٣٤]. وقد رأينا في فصول سابقة كيف أن العرب عندما استقلوا عن البيزنطيين وعن

---

١٣٣ –كان أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة مونستر الألمانية وكان اعتنق الإسلام الشيعي في عمر الخامسة عشرة.

١٣٤ – محمد النجار، مقال في الحوار المتمدن ٢٠١٠/٧/٩

الفرس وأقاموا دولتهم في المشرق تبنوا النصرانية الملتزمة شريعة موسى وإقامة التوراة والإنجيل معا. وبعد الاستقلال السياسي كان لا بد من الاستقلال الديني.

يرى بعض المستشرقين أن شخصية محمد مختلقة من أساسها ولم تكن إلا شخصية مخيالية احتاج إليها الغزاة من العرب الذين احتلوا بلاد غيرهم فكان هذا الشخص هو البطل الحضاري تماشيا مع حضارات أخرى كانت سبقت في خلق الأبطال والزعماء الأسطوريين. آخرون من المهتمين بهذا الأمر أشاروا إلى أن إنكار وجود محمد إنكارا قطعيا لا يمكن أن يكون منطقيا لذلك فهم يرون انه كان هناك أكثر من شخصية بهذا الإسم وفي أماكن مختلفة وعندما اكتمل الدين الجديد تم دمج سير هؤلاء الأشخاص في شخصية واحدة يلتف حولها المؤمنون الجدد.

تبدو أي دراسة لحياة محمد كما نعرفها الآن مستحيلة أو قاصرة. فالمعطيات المادية بالمعنى الحرفي أي البراهين الأركيولوجية معدومة. أما المعطيات النصية فلا يمكن الركون إليها لأنها تنطوي على فجوة زمانية هائلة تفصل بين زمن وقوع الأحداث أو ما يفترض أنها أحداث وزمن تدوينها والارتقاء بها إلى مستوى الشهادة التاريخية الجديرة بالاعتماد[١٣٥]. فكتاب ***سيرة رسول الله***

[١٣٥] – فاتح منصور، كيف كتبت السيرة المحمدية، الأوان، ٢٠١٢/٤/٢٥

الذي وضعه ابن اسحق عام سبعمئة وخمسين لا يمكن الثقة به فهو موضوع بعد أكثر من مئة وعشرين سنة من وفاة محمد المفترضة.

في السنوات الأخيرة نشر روبرت سبنسر كتابا أثار جدلا واسعا كان عنوانه: ***هل وجد محمد؟ بحث في أصول الإسلام الغامضة***" في هذا الكتاب يجادل سبنسر بانه في السنوات الستين ما بين ٦٣٠ و٦٩٠ لم يكن هناك أي ذكر لمحمد أو للقرآن من قبل الغزاة العرب وهذا الصمت عن ذكر محمد طوال تلك المدة أمر مريب. وهو يرى أن وجود محمد يشبه وجود روبن هود لكن القصص التي حيكت حوله وضعتها الفئات المتنافسة وقام بتوثيقها مؤلفون مسلمون أضافوا إليها القصص المختلفة التي وجودها في التراث الشعبي لأسباب سياسية. أحد أسباب تشكك سبنسر بشأن محمد هو أن القرآن لم يذكره سوى أربع مرات بدون أي تفاصيل بشأن الشخص التاريخي. ولذا فإن وصف محمد قد يكون مجرد وصف تبجيلي للمسيح من قبل فئات معينة من المسيحيين الموحدين أي النصارى.

تأخذ الرواية الإسلامية الرسمية وجود محمد الفعلي أمرا مسلما به. قليلون يشككون بوجوده الفعلي. فما هي المؤشرات الضعيفة في الرواية الإسلامية التقليدية؟

لا توجد أي إشارة إلى وفاة محمد إلا بعد حوالي مئة سنة من تاريخ حدوثها المفترض. مثلما لا توجد أي سجلات معاصرة لفترة حياته المفترضة. كما أن

التراث الشفهي المنسوب إلى محمد تضاعف كثيرا عبر السنين بدلا من أن يتواتر متماثلا متماسكا عبر الأجيال[١٣٦]. كذلك فإن كتابات الشعوب التي غزاها العرب لم تشر لا إلى الإسلام ولا إلى محمد ولا إلى القرآن. بل سمي الغزاة بالإسماعيليين أو السراسين أو المهاجرين أو الهاجريين ولم يدعوا مسلمين أبدا.

غير أن الذين يسلمون بوجود محمد التاريخي يرون أن أي دعوة أو طلب لإثبات وجوده غير ضرورية لوجود كل تلك النصوص التي تتحدث عنه. لكن تلك النصوص تم وضعها بعد مئة إلى مئة وخمسين سنة على الأقل من وفاته المفترضة التي تتحدث عنها تلك النصوص. وهذه حقيقة لا يلتفت إليها المسلمون غالبا. وعندما يتحدثون عن محمد لا يخطر ببالهم أن أول كتاب فقهي وضع في التراث الإسلامي وهو ***الفقه الأكبر*** لابي حنيفة وضع عام ٧٥٢ أي بعد وفاة محمد بمئة وعشرين سنة[١٣٧]. كما أن معظم الكتابات التي وضعت في القرن التاسع منقولة من كتب وضعت في القرن الثامن تتحدث عن محمد الذي توفي في منتصف القرن السابع. كما أن كتب السيرة[١٣٨] تنقل عن كتب سبقتها لم تعد موجودة هذا إن وجدت أصلا. فهذا ابن هشام مثلا الذي وضع سيرة لمحمد نقلا عن سيرة ابن اسحق يعترف انه لخص واختصر وأضاف وغير في النص الأصلي الذي أخذ عنه في حال وجد ذلك الكتاب الأصلي المنسوب لابن اسحق.

---

[١٣٦]- Was Mohammad Real? Internet article

[١٣٧]- Did Mohammad Really Exist? Taylor Carr

[١٣٨]- Did Mohammad Exist? Robert Spencer

إن كثيرا من المعلومات الواردة في سيرة محمد[١٣٩] كما ينص عليها التقليد الإسلامي موضع شك. فما وضعه ابن اسحق كان روايات شفهية ومعظمها موضوع من قبل الرواة أنفسهم. وعندما تدور رواية السيرة مدة مئة عام شفاهة قبل تدوينها فمن يضمن أن تدوينها كان دقيقا ولم يعتريه أي تحريف؟

في ثلاثينيات القرن العشرين نشر مستشرق روسي كتابا بعنوان "***هل وجد محمد؟***" قال فيه إن معلوماتنا عن محمد متأخرة جدا وان سيرة حياته عبارة عن خيال نشأ من فكرة تفسير الأساطير عبر الثقافة المحلية لان كل الديانات بحاجة إلى وجود مؤسس. أما المستشرق الروسي الآخر تولستوف فيرى أن أسطورة محمد تتشابه مع تأليه ياكوتس والهدف منها توحيد القوى السياسية والتجارية والقبائلية لضمان وصول الطبقة الأرستقراطية للحكم. كما يرى موروزوف وهو روسي أيضا أن محمد التاريخي غير واقعي تماما مثلما أن يسوع غير تاريخي. ويعتقد أن الخلفاء الراشدين أيضا مجرد أساطير لان الإسلام كان شكلا من أشكال اليهودية حتى وقت الحروب الصليبية.

يعتقد باحثون أن افتقاد التفاصيل الموثقة للسجلات التاريخية والمواد البيوغرافية اللاحقة عن نبي الإسلام والجو السياسي والديني الخيالي الذي تطورت فيه تلك النصوص تفترض أن محمد الذي يعرضه التقليد الإسلامي لا

---

[١٣٩] - Ten Myths about Mohammad, Michael Cook

وجود له[١٤٠]. كما أن يهودا نيفو وجوديث كورين وضعا كتابا[١٤١] تناول قضية الوجود التاريخي لمحمد وخلصا فيه إلى أن محمد لم يوجد أبدا أو على الأقل إن وجد فإنه لم يكن على الشكل الذي يعرضه لنا التراث الإسلامي المعروف. إسماعيل أدهم كاتب سوداني يقول في كتابه ***مصادر التاريخ الإسلامي*** انه وجد للرسول حياة ليست كما تصورها لنا كتب السيرة. وهو يرى أن سيرة الرسول ابتدعتها العقول خلال القرنين الأول والثاني الهجريين فظهر من خلال ذلك التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول مختلطة مادتها بالأقاصيص اختلاط قليل من الحقائق بكثير من الأوهام[١٤٢]. كما يؤكد أن ما يعرف بنسب الرسول مختلق وان اسم عبد المطلب لم يكن لشخص بل اسم لصنم.

يربط المسلمون الآن شهادة لا إله إلا الله بشهادة أن محمدا رسول الله. لكن طوال أكثر من ستين سنة من وفاته المفترضة لم يكن اسم محمد يذكر مع هذه الشهادة[١٤٣]. بل كان هناك إيمان توحيدي نصراني تطور من مفاهيم مسيحية ويهودية بأسلوب خاص. الشهادة المحمدية لم تظهر إلا في الفترة المروانية وظهرت فجأة كإعلان وحيد رسمي للشهادة الإيمانية. وحتى هذه وجدت على مسكوكة من العملة المعدنية ومع ذلك فكلمة محمد في هذا النقش لم تفسر على

---

١٤٠ – Did Mohammad Exist? Robert Spencer

١٤١ – Crossroads to Islam, Yehuda Nevo and Judeth Koren

١٤٢ – إسماعيل أدهم، مصادر التاريخ الإسلامي، نسخة ألكترونية ص ٤

١٤٣ – Does Archeology Support the Quran?

أنها اسم علم لشخص أو لنبي بل استخدمت وصفا ليسوع المسيح عبد الله ورسوله بحسب النصرانية. كما يشير وانزبرو أيضا إلى أن اسم محمد كان مجرد وصف إضافي لاسم يسوع. وتشير بعض المصادر إلى أن ثمة رسالة منسوبة لعمر ابن الخطاب موجهة إلى كسرى يدعوه فيها للإسلام لا يوجد فيها اسم محمد.

لقد كانت باتريشيا كرونة ومايكل كوك أول من نبها إلى دور عبد الملك بن مروان في ظهور الإسلام واختلاق رسوله. كتبت باتريشيا كرونة العديد من المقالات والكتب والدراسات التي تناولت الإسلام المبكر. وهي ترفض سيرة محمد كما ترويها كتب التراث الإسلامي وتستغرب من عبارة قالها المفكر الفرنسي أرنست رينان الذي أشار إلى أن الإسلام ظهر في ضوء التاريخ وتقول إن التاريخ مظلم تماما عن بدايات الإسلام. وترى كرونة أن قصة الإسلام وضعت في عهد عبد الملك بن مروان كاختلاقات متأخرة وتم إعادة بناء قصة الفتوحات والخلافة كحركة من قبل عرب الحجاز الذين تأثروا بفكرة اليهود عن أرض الميعاد.

لقد أصبح الإسلام منذ القرن الهجري الثالث دينا إمبرياليا اضطر لإنشاء واختلاق أدب ديني (سير تواريخ مغازي وأحاديث) بما يشبه الهذيان وفيه من الغرائب ما انزل الله به من سلطان وربما السبب في ذلك حاجته إلى شرعنة وجوده فسرد الرواة الغث والسمين ولم يتركوا خرافة تعتب عليهم[١٤٤]. لقد شعر

[١٤٤] – نادر قريط: التاريخ الإسلامي المبكر ليس تاريخا

العرب وقد صار لديهم دولة كبيرة انهم بحاجة إلى أيدولوجية ومن هنا تم تجميع عقيدة الإسلام بحسب الطريقة التي شرحت في مكان سابق من الكتاب.

يرى ابن الراوندي وهو اسم مستعار لباحث عربي انه عندما أكمل العرب بناء إمبراطورتيهم وجدوا انهم بحاجة إلى دين لضمان بقاء وتماسك الإمبراطورية وتبرير حكمهم وشرعنته. فاقتضت الخطة أن يكتبوا التاريخ بأثر رجعي. وحيث انه كانت هناك اليهودية والمسيحية كمثالين فهذا يعني أن العرب كانوا بحاجة إلى تنزيل ونبي تكون حياته نموذجا لاتباعه[١٤٥].

خلاصة القول انه لا توجد معلومات كافية عن محمد، معلومات بمعنى حقائق بيوغرافية ثابتة يمكن الركون إليها. فالمعلومات المتوفرة حاليا بدأ وضعها بعد حوالي مئة إلى مئتي عام من وفاته المفترضة. ولذلك فهناك تشخيص خيالي وتوهمات كثيرة تتعلق بشخصيته وسلوكه وأخلاقه ومعاملاته وحتى وجوده الفعلي.

لم يرد اسم محمد في ***القرآن*** إلا أربع مرات وهذه المرات الأربع كانت فيما يعرف بالنصوص المدنية. أي انه طوال النص المكي وهو نص نبوي روحاني تبشيري لم يذكر اسم محمد على الأطلاق. لكن هناك إشارات عديدة إلى "النبي". ولذلك لا يمكن الاعتماد على القرآن ككتاب تاريخي لإثبات وجود محمد. فالقرآن

---

[١٤٥] – الراوندي: أسطورة مكة

أصلا كما رأينا في الفصول السابقة لم يكن كتاب وحي سماوي وإنما كان تجميعا لصلوات وقراءات ليتورجية لاستخدامها في الصلاة والتعبد.

من المعروف أن النصارى كانوا يسمون المسيح عبد الله نكاية بالمسيحيين الذين يعتبرونه ابن الله. وكان اسم محمد أو محمدان يعني المختار أو الأفضل وكانت أيضا صفة تطلق على المسيح من قبل النصارى. وهاتان الصفتان لم تكونا أسماء علم عند العرب[١٤٦]. واسم محمد مشتق من حمدوت العبرية أي المحبوب وهو لقب من نبوءة دانيال يخص المسيح. أما الباحث التونسي هشام جعيط فيرى أن اسم محمد هو واحد من التأثيرات المسيحية وانه نقل إلى العربية من السريان وانه يعني في لغتهم الأمجد وصيغتها الأولى كانت محمدان.

في تفسير *محمد عبد الله ورسوله* فإن كونها جملة اسمية تعني أن كلمة محمد ليس اسما لشخص بل صفة لعبد الله ورسوله كما لو كنا نقول: ممجد أو مبجل عبد الله ورسوله. والمقصود بهذا التبجيل هو عبد الله ورسوله المسيح عيسى بن مريم حيث أن عطف عبد الله ورسوله بالواو يتسق مع المقطع الذي يقول: اللهم صل على رسولك وعبدك عيسى بن مريم. وعبارة عبد الله أو خادم الله تعبير كتابي ينطبق على يسوع المسيح كما في أشعيا(٥٢/١٣): *هوذا عبدي يعقل، يتعالى ويرتقي جدا ويتسامى.*

---

[١٤٦]- Did Mohammad exist: The Hidden Origins of Islam. Robert Spencer

الفصل الرابع عشر

محمد من دون الإسلام

الذين يتبعون الرسول الأمي

الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل

كثيرا ما يستخدم المسلمون الآيات التي تشير إلى المسيح في العهدين القديم والجديد للإشارة إلى محمد. وهي فعلا وصف "للمحمد" الذي هو وصف للمسيح. الانقلاب الذي حصل في تغيير معنى الإسم ومن ثم ضياع الأصل واختلاق القصص بشأنه هو الذي غير كل شيء في تاريخ الأديان وغير مجرى التاريخ.

أكثر تلك الآيات المستخدمة في هذا المجال[١٤٧] الآية ١٨ من الفصل ١٨ من سفر التثنية: *"أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به"*. لكن هذه الآية بحسب كل تفسيرات الكتاب المقدس وكبار علمائه تخص المسيح وليس شخصا آخر. وحتى الآية التي في القرآن التي يستخدمها المسلمون للقول إن آية التثنية تخص محمد في الحقيقة تخص المسيح أيضا. فالآية ١٥٧ في سورة الأعراف قد تكون تشير إلى الآية ١٨ من الفصل ١٨ من التثنية: *"الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل .... واتبعوا النور الذي أنزل معه"*. من المعروف أن المسيح هو الذي جاء معه النور. ففي الآية ٤٦ من سورة المائدة يتحدث عن المسيح بقوله: *"وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور"*.

لقد كان المسيح في التراث المسيحي السوري هو عبد الله ورسوله. وكان لقب عبد الله لقبا للنبي أشعيا أيضا. وفي رسائل الآباء يوصف يسوع بانه عبد

[١٤٧] – جون غلكرايست، هل تنبأ الكتاب المقدس بمحمد؟ نسخة ألكترونية

الله وخادم الرب. من هنا كانت عبارة "محمدٌ ... عبد الله ورسوله يسوع ... وجاء وصفه في القرآن الآية ٣٠ من سورة مريم: *إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا* ".

من المعروف في علم التاريخ انه لا يمكن كتابة تاريخ موثوق دون الاستناد إلى قاعدة صلبة على أساس المصادر المعاصرة للأحداث. وفيما يخص مسالة وجود محمد كشخص تاريخي حقيقي قام بتأسيس دين جديد رأينا انه لا توجد مصادر معاصرة للزمن المفترض انه عاش فيه. كما أن الأمر الأخطر هو عدم وجود براهين أركيولوجية مادية تثبت وجوده.

من الغريب أن أول ذكر لكلمة محمد كان ظهورها على مسكوكات الأمويين في سوريا ولكن الأكثر غرابة أن تلك المسكوكات تحمل إلى جانب هذا الإسم نقشا للصليب. ويرى الباحثون الذين تابعوا هذه المسالة بالشك والتمحيص أن كلمة محمد كانت مجرد وصف قصد به تمجيد يسوع المسيح إذ كانت المسيحية سائدة في البلاد السورية. وهذا الوصف والنقش كان موجودا على جدران مسجد قبة الصخرة عند بنائه مما يوحي أن أولئك الحكام كانوا ينتمون لطائفة مسيحية معينة ويرجح أنها طائفة النصارى.

كل الصيغ الإسمية التي ذكرت محمد في النقوش أو المسكوكات لم تكن تشير إليه على أنه نبي أو رسول حتى عام ٦٩١ للميلاد. وهذا الغياب وعدم ذكره في جميع النقوش المبكرة وبشكل خاص النقوش الدينية أمر بالغ الأهمية.

فالمصادر المتأخرة كلها روايات وأخبار تخص حياة النبي بأدق تفاصيلها ولكن لا نجد أيا من هذه الأخبار في النقوش القديمة المبكرة والمعاصرة للفترة التي يفترض أن محمد عاش فيها[١٤٨]. ففي النصوص الدينية العربية من المرحلة السفيانية الأولى المبكرة أي للسنوات ٦٦١ – ٦٨٤ كان هناك ما يشبه "قانون إيمان" بدون الإشارة إلى محمد[١٤٩]. فهذا الإسم لا يوجد في النصوص العربية إلا بعد العام ٦٩١. ومع أن عبارة محمد رسول الله ظهرت أولا في المسكوكات العربية الساسانية بدءً من عام ٦٩١ وضربت في دمشق فإن العبارة الكاملة "*لا إله إلا الله محمد رسول الله*" فظهرت في منقوشات عبد الملك على جدران قبة الصخرة في العام ٦٩١ أي بعد حوالي ستين إلى سبعين سنة بعد وفاة محمد المفترضة وليس لها وجود قبل ذلك.

في المسكوكات التي رافقت الفاتحين العرب لم تذكر كلمة الإسلام أو القرآن طوال ستين سنة من بعد وفاة محمد المفترضة. لكن الإسم ذكر مرتين بدون تحديد وعلى الوجه الآخر من المسكوكة نقشت صورة رجل مصحوبة بصليب. وهنا لم يكن يقصد بكلمة محمد اسم علم بقدر ما هي توصيف شرفي بمعنى المبجل والممدوح يفترض كثيرون انه يخص المسيح. كما أن بعض

---

[١٤٨] – جاي سميث: القرآن المنحول، ترجمة إبراهيم جركس.

[١٤٩] – Does Archeology Support the Quran?

المسكوكات الفارسية من أواخر القرن السابع نقش عليها عبارة محمد رسول الله ولكن كان يعلوها صليب.

لا توجد مصادر إسلامية موثوقة من القرنين الهجريين الأول أو الثاني. وحتى تلك المصادر إن وجدت ليس فيها ذكر لمحمد أو الإسلام أو القرآن. أما في المصادر الأجنبية غير الإسلامية فلم يرد فيها اسم محمد كشخص في البداية. ولكن لوحظ أحيانا في بعض المراجع الأجنبية من بيزنطية أو أرمنية وجود اسم مهمت Mehmet فهل كان هذا اسما حوله العرب إلى محمد ونسجوا بشأنه التاريخ الذي يريدون؟ مصادر أخرى مثل دوكترينا جاكوبي مثلا ذكرت اسم محمد بوصفه قائدا عسكريا محاربا. لكن الإشارة الأقدم إلى محمد في الأدبيات المسيحية الغربية وردت في تاريخ أوسيبيوس[١٥٠] في القرن الميلادي السابع ولكن انحصر قوله في أن محمد شخص إسماعيلي ادعى النبوة على الطريقة اليهودية وعلم أبناء بلده العودة إلى دين إبراهيم[١٥١].

في كتاب ***العقيدة اليعقوبية***، دوكترينا جاكوبي، هناك إشارة إلى نبي حاربه قومه. لكن الكتاب لا يذكر أن اسمه محمد. كما أن الكتاب يشير إلى أن ذلك النبي لا يزال حيا وانه يحمل مفاتيح الفردوس. ولكن في تلك السنة بحسب الرواية الإسلامية الرسمية محمد كان متوفيا كما أن وصف حامل مفاتيح

---

١٥٠ - Chronicles, Sebeos

١٥١ - بحثا عن محمد التاريخي: آرثر جفري. ترجمة مالك مسلماني، نسخة ألكترونية.

الفردوس لم يكن أبدا وصفا لمحمد في التقليد الإسلامي[١٥٢]. كما أن المصادر غير الإسلامية التي أشارت إلى الغزوات الإسلامية والحروب العربية البيزنطية لم تشر إلى محمد أو الإسلام أو القرآن.

لكن اهم من كتب عن الإسلام ومحمد من العالم المسيحي كان القديس يوحنا الدمشقي. وفي موسوعته التي عنوانها ***ينبوع المعرفة*** لا يعطي الدمشقي محمد اسما شخصيا بل يعتبره لقبا وربما هذا ما كان سائدا أي لقب النبي المصطفى المختار المحمد. غير أن الدمشقي لم يكن معاصرا لمحمد المفترض بل ولد بعده بخمسة وأربعين عاما وعلى هذا تكون موسوعته قد كتبت بعد محمد بأكثر من مئة عاما على الأقل.

كل ما هو متوفر عن شخصية محمد وحياته وتصرفاته موجود في المصادر الإسلامية فقط فلا توجد أي مصادر أخرى. وحتى المصادر الإسلامية فكلها وضعت بعد وفاته بمئة إلى مئة وخمسين سنة على الأقل. ترى باتريشيا كرونة المتخصصة في المسائل الإسلامية أن محمد لو كان حقيقيا فإنه لم يكن نبيا بقدر ما كان مبشرا بتقاليد العهد القديم تهيئة لقدوم المسيح. من هنا تم اختلاق سيرته وبقية حكايته التي انتشرت في المصادر الإسلامية.

---

[١٥٢] – روبرت سبنسر: هل وجد محمد؟

لقد تم اقتباس شخصية محمد كما ترويها المصادر الإسلامية من مصادر عديدة. فشخصية الراعي الذي يتزوج سيدة القوم إلى حين وحي النبوة إسقاط لشخصية موسى. وشخصية النبي المشرد والمنبوذ مقتبسة من شخصية ماني الفارسي. أما شخصية النبي المحارب فتوافق شخصيتي داود وزرادشت. أما شخصية النبي المالك الذي يتصرف باتباعه والمحب للنساء فتوافق شخصيتي داود وسليمان. وشخصية محمد كما في المرويات الإسلامية شخصية مركبة خلقها كتاب مختلفون في أزمانهم ومجتمعاتهم. ولكن يمكن تحديد اتجاهين واضحين: شخصية الراعي اليتيم ومن ثم التاجر توافق الصيغة اليهودية. أما شخصية النبي المحب للنساء والحروب فتوافق الفرس.

الأساطير العديدة والقصص الكثيرة التي رافقت قصة مولد محمد هدفت إلى إثارة عواطف الاتباع بغرض إعطاء قيمة أكبر للشخصية[١٥٣]. أما أمه وأبوه فلا يعرف عنهما أي شيء. لم تظهر سيرة النبي الأولى التي وضعها ابن إسحق إلا في منتصف القرن الثامن أيام العصر العباسي أي بعد مئة وعشرين سنة من وفاة محمد المفترضة. وفي سيرة ابن إسحق تبدو شخصية محمد واقعية جدا: زعيم حربي يقوم بغزوات ويحكم بشكل طاغي. في سيرة ابن اسحق محمد شخص واقعي يصوره الكتاب بشكل سلبي جدا. وفي القرون التالية تحولت

---

[١٥٣] - Draycott, Mahomet

شخصية محمد من شخصية واقعية إلى شخصية مثالية. ويشير إلى هذا الأمر كتاب ***حياة القلوب***.

لقد تم اختلاق سيرة رسول الله بناء على تخيلات من نصوص القرآن. فلا أحد يمكنه معرفة ما حدث. لقد صور التراث الإسلامي محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب لكنه كان محاطا بخمسة وأربعين شخصا يكتبون له ويسجلون نشاطاته وحركاته ولا ينسب التقليد لمحمد انه جمع القرآن أو انه طلب تسجيل كلامه وأحاديثه. ويبدو أن هذه الصيغة في وصف محمد كانت بغرض إبعاد الشبهات.

ولكن لماذا يضع كتاب السيرة كل تلك التفاصيل والصفات ويلصقونها بشخصية محمد؟ أول ما يخطر على البال أن شخصية غير حقيقية لم توجد فعلا في التاريخ يمكن أن ينسج حولها سيرة يفتح الخيال أبوابه واسعة لرسم صورته. كما أن محاولات التبجيل والتعظيم كانت بدائية إلى درجة تسيء إلى الشخص. كما تهدف إلى إخافة الخصوم وجلب انتباههم. كما أن الذين كتبوا وأفاضوا بالكتابة لم يكونوا واعين لما يكتب غيرهم فكثير من تلك الكتابات لم تكن بريئة ولم يعرف كتابها أن انفجار المعرفة الكبير المستقبلي سيكشف الحقائق.

لو كان محمد غير حقيقي ولم يوجد فلماذا حبرت مئات الألوف من الصفحات في السيرة والحديث؟ لماذا اختلقت قصة محمد؟ وما الهدف منها؟ يذكر التراث الإسلامي قصة الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة وهذا الحدث

يعطي بعض المؤشرات. بدراسة قصة محمد كما هي في التقليد الإسلامي نكتشف الكثير من الإسقاطات التي استخدمت في بناء قصة محمد. والقرآن لم يذكر من الأنبياء سوى موسى والمسلمون يؤكدون دوما على التشابه بين موسى ومحمد. والحدث الرئيسي في قصة موسى كان الخروج. والحدث الرئيسي في قصة محمد كان الهجرة. وهذا سبب اختلاق قصة الهجرة في سيرة محمد لكي تتوافق مع قصة موسى. أما قصة مكة فهي قصة الهيكل اليهودي. وقصة أساف ونائلة هي قصة أفروديت وجوبيتر. وهبل كصنم أكبر يضاهي مارس إله الحرب عند الرومان. لقد وضع اليهود تلك القصص بعد أن دمرت أورشليم ووضعت أصنام الرومان في مكان الهيكل. فحلم اليهود بمخلص يعيد إليهم أورشليم ويحطم الأصنام. ومن هنا فقط تكون قصة محمد فبركة يهودية لدواعي سياسية قد لا تخطر على بال أحد.

وهناك إسقاطات عديدة من التراث اليهودي النصراني على سيرة محمد. فهل تسريب قصة تسميم محمد كما هي في السيرة النبوية من قبل امرأة يهودية محاكاة لقيام اليهود بالتحريض على يسوع وقتله بالصلب. كل المراجع الإسلامية تجمع أن محمد مات مسموما وهذا الحدث الدرامي كثير الشبهة بالدراما التي تنهي حياة البطل بشكل مفاجئ تحفظ إعجاب الناس فيه. ويقول التقليد الإسلامي أيضا أن أول خلق الله كان محمد والفكرة الأصلية كانت أن يسوع هو أول الخلق وان الخلق كان به بحسب ما جاء في إنجيل يوحنا. فهل هو إسقاط آخر؟

يقول إرنست رينان أن محمد ظهر وعاش في ضوء التاريخ. ولكن بعد هذ السرد الطويل إلى أي مدى يظهر هذا الضوء حقيقة وجود هذه الشخصية؟

الفصل الخامس عشر

مؤمنون ومسلمون

قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

عندما أعلن المسيح انه ما أتى لينسخ التوراة وإنما ليكمل الشريعة فهم المسيحيون هذا التكميل بأنه تطوير وتعديل وفهم النصارى من بني إسرائيل أنه تصديق وتفصيل. لذلك قال المسيحيون بإقامة الإنجيل من دون التوراة وقال النصارى بإقامة الإنجيل والتوراة معا[١٥٤]. ولذا يرى البعض مسألة نشوء الإسلام باعتباره النتاج الطبيعي لطائفة النصارى التي تواجدت على هامش المسيحية الهللينية. لكن آخرين يرون أن الإسلام كان الإبن الشرعي الفعلي لليهودية الحاخامية بتلمودها ومدراشها وتراثها الهاغادي الهالاخي[١٥٥]. أما أبو موسى الحريري صاحب كتاب ***قس ونبي*** وهو أشهر كتاب تحدث عن مراحل نشوء الإسلام وتطوره فيرى أن الإسلام والنصرانية دين واحد باختلاف الإسم. أو لنقل إن الإسلام هو الإسم العربي للنصرانية وهذا هو المعنى الحقيقي لدين إبراهيم الحنيف الذي يقوم أولا وآخرا على رفض الشرك وعلى القول بوحدانية الله المطلقة[١٥٦].

كما رأينا في فصول سابقة فإن القرآن كان تجميعا ومن ثم ترجمة لنصوص طقسية سريانية ونصرانية وكان الإسلام تعريبا للديانة الإبراهيمية ومحاولة لانتزاع الإرث الإبراهيمي من اليهود. وجمع النص وتعريب الإرث الإبراهيمي لم يكن بحال من الأحوال في غير منطقة تركز النصارى السريان أي في البلاد السورية

---

١٥٤ – الأستاذ الحداد: القرآن دعوة نصرانية، نسخة الكترونية

١٥٥ – نبيل فياض: يوم انحدر الجمل من السقيفة، نسخة ألكترونية

١٥٦ – أبو موسى الحريري، قس ونبي، نسخة ألكترونية.

التي كانت مهد النصرانية. فالإسلام الذي تبلور في الشام وبحسب ما تشير إليه الرواية الرسمية لم يكن ديانة جديدة. بل كان دعوة إلى تطبيق تعاليم التوراة والإنجيل أي تعاليم المذهب النصراني أو الأبيوني في الحسنات والصدقات وتبشير بالجنة والنار والقيامة ووعيد بالعقاب وتذكير بأحوال الساعات الأخيرة. وكانوا لا يؤمنون إلا بإله بني إسرائيل "*لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل*"[١٥٧]. حتى المسلمين اليوم لا يرون في الإسلام ديانة جديدة بل هي ذات الرسالة التي أوحاها الله إلى أنبيائه.

لقد سعى الإسلام إلى توحيد أحزاب النصارى بدعوتهم لإقامة الدين وعدم التفرق فيه. فالمسلمون هم النصارى الذين توحدوا في كل شيء: في الإسم وفي الكتاب وفي العقيدة حتى أصبحوا أمة واحدة وأصبح اسمهم مسلمين وكتابهم القرآن ودعوتهم الإسلام وعقيدتهم أن: لا إله إلا الله[١٥٨].

يرى هيلاري بيلوش أن الإسلام بدأ كهرطقة حافظت على الوجه اليهودي للإيمان الجديد من وحدانية مطلقة لله رافضة كل الوجوه المسيحية من تجسد وألوهية واعتبرت المسيح مجرد نبي إنسان كما رفضت الكهنوت والرهبنة والأسرار[١٥٩]. ولكن بماذا يختلف الإسلام؟ الهرطقات كانت تهزم وتنتهي لكن هذا لم يحدث مع الإسلام، لماذا؟ يرى البعض أن السبب هو البساطة الشديدة

---

١٥٧ – دكتور مصطفى عبد الله، الوهم الإسلامي، نسخة ألكترونية.

١٥٨ – أبو موسى الحريري، قس ونبي، نسخة ألكترونية.

١٥٩ – Hilaire Belloc: What Kind of Religion is Islam, electrical Version.

ولأنها هرطقة كانت من خارج الكنيسة وليس من داخلها. كما أن الإسلام لم يكن بدعة وثنية في مقابل الكنيسة ولم تكن غريبة. لكن استمرارها وطول إقامتها جعل منها دينا مستقلا. وربما لهذ السبب يستنتج زويمر أن الإسلام ليس اختراعا مستقلا بل خلطة ليس فيها أي جديد ما عدا العبقرية في مزج مواد قديمة ليكون وصفة لكل الآلام الإنسانية.

لقد شكك كثيرون في الرواية الإسلامية الرسمية لبدايات الإسلام. كتب كثيرة وضعت لتكشف بعض الحقائق. ينسب أحد الباحثين إلى باحث ألماني قوله إن في القرآن على سبيل المثال مئتا موضع متطابق بالكامل مع مواضيع في الهاغاداة أي التلمود البابلي وعشرون موضعا من التلمود الأورشليمي وسبعة عشر موضعا من المشنا. أما فيما يتعلق بالتشابه مع الهالاكاة فالتطابق يبدو مذهلا. لذلك تكون الإسلام بحسب نبيل فياض في رحم اليهودية الحاخامية التلمودية[١٦٠]. هذا التطابق مع اليهودية يجعل الفكرة القائلة إن الإسلام خرج من عباءة الآريوسية لا تصمد. فالإثباتات[١٦١] على التشابه الصادم بين الإسلام واليهودية والإنكار التام لألوهية المسيح في الإسلام يجعل اقترابه من الآريوسية أمرا بعيد المنال. واغلب الباحثين يرون الإسلام مسيحية يهودية هي النصرانية المشرقية[١٦٢].

---

١٦٠ – نبيل فياض: ما هو الإسلام، نسخة ألكترونية.

١٦١ – انظر مقالة كامل النجار في ملاحق الكتاب

١٦٢ – Islam: A Jewish Heresy, Paul Smith Junior

وعندما يشير البعض إلى أن الإسلام المبكر كان ثورة من النصرانية السريانية المتطرفة ضد المسيحية النسطورية فإنه يسهل فهم تحوله ضد المسيحية الهللينية التي تبنتها بيزنطة وسبب محاربته لها فيما بعد. حتى يمكن القول إن الإسلام وقبل أن يحمل هذا الإسم كان سابقا على القرآن نفسه وبقية التراث الإسلامي المعروف.

تميل معظم البحوث إلى أن الإسلام ما هو إلا النصرانية نفسها بعد اكتمال انفصالها عن المسيحية التقليدية وبعد نزع اللاهوت منها والإبقاء عليها دينا بسيطا على الطريقة اليهودية. والإسلام الأولي أي الإسلام المبكر متأصل جدا في النصرانية وهو ما يؤكده تشابه بعض التعبيرات القرآنية والسريانية[١٦٣]. ويرى هؤلاء أن الإسلام هو تتويج انتصار المسيحية اليهودية وهي النصرانية وسيادتها على المشرق ومن ثم الانتشار إلى الجوار وما بعده بقوة الدولة العربية الناشئة.

عند الحديث عن بدعة النصارى تحدثنا عن مؤتمر أورشليم لسنة ٤٩ الميلادية. وقد أشار القرآن لهذا المؤتمر إشارة صريحة بقوله: *فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة*. ففي تلك السنة انقسم اتباع المسيح إلى شيعة النصارى التي أصرت على التزام الناموس الموسوي وسنة المسيحيين التي تحللت من الناموس. وهذه الطائفة التي آمنت هي الأمة *من قوم موسى يهدون بالحق*

---

١٦٣ – هشام جعيط: تاريخية الدعوة المحمدية، منشورات دار الطليعة بيروت

وبه يعدلون. يشير القرآن إلى هؤلاء النصارى بأنهم كانوا على صواب ويفيد بأن كتاب هؤلاء المقبولين من النصارى هو الإنجيل بالمفرد وليس بالجمع. ويرد في المأثورات الإسلامية أن إنجيل النصارى هذا لم يكن مكتوبا باليونانية ولكن بالعبرانية. والقرآن يثني على هؤلاء النصارى وإخلاصهم وتواضعهم ومودتهم تجاه الجماعة الإسلامية[١٦٤]. وهذا كان مذهب اتباع أساقفة الختان ولم يكن هذا دين المسيحيين.

أما الأستاذ الحداد فيرى أن النصارى من بني إسرائيل لم يذوبوا لا في يهودية ولا في مسيحية ولم ينتهوا في الظل والحقارة إنما كانت لهم هجرة ثانية وهم الذين هيأوا الحجاز لقبول الدعوة وترسيخها. وهي الأمة الواحدة التي يشيد بها القرآن. *أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم النبوة*. فالكتاب هو التوراة والحكم هو الإنجيل والنبوة كناية عن موسى وعيسى. فيكون النصارى هم الذين آمنوا بالمسيح لكنهم بقوا على التزامهم شريعة موسى وعيسى دينا واحدا (الشورى ١٣). وقد كان ذلك في التبشير بالكتاب والحكمة معا. والاقتداء بهدي أهل الكتاب ثم الاستشهاد المتواتر بالكتاب وأهله وإعلاء شان التوحيد الكتابي.

وبما أن النصارى من بني إسرائيل يقيمون التوراة والإنجيل معا فهم ما فتئوا يدعون المسيحيين إلى طريقتهم: *قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل* (المائدة ٧١). والنصرانية من بني إسرائيل تؤمن بالمسيح

---

١٦٤ – الحسن بن طلال: المسيحية في العالم العربي

نبيا ولا تغلو فيه لأنها الأمة الوسط *وكذلك* **جعلناكم** *أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس* (البقرة ١٤٣).

ليس الحداد وحده الذي يشير إلى التشابه والتوافق بين النصرانية والإسلام. ففي كتابه ***النصارى*** الصادر عام ١٧١٨ يشير جون تولاند إلى وجود تشابه كبير بين أتباع المسيح الأوائل وبين المسلمين. فهؤلاء الأبيونيون النصارى يقبلون مثل المسلمين أن يكون يسوع ولد من عذراء ومن دون أب ولكنهم يرفضون وجوده المسبق ككلمة الله وحكمته كما انهم يرفضون تعليم بولس الرسول.

وينقل نبيل فياض في كتابه "***يوم انحدر الجمل من السقيفة***" عن كتاب ألماني صدر في الأربعينات بعنوان ***عقائد اليهود المتنصرين وتاريخهم*** في الفصل المعنون: العقائد الأبيونية والإسلام نرى ما يلي: الأبيونيون انشقوا عن النصارى وازدادوا تطرفا في تمسكهم بالعقائد والشرائع الموسوية.

لقد كان من الواضح أن الإسلام دعوة للعودة إلى دين إبراهيم على المستوى الرمزي وعودة إلى الإله البدائي للجزيرة العربية وتجلياته في المسيحية اليهودية. لكن هذا كله جرى طمسه في التاريخ الذي وضع للدين الجديد. ومن هنا جرى وصم القرشيين بأنهم عبدة أوثان وتم إخفاء حقيقة انهم قد يكونون اتباع المسيحية الهللينية[١٦٥]. ومن غير المؤكد أن القرشيين كانوا في الحجاز وإنما

---

١٦٥ – نادر قريط: البدايات المظلمة للإسلام. مقال في موقع الأوان

كانوا في منطقة ما في الشام. وكانوا على التزامهم بالتحالف مع البيزنطيين أصحاب المسيحية الهللينية. فكلمة قريش تعني في بعض معانيها الحلف والتحالف بلغة السريان. ولكن لماذا نقل الموروث الإسلامي هؤلاء إلى الحجاز وجعل منهم قبائل وثنية تحارب الإسلام ويحاربها فهذا كان لمجرد بناء شخصية جديدة لهذا الدين يجعل منه حالة فريدة. ولكن في تفسير آخر انه ربما كان في الحجاز فريق من حلفاء بيزنطة وكانت تسميتهم "القريش" أو قاريشا.

لقد كان نتيجة اندماج المسيحية اليهودية والنصرانية وبقايا اليهودية تولد التوحيد العربي الخالص ولأن العنصر العربي كان متفوقا حضاريا وفكريا فقد فرض سيطرته على الجميع. لقد كان كل شيء في هذا الفكر الديني الذي ساد منطقة المشرق والهلال الخصيب يركز على فكرة المصطفى المختار المحمد الذي يشكل رأس الزعامة النبوية للعرب وقد كانت هذه الصفة حصرا للمسيح عبد الله ورسوله بحسب ما كان يؤمن به اتباع هذا المذهب. وهكذا يكون الإسلام قد ظهر كدين مستقل وثقافة ضمن عملية نضال طويلة بحثا عن الهوية من قبل شعوب يائسة وحدتها الدولة العربية التي استقلت عن البيزنطيين وعن الفرس في وقت سابق.

لذلك فإن فكرة نشوء وظهور الإسلام في بلاد الشام، أي البلاد السورية وليس جزيرة العرب تأخذ زخما وبعدا معقولا. لكن الكتابة اللاحقة لتاريخ الدين من خلال المؤلفين العرب في العصر العباسي جعلت الحجاز موطن الدين

الجديد وابتدعت قصة الوحي في إسقاطات واضحة من اليهودية والزرادشتية والمسيحية ولكن القصد كان ترسيخ استقلال الدين الجديد عن أصوله المسيحية واليهودية التي وضعت في الشام.

أما معارك الإسلام في الحجاز فقد تكون معارك الأمويين للسيطرة على البلاد وفرض المذهب الجديد. وقد كانت معركة بدر فاصلة وقد تكون هي الحد الفاصل بين المسيحية اليهودية النصرانية واستقلالها عن اليهودية بشكل تام. وعندما تحدثت الكتب عن فتح مكة فعندها تحول الإسم إلى الإسلام بشكل نهائي. فالنصرانية والإسلام دين واحد باختلاف الإسم. فالإسلام هو الإسم العربي للنصرانية[١٦٦] وهذا هو المعنى الحقيقي لدين إبراهيم الحنيف الذي يقوم على رفض الشرك والالتزام بوحدانية الله المطلقة.

تتمثل خلاصة ما تبناه الإسلام في شكله النهائي في بضعة مفاهيم بسيطة. فهو ابتعد وأنكر التصور الروحاني الذي في المسيحية الهللينية وأبقى على التصور النصراني من غير لاهوت. فالتزم التوحيد الخالص وفقا لليهودية ونعى على أهل الكتاب أي المسيحيين تثليثهم وهذا واضح في كثير من الآيات التي ضمنت في القرآن. فهذا التوحيد الخالص البسيط كان مناسبا للعقلية الشرقية التي توصف أحيانا بانها براغماتية[١٦٧]. وأنكر الصلب تماشيا مع بدعة المشبهة

---

١٦٦ – أبو موسى الحريري: قس ونبي.

١٦٧ – كارين ارمسترونغ: الإسلام تاريخ مختصر

والتزم السبت ثم تحول إلى الجمعة والتزم القبلة للصلاة مع أنه حولها من بيت المقدس إلى الكعبة لكسب قلوب عرب الحجاز. وفرض الوضوء كما يفعل اليهود قبل الصلاة. وقد قبل العرب بسهولة هذه المبادئ التي لا تحمل التزامات كبرى. ويجب ملاحظة أن الإسلام في نسخته النهائية حافظ على مكانة المسيح. فالشهادة بعيسى بن مريم بطريقة "عبده ورسوله" تظهر كما يقول سليمان بشير[١٦٨] مدى الاعتماد على المسيحية اليهودية فالإيمان بعيسى ليس مجرد نبي عادي كأي نبي آخر الأمر الذي يعني انتساب الإسلام إلى إيمان يكون فيه عيسى الإنسان النبي عنصرا أساسيا. وبحسب القرآن في نسخته الأخيرة فالذين كفروا من بني إسرائيل هم الذين رفضوا نبوة عيسى بن مريم أما الذين اتبعوا المسيحية الهللينية والذين يشير إليهم باهل الكتاب في معظم الآيات فهم الذين أشركوا وغالوا في دينهم.

لم يقم واضعو القرآن بترجمة العناصر المركزية والأساسية في التيارات الدينية الرسمية التي كانت منتشرة لأن هدفهم كان معارضتها ومواجهتها والانقلاب عليها[١٦٩]. بل إنهم ترجموا كل ما أهملته تلك التيارات. ترجموا المهمش والأبوكريفا المنحولة وجعلوها في مقدمة ثقافتهم وعقيدتهم الجديدة.

---

[١٦٨] – سليمان بشير: مقدمة في التاريخ الآخر

[١٦٩] – محمد عبد الجليل: القرآن نص مترجم. مقال في الحوار المتمدن ٢٠١٣/١/١٥

لم تكن كلمة مسلم وإسلام حتى نهاية القرن السابع معروفة أو على الأقل بالمعنى الذي نعرفه اليوم. فمقولة أن الإسلام من السلام لم تكن معروفة في ذلك الوقت الذي نشأت فيه. إنما الإسلام كانت كلمة تعني التسليم بشريعة موسى وعيسى والتوافق بينهما على ملة النصارى. ونرى في القرآن آية تشير إلى أن المسلمين كانوا قبل القرآن. *هو الذي سماكم مسلمين من قبل وفي هذا*، كما يقول: *وأمرت أن أكون من المسلمين*. وترى باتريشيا كرونة أن لفظ إسلام / مسلم بمعنى الخضوع مأخوذ من اللغة السامرائية وليس في العبرانية أو الآرامية أو السريانية ما يفيد هذ المعنى بهذا اللفظ. لكن آخرين يرون أن الكلمة تعني في الواقع *التطابق* أو *التوافق* أو *الاتباع* لما يقوله الكتاب[١٧٠]. ومصدر أسلم أو يسلم كإعلام مصدر أعلم ويعلم والمراد به التسليم والإقرار بصحة النبأ وتصديق الخبر أو تسليم المغلوب سلاحه ونفسه. والكلمة لا تدل على دين لأنها ليست أكثر من مصدر فعل من مصادر الأفعال[١٧١].

وليس في كلمة إسلام شيء من البيان عن ماهية الدين ونوعه. فالدين شيء والإسلام شيء آخر. فالدين إيمان والإسلام تسليم بشيء موجود. من هنا فالإسلام قد يكون ترجمة لكلمة توافق، موافقة، اتفاق، مع شريعة موسى. بمعنى العودة إلى دين إبراهيم وشريعة موسى وناموس التوراة. ولذلك فإن الدين أي دين

---

١٧٠ – آل طلال م صمد، مقال في الحوار المتمدن، ٢٠١٣/٩/٦

١٧١ – علم الإعلام في حقيقة الإسلام. مقال على النت بدون توقيع

إبراهيم هو الإسلام أي الاتفاق مع الشريعة: *ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين*.

لقد جاء لفظ الإسلام بمعنى الوئام والاتفاق بين مختلف الطوائف والمذاهب من اجل التهيؤ لاقتراب الساعة. ويرى نادر قريط في مقالة حول البدايات المظلمة للإسلام إن عبد الملك آل مرو أو عبد الملك بن مروان كما نعرفه ربما جاء من الشرق من بلاد فارس الذين هم في الأساس من المهجرين النصارى العرب واتباع الكنائس التوحيدية قبل نيقية وجاء معه فريق بهدف تأسيس سلالة داؤدية حاكمة انتظارا لمجيء المسيح المنتظر في الهيكل الجديد الذي بناه وهو مسجد قبة الصخرة.

أما الإيمان المطلوب فهو الإيمان الذي جاء به أنبياء الكتاب كلهم خصوصا بما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم. وهذا هو إيمان النصارى من بني إسرائيل ومن تنصر معهم من العرب. فلا هو ملة إبراهيم فقط ولا شريعة موسى فقط ولا هو دين عيسى فقط انه دين موسى وعيسى معا بإقامة التوراة والإنجيل كتابا واحدا. ولذلك فعندما انتشر الإيمان في الحجاز والجزيرة لم تكن هناك ثقة بالأعراب الذين وصفوا بأنهم اشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود الله. وعندما قالت الأعراب آمنا قال لهم: *لم تؤمنوا وقولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم*. بمعنى أن هؤلاء يمكن أن يكونوا قبلوا الدين شكلا وطقوسا متوافقة مع الشريعة الموسوية لكنهم لم يؤمنوا كل الإيمان. لكن الأمر

مختلف مع المسيحيين من أهل الكتاب. إذ يصر عليهم بالإسلام قبل الإيمان: *وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا*. وقد كان القصد من ضرورة إسلام أهل الكتاب أن يتركوا التثليث ويلتزموا الشريعة مثلما يفعل النصارى.

الفصل السادس عشر

عودة إلى الجذور والأصول

قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي

في كتابه ***القرآن المنحول***[١٧٢] يرى جاي سميث أن شكوكا عديدة تحيط بنشأة الإسلام وهذا ما يقوله كثيرون من الباحثين المعاصرين لكنه يجمل شكوكه وآرائه بما يلي:

إن ما يعرف بالهجرة في تاريخ الإسلام كانت باتجاه القدس وليس إلى أي مكان آخر. فقبلة الصلاة كانت بيت المقدس قبل أن تتحول إلى مكة. ولذا فإن القدس هي المقام الأصلي للإسلام وقبة الصخرة كانت الكعبة الأولى. أما العلاقة مع اليهود فقد ظلت إيجابية لغاية سنة ٦٤٠ للميلاد إلى أن وقعت القطيعة النهائية. أما محمد كاسم شخصي فلم يعرف نبيا للدين الجديد قبل نهاية القرن السابع وكذلك وصف إسلام ومسلمين لم يصبحا تعريفيين لدين مستقل واتباعه إلا في نهاية القرن السابع الميلادي أيضا. كما أن الصلوات الخمس لم تشرع إلا بعد العام ٦٧١ للميلاد، أما القرآن بهذا المعنى ككتاب للدين الجديد كما نعرفه اليوم فلم يسمع به أحد قبل منتصف القرن الثامن الميلادي. لكن الغريب كما يقول سميث في كتابه هو أن الكتابات القرآنية المبكرة لا تتوافق مع النص المتداول حاليا. ***ومصحف صنعاء*** كان الدليل الأقوى على ذلك.

إن أبكر ظهور للفظة الإسلام موجودة منذ العام ٦٩١ فقط على جدران قبة الصخرة أي بعد ستين عاما من محمد المفترض. فاتباع الدين الجديد كانوا

[١٧٢] – جاي سميث: القرآن المنحول، ترجمة إبراهيم جركس.

يعرفون من قبل غيرهم بأنهم مهاجرين أو هاجريين وكذلك تشير إليهم كل الكتابات غير الإسلامية.

لقد بنى عبد الملك مسجد قبة الصخرة ليضاهي به كنيسة القيامة التي للمسيحيين الهللينيين وكذلك ليضاهي كعبة ابن الزبير في مكة. وفي عهد عبد الملك بدأ الانفصال التدريجي عن اليهودية وبدأت تظهر عبارات التوحيد الخالص مع عبارات رفض التثليث المسيحي. فنقشت على جدران قبة الصخرة عبارة لا إله إلا الله وحده محمد رسول الله وبعض الروايات تجعل العبارة: محمد عبده ورسوله لا شريك له. إن عبارة عبد الله كانت أحيانا كثيرة تستعمل لوصف المسيح. فالنصارى الذين يرفضون ألوهية يسوع كانوا يستخدمون العبارة التي وردت في أشعيا: عبد الله وخادمه. أما كلمة محمد فكانت لوضع الوصف التكريمي بمعنى الممجد والممدوح. من هنا تبرز فكرة أن الإسلام بما انه النصرانية المستقلة عن اليهودية وعن المسيحية الهللينية هو ثورة على المذهبين والطائفتين وترك الإسلام الجديد يتطور متأثرا بالزرادشتية والمانوية بعد أن أشبع بالعقيدة النصرانية المشرقية.

فما هو حجم التأثير الذي كان للزرادشتية والمانوية على الإسلام الناشئ؟ يرى البعض أن ما يعرف بالإسلام المدني الذي يتميز عن الإسلام المكي كان بفعل التأثير الزرادشتي وربما بتعبير أفضل التأثير الفارسي الذي وقع في عصر الخلفاء العباسيين. فقد جاء العباسيون إلى الحكم في الإقليم الشرقي من الدولة

الأموية أي في إقليم العراق المتاخم لبلاد الفرس حيث كانت الزرادشتية والمانوية وغيرها من العقائد والثقافات الفارسية منتشرة ومسيطرة. وكما نسب الأمويون أنفسهم إلى أمية ابن عم عبد المطلب الذي جُعل جد النبي كذلك نسب العباسيون أنفسهم إلى العباس الذي هو عم النبي بحسب الأنساب التي وضعت. لقد أطاح العباسيون الأمويين بدعم فارسي مباشر، وشرح غولدتسيهر التأثر الفارسي الذي وقع على الإسلام في العهد الفارسي في مقالة موسعة[١٧٣]. ويرى غولدتسيهر أن الفرس عن طريق العباسيين هم الذين ادخلوا كثيرا من المفاهيم التي أضيفت للإسلام المكي. أبرز تلك التأثيرات كانت الجمع بين الدين والدولة من حيث الشكل الاجتماعي السياسي. أما في العقائد فهم الذين وضعوا فكرة ميزان الحسنات والسيئات وهم الذين أضافوا صلاتين لتصبح الصلوات خمسا في اليوم وهم الذين أوقفوا فكرة الحداد على الميت واستبداله بقراءة القرآن.

وقام الفرس في العصر العباسي بوضع معظم الرواية الإسلامية[١٧٤] التي ترسم صورة الإسلام كما نعرفه اليوم. لكن الغريب والمثير للشك دوما أن هذه الرواية المحبوكة جيدا على ما يبدو لم تترك لنا أي دليل مادي يدعم ويعزز ما تقوله سواء ما يتعلق بالنبي أو الخلفاء أو الصحابة ولا حتى فيما يتعلق بالقرآن

---

١٧٣ – نشر منها نادر قريط في موقع الأوان ٢٠١٢/٥/٤

١٧٤ – آل طلال م صمد، الحوار المتمدن، ٢٠١٣/١/١٧

نفسه. ولم يعثر الأركيولوجيون حتى الآن على دليل مادي واحد يبرهن على تلك الادعاءات.

إن غياب البرهان المادي على دين الإسلام خلال السبعين سنة الأولى من الهجرة امر مثير للغاية. وكما رأينا فإن الإسلام لم يظهر بشكله الأولي إلا مع عبد الملك بن مروان ولم يكتمل إلا مع العباسيين. فالقرنان الهجريان الأولان يقعان في ظلمة التاريخ. فلماذا لم تترك لنا الدولة الإسلامية أي وثائق؟ ولماذا لم يترك لنا خصوم العرب ورغم وجود كتاب بيزنطيين ويهود ومسيحيين كثر عاشوا تحت السلطة الإسلامية؟ لماذا لم يتركوا أي وثائق أو أي دليل؟ لقد كان كتاب "***البدايات المظلمة للإسلام***" محاولة لرسم خطوط مسار هذين القرنين. لقد تمت البرهنة على أن المسكوكات المبكرة وقبة الصخرة في القدس كانت رموزا كريستولوجية تخص اللاهوت المسيحي السوري قبل الانفصال التام في دين جديد مستقل تمام الاستقلال.

لقد ضاع كل ما حدث في القرنين الهجريين الأولين إلى غير رجعة[١٧٥]. وهما قرنان مظلمان حدثت فيهما أشياء لن نتمكن من معرفتها على حقيقتها. وكل ما روي عنها كتب في القرنين التاليين ومعظمه موضع شك ومساءلة لأنه

[١٧٥] – مايكل ماركس أحد تلاميذ لوكسنبرغ.

كتب نقلا عن تراث شفهي مشكوك فيه أيضا. وبحسب محمد سفن كاليش فقد كان الإسلام في بدايته مشافهة وهكذا بدا الإسلام شفاها وتم تناقله كذلك.

في عام ٢٠١٠ صدر كتاب من تأليف كارل هاينز اوليغ وغيرد بوين بعنوان ***الأصول الخفية للإسلام*** ويقول المؤلفان في هذا الكتاب انه لحوالي مئتي سنة منذ بدء الإسلام تقليديا لم يكن هناك مسلمون ولكن نصارى يحملون أيمانا بيسوع شبيها بإيمان المسلمين اليوم تجاه عيسى بن مريم. وحتى القرن الثامن كان المسلمون يسمون أنفسهم المهاجرين. والمصادر المتوفرة عن الإسلام المبكر في الأصل قليلة وذات طبيعة مشتتة وخاضعة للصنعة وتحتمل التحيز الواضح. فالمصادر التي أشارت إلى الإسلام ونبي الإسلام معظمها كتب بعد انتشار الإسلام وسيطرته. قليل جدا من المصادر كانت معاصرة للإسلام في وقته المفترض وكلها كانت تعتمد على الرواية التي تصل عن طريق المشافهة أي انه لا يوجد شهود عاينوه أو اتصلوا به أو بصحابته المفترضين.

كثير من المؤرخين اثبتوا أن محمد شخصية لا يمكن إثبات وجودها تاريخيا وفي المصادر القديمة لا توجد أي إشارة إلى محمد أو إلى الإسلام. واسم محمد كشخص لم يظهر إلا بعد عقود من الوقت المفترض كما ترويه الكتب الإسلامية.

يرى كثيرون أن العلم ينفي وجود إسلام في القرن السابع خلافا لما يرويه الموروث الإسلامي. وأصبح بإمكان العلم أن يتحدى الرواية الإسلامية ويثبت

أن لا صلة لها بأحداث القرن السابع فهي كلها كتبت في القرنين الثامن والتاسع وهناك أدلة بعدم وجود إسلام أو دولة إسلامية في ذلك القرن. كما أن أبطال الرواية الإسلامية هم أشخاص وهميون لا وجود لهم تاريخيا أو هم مسيحيون منحتهم الرواية الإسلامية أدوارا بعد موتهم بقرون[١٧٦].

كما أن الغموض لا يزال يلف تاريخ ظهور الإسلام وتاريخ ظهور وحياة محمد نبي الإسلام بل حتى شخصيته نفسها يحيط بها الغموض. وسبب ذلك عدم وجود شواهد تاريخية يمكن أن نعتمد عليها في تأريخ الإسلام. واللغة العربية لغة القرآن الحالي قد نمت من اللغة الآرامية السريانية التي سادت في منطقة الهلال الخصيب. واللغة العربية لم تكن قد اكتملت عند ظهور الإسلام وكانت في بداياتها لغة صوتية لا حروف أبجدية لها تمكن الناس من كتابتها[١٧٧]. ويبدو أن ثمة فجوة تاريخية تفصل الأحداث المبكرة للإسلام عن مرحلة التدوين[١٧٨]. فسيرة ابن هشام أو الواقدي أو كتب الصحاح الستة كلها دونت بعد مرور مرحلة طويلة سادها النقل الشفهي مما جعل تلك الأحداث عرضة للتساؤل التاريخي خصوصا بوجود صمت للمصادر اليهودية والنسطورية واليعقوبية والقبطية والبيزنطية التي أغمضت عيونها عن لحظات تشكل الإسلام. وهذا امر محير فعلا.

---

[١٧٦] – عماد عبد الزهرة: العلم ينفي وجود إسلام في القرن السابع. الحوار المتمدن ٢٠١٢/٥/٣١

[١٧٧] – كامل النجار: متى ظهر الإسلام، مقال في الحوار المتمدن ٢٠١١/٠٧/١٠

[١٧٨] – نادر قريط: الأسماء وآلية السرد الأسطوري، الأوان ٢٠٠٩/٩/٧

إن ما يدفع إلى هذا الاعتقاد هو عدم وجود أي مادة مكتوبة تشهد للعقيدة التي نعرفها اليوم باسم الإسلام. كما أن الدراسة المعمقة للمادة النصية المستخلصة من تلك الفترة وكذلك من التدقيق في النصوص التي وضعت في العصر العباسي لا تقدم أي دليل على حقيقة بدايات الإسلام. والإسلام السني اليوم[١٧٩] هو النسخة الأموية للشكل العمري للإسلام المحمدي وقد اشتغل فيها العباسيون ونقحوها ودمغوها بالختم الأشعري اللاعقلاني. كما أن الإسلام السني أيضا ممهور بالروح التلمودية واهم مراجعه الآن تغص حتى الاختناق بالتراثيات الحاخامية. وثمة باحثون يرون أن الإسلام نفسه تطور في عصر عبد الملك بن مروان. وانه كان اختراعا لتدعيم الدولة العربية بعد انفصالها عن الروم. ويرى هؤلاء وأبرزهم باتريشيا كرونة أن العرب أرادوا الوصول إلى الأرض الموعودة أو ارض الميعاد بعد أن تأثروا باليهود واختلقوا الدين وتوابعه. فهذا الاختراع أو لنقل بكلمة أوضح: الاستقرار على هذا الدين كان تتويجا لصراع على الهوية عاشه العرب في بلاد الشام بعد تخلصهم من الروم ومن اليهود ومن المسيحيين الهللينيين. ولقطع العلاقة نهائيا مع المسيحية الهللينية ومع اليهود كان تحويل القبلة. فإلى جانب أن هذا كان محاولة لكسب عرب الحجاز الذين انضموا للدولة الأموية والدين الجديد أراد الأمويون قطع كل صلة باليهود وبالمسيحيين الغربيين الذين كانت كنيسة القيامة اهم معلم لهم في القدس.

---

١٧٩ – نبيل فياض: ما هو الإسلام

في كتابها ***الهاجريون*** من ترجمة نبيل فياض ترى باتريشيا كرونة أن حقبة عبد الملك بن مروان تميزت بسمة جديدة: تدمير حَرَمات بالصراعات السياسية الدائرة حول المقولات المهدوية والإمامية وبمحاولة فرض نص قراني قياسي. وترجع البحوث المعاصرة إلى حقبة عبد الملك أصول اللاهوت الإسلامي ولدينا ما يدعو إلى الافتراض بأن خطوط الإسلام الأولى كما نعرفه الآن ظهرت في بدايات القرن الثامن الميلادي. وكما يرى سليمان بشير[١٨٠] فلا يوجد أي دليل تاريخي أو أثرى ملموس على وجود الإسلام قبل فترة عبد الملك وأقدم المساجد والنقوش والآثار النقدية والمسكوكات والإشارات المتفرقة في أوراق البردي تعود إلى فترة عبد الملك. لقد كان هناك تطور تدريجي للفكر الديني عند العرب وهو ما يسمى التوحيد العربي من مرحلة عدم اليقين إلى مرحلة ظهور أو إظهار محمد ومنها إلى البلورة الأخيرة للتوحيد العربي وهو الإسلام المستمر إلى اليوم. ومع عبد الملك يكون الإسلام قد مر في مرحلة إعادة الإنتاج[١٨١] تتضمن التعريب وإدخال التأثيرات المسيحية ومعاداة اليهود إلى الإسلام الرسولي وتحويله إلى الدين القومي للهلال الخصيب الموحد مع الجزيرة العربية بما يضمن الاستقلال التام عن بيزنطة واستيعاب الهجرات القبلية من منطقة الحجاز. فالنقوش على جدران مسجد قبة الصخرة التي وضعها عبد الملك تدل على محاولات نصرانية

---

١٨٠ – سليمان بشير: مقدمة في التاريخ الآخر

١٨١ – سليمان بشير: مقدمة في التاريخ الآخر

لوضع حد مع كنيسة بيزنطة المؤمنة بالتثليث[١٨٢] وتوثق محاولات العرب في المحافظة على هوية خاصة بهم. ولذلك استخدم العرب عام الهجرة ٦٢٢ لبدء تقويمهم الذي ربما كان يعني الاستقلال عن الروم كما رأينا في فصول سابقة. ومن هنا لا يمكن أن نجد الإسلام قبل فترة عبد الملك[١٨٣] وكذلك لا يمكن التحقق من الروايات الشفهية التي تنسب القرآن إلى إطاره التاريخي المعروف في التراث إلا مع نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية في منتصف القرن الثامن الميلادي.

في عهد عبد الملك تحول الإسلام إلى دين الدولة بعد تنظيمه وضبطه على الأقل فيما يخص البنية اللاهوتية الأساسية له وللنص المقدس.

---

١٨٢ – نادر قريط: البدايات المظلمة للإسلام مقال في الأوان

١٨٣ – سليمان بشير: مقدمة في التاريخ الآخر

الفصل السابع عشر

هل العربية لغة العرب؟

قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون

يعتقد العرب أن أصلهم من الجزيرة العربية وليس الهلال الخصيب. ليس هذا سوء فهم تاريخي فقط، انه سوء فهم تاريخي وجغرافي أيضا. فاسم "العربية" الذي نعرفه الآن هو من تدبيج اليونان وبعدهم الرومان. أما سكان الشرق الأوسط الأصليين فلم يكونوا يعرفون هذا الوصف. فهذا الوصف كان خاصا بالمناطق داخل سوريا وحواليها في فلسطين وكان السكان يوصفون بأنهم عرب هاجريين أو إسماعيليين. وقد أعطي وصف العربية منذ البابليين حتى اليونان لثلاث مناطق:

- جنوب فلسطين وشرق مصر
- مناطق في شرق فلسطين
- ومناطق غرب وادي الرافدين

أما بشأن اللغة فقد كانت لغة هؤلاء هي الآرامية أما العرب فيما يعرف الآن بجزيرة العرب فلم تكن لهم لغة خاصة بهم ولم يعرفوا القراءة والكتابة إلا بعد استقرار القرآن وانتشار الإسلام. ولذا فإن اللغة العربية الحالية منبثقة عن العبرية والكنعانية والسريانية والآرامية وهذه كلها مصادر للغة العربية. وفي هذه المنطقة كانت اللغة العربية في بداياتها لغة منطوقة غير مكتوبة وخصوصا في بوادي الحجاز وما جاورها. ولهذا السبب فإن الذين تعلموا العربية من هؤلاء كتبوها أولا بالحروف السريانية غير المنقطة وهذا ما أدى إلى عدم فهم كثير من آيات القرآن من قبل المفسرين.

معروف تاريخيا أن اللغة العربية لم يكن لها وجود كلغة مكتملة قبل اكتمال القرآن وانتشار الإسلام. بل كانت اللغة المشتركة والمكتوبة المنتشرة ما بين القرن الرابع الميلادي حتى الثامن هي اللغة الآرامية. وليس هناك أي أثر للآداب العربية لان أول نموذج عربي ظهر بعد الإسلام هو ***سيرة*** ابن هشام الذي هو تلخيص لكتاب ابن اسحق ***المغازي*** الذي وضع في العصر العباسي.

تشير أبحاث كثيرة إلى أن اللغة العربية المكتملة لم تكن نتاج مجتمع مكة وحده ولا عموم المجتمع الحجازي بل هي نتاج التقاء وامتزاج ثقافتين عريقتين جاءتا من الشمال والجنوب واجتمعتا في مكة: الثقافة اليمنية ذات الميراث الذي يتجاوز الألف عام والثقافة الآرامية الحاملة لميراث بضعة آلاف عام من حضارات العراق والشام[١٨٤]. ويرى آخرون أن اللغة العربية انحدرت من اللغة الآرامية التي هي المصدر الرئيسي للغة العربية. فقد نبعت اللغة العربية المستخدمة في القرآن من منطقة غربي الفرات ما بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين. وتركزت في بداية نشأتها في قبائل المناذرة النصرانية في منطقة الحيرة جنوبي العراق. وقد وصل حكم المناذرة إلى الأنبار غربي الفرات حيث امتد تأثير لغتهم. لذلك فإن المصادر الأصلية للغة العربية هي القبائل المسيحية النصرانية في الحيرة والأنبار. وتدريجيا أصبحت اللغة العربية لغة رئيسية في كل مناطق غربي الفرات ولعل هذا هو السبب في تسميتها عربي

---

[١٨٤] – الساميون العرب من العراق والشام إلى الجزيرة العربية، مقال على النت بدون توقيع

من أصل غربي الفرات وانتشرت بالتدريج نحو الشام ثم جنوبا نحو مكة والحجاز بواسطة التجارة والتبشير[١٨٥]. وفي الحيرة ظهرت أولى معالم الخط العربي الذي قام على نسق الخط الآرامي وعرف بالخط الحيري ومن الحيرة اتجه إلى الحجاز. ومعروف أنه في الحجاز والجزيرة العربية عموما لم يعثر حتى الآن على أي مخطوطة باللغة العربية للفترة التي سبقت الإسلام. وكل ما عثر عليه محض مقاطع قصيرة تدل على أن اللغة العربية كانت لغة منطوقة غير مكتوبة تفتقر إلى التنقيط وعلامات التنوين وحروف العلة.

يكشف تاريخ اللغة العربية أنها في كل مراحلها ظلت تنمو في أحضان اللغة الآرامية ـ السريانية الأم فهي ولدت بين ظهرانيها. وهي كذلك قد ترعرعت وأصبحت لغة علوم وآداب وفلسفة في أحضان السريانية[١٨٦]. واللغتان العربية والسريانية الآرامية شقيقتان ومتشابهتان لدرجة أن الاستعارة من إحداها إلى الأخرى لا يمكن رصدها بسهولة. وعندما بدأ المفسرون يدرسون ويشرحون النص القرآني بعد مئتي سنة من زمن الدعوة المفترض كانت المعاني الآرامية قد ضاعت فافترضوا أن الكلمات عربية فبرعوا ونشطوا في تفسيرها على هواهم وبما يقتضيه خيالهم وثقافتهم المحلية.

---

[١٨٥] – نور ساطع: تعليق في الحوار المتمدن ٢٠١٤/٢/٢٣

[١٨٦] – زاهية النجفي: دور الترجمة من السريانية في تطوير العربية

وإذا اتفق كثيرون على مصدر اللغة العربية واصلها فإن كثيرين اختلفوا بشأن مصدر شكل الحروف العربية أو مصدر الأبجدية العربية فلا يوجد دليل على أنها انحدرت إلينا من خط المسند أو خط الحجاز فلا توجد أي آثار تدل على ذلك[١٨٧]. وبعد كشوفات مهمة ثبت أن الأبجدية العربية مشتقة من الآرامية النبطية وتم هذا الاشتقاق على مراحل قاربت مئتي سنة حتى القرن السابع حيث كتبت العربية بحروف سريانية غير منقوطة. يقول البلاذري في كتابه فتوح البلدان: اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية[١٨٨].

حتى سنة ٦٦٠ ميلادية لم تكن هناك أي إشارة للغة العربية في الحجاز. وظهور العربية في الحجاز مكتملة وجاهزة يدل على قدومها من الشمال نتيجة احتلال عربي شمالي بقيادة الأمويين. ولقد وجدت في بلاد الشام نقوش عليها خط عربي مكتمل. مع انه تم اكتشاف نقش وحيد في مدينة الطائف بالخط الكوفي وبغير تنقيط يتحدث عن أمير المؤمنين عبد الله معاوية[١٨٩]. وما عدا هذا النقش لا يوجد أي دليل على أن اللغة العربية الكلاسيكية كانت موجودة في الحجاز وما يقال عما يسمى لغة قريش ما هي إلا أسطورة لا أصل لها. فلا يوجد لغة كاملة لقريش حملها العرب إلى البلدان التي غزوها وأصبحت في القرن

---

١٨٧ – المطران بولس بهنام: مقال في النت بدون تاريخ حول اللغتين العربية والآرامية

١٨٨ – البلاذري فتوح البلدان منشورات محمد بيضون دار الكتب العلمية بيروت ص ٢٧٩

١٨٩ – خلف النبي محمد، نسخة ألكترونية، ص ١٨٠

التاسع لغة عالمية للتدوين بعد أن نمذجها علماء فرس مثل الفراهيدي والزجاج وسيبويه والجرجاني وأبو علي الفارسي[١٩٠]. كما تخبرنا كتب التراث أن الكتابة في قريش كانت معدومة أو شبه معدومة. يقول الغزالي: الكتب والتصانيف محدثة لم يكن منها شيء في زمن الصحابة والتابعين. وكان الأولون يكرهون الكتابة لئلا يشتغل بها الناس عن حفظ القرآن[١٩١].

يؤكد علم اللسانيات أن اللغات الكبيرة يلزمها تمركز حضاري وأجيال تحصنت بالمعرفة. من السذاجة الاعتقاد أن اللغة العربية نشأت في أرض لا زرع فيها ولا ضرع. ومن السذاجة الاعتقاد أن الصحراء موئل الفصاحة يتتلمذ على يديها فقهاء اللغة. لقيات الأركيولوجيا ونقوش الخط العربي القديم وأصوله تدلنا على ذلك. فمعظمها وجد خارج الجزيرة العربية الحالية واهمها في حوران حتى حلب شمالا وسيستان الإيرانية شرقا إلى بردية الفيوم غربا[١٩٢]. كما أن كثيرا من النقوش المكتشفة التي يعتقد بعض الدارسين أنها أصل اللغة العربية لم تكتشف في الحجاز بل في الشمال: حوران، بُصرى، وبلاد الرافدين وأقدمها يعود إلى العام ٥١٢ للميلاد.

---

[١٩٠] – نادر قريط: مدارات نقدية في أصول العربية، الأوان ٢٠٠٩/٠٥/١٠

[١٩١] – إحياء علوم الدين، باب العبادات

[١٩٢] – نادر قريط: مدارات نقدية في أصول العربية، الأوان ٢٠٠٩/٠٥/١٠

عندما تذكر بعض المراجع أن العرب كتبوا في الجاهلية بالعبرانية فانهم يقصدون السريانية. فعبرانية ذلك العهد هي الآرامية[١٩٣]. أما الذين يؤكدون وجود اللغة العربية المكتملة من خلال تأكيد وجود الشعر الجاهلي فإن ادعاءهم لم يثبت لا أركيولوجيا ولا علميا لكن هؤلاء قصدوا إعطاء مصداقية قديمة ولو بأثر رجعي للنص المقدس. وهذا الأمر سهل تعريب الدين الجديد وإعطائه نكهة عربية من اجل التميز عن اليهودية والمسيحية وكذلك في وقت لاحق عن النصرانية التي رفض جزء منها اللحاق بالتعريب.

أما الخط العربي فهو مشكلة أخرى. فلا يوجد أي اتفاق على أصل الخط العربي وكيفية نشأته. فمن أين جاء هذا الرسم الذي نعرفه الآن؟ جميع النقوش القديمة التي تعرف بخط المسند وخط الحجاز والخط الحميري وكذلك النبطية والسريانية كلها حروف مختلفة كل الاختلاف عما نستعمله الآن. يبدو أن العرب استعاروا أحد الخطوط الآرامية وعلى الأرجح الكوفي ثم غيروه فيما بعد لكنهم استعاروا هذه الحروف بعيدا عن أي منطق علمي بل تدل طريقة استعارتهم على جهل تام بوظيفة الحرف والكتابة.

في العصر الأموي وبتكليف من ملوكه وخصوصا عبد الملك بن مروان تم تطوير الحرف العربي واختراع التنقيط والتشكيل بواسطة الحجاج والخليل بن أحمد وأبو الأسود الدؤلي واستعمل الخط الجديد لكتابة وإعادة كتابة أو ترجمة

---

١٩٣ – لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية.

نص قريانة عبد الملك. ومن هنا جرت ترجمة القرآن من الحرف السرياني غير المنقوط إلى الحرف العربي المنقوط ومن هنا أيضا كان سوء الترجمة والتخبط في المعاني والتفسيرات المتضاربة. لكن التطوير النهائي كان في العصر العباسي. ففي الربع الأول من القرن التاسع ٣٢٢ للهجرة أعلن ابن مجاهد وهو اهم مرجع في القرآن في بغداد انه ثبت شكل الحروف العربية ومنع استخدام أي شكل آخر. لقد عمل ابن مجاهد ومن بعده ابن مقلة وهو من أشهر الخطاطين العرب على إعادة تشكيل الحرف العربي وهذا ما يسمى بالضبط الإملائي النهائي الذي أشرف عليه مختصون في اللغة أفاد في توحيد تلك الكتابة المتناثرة وحفظها ضمن شكل النحو العربي القياسي للغة العربية الفصحى القياسية.

إن ضبط التهجئة التي تميز القرآن ليس سوى تمثيل ناقص للرسم الذي وان كان يعود إلى النبطيين أو الأنباط فإنه موضوع بالشكل السرياني أو الرسم السرياني[١٩٤]. ومعروف أن القرآن العربي كان أول محاولة للكتابة العربية بشكل منظم وهو الكتاب الوحيد الذي عمم اللغة العربية والحرف العربي نقلا عن السريانية. وبما أن القرآن هو الكتاب العربي الأول فمن الضروري أن يكون مؤلفوه قد اضطروا إلى مواجهة صعوبات جمة. أبرزها انهم اضطروا إلى تبني كلمات وتعبيرات جديدة لأفكار جديدة. وقد كان ذلك في لغة لم تضبط بعد بأي قواعد أو نحو معجمي. وكانت أفضل طريقة لمنع احتمال عدم فهم ما يعنيه

---

[١٩٤] MSM Saifullah: Quran and History –

النص باستخدام كلمات مفهومة من قبل السامعين وموجودة في لغة قريبة للغته والتي كانت لغة كنسية ودينية لقرون عديدة[١٩٥]. وحتى في كتب التراث ينسب إلى عثمان بن عفان الذي أشرف بحسب الرواية الرسمية على جمع القرآن وترتيبه انه قال: أن فيه أخطاء في اللغة، دعوا عرب الصحراء أن يعدلوه بحسب لسانهم. ليس المهم هنا عبارة عثمان ولكن المهم هو الفكرة التي تسربت إلى هذا النص وهي أن عرب الصحراء عدلوا النص. فإن كانت هذه الرواية صحيحة فإن لها معاني عديدة أهمها أن عرب الصحراء أعادوا الكتابة أو صححوا الكتابة لما يناسب لهجتهم ومعانيها وكلماتهم وما ترمز إليه. ومن هنا وقعت الالتباسات والتغييرات ومن ثم الاختلاف البين عن الأصل السرياني.

في عشرينيات القرن العشرين تساءل مرغليوث في كتابه "***محاضرات في المحمدية***" عما إذا كانت لغة القرآن الأصلية هي العربية إلا أنه لم يحسم في الأمر. لكن الذي حسمه هو كريستوف لوكسنبرغ. يشير لوكسنبرغ إلى أن القرآن هو أول كتاب دون باللغة العربية لعدم وجود أي أثر تاريخي لمخطوط سابق ما خلا بعض النقوش النبطية القريبة من العربية. لذلك يرى لوكسنبرغ أن عربية القرآن المتداول حاليا ليست عربية على الإطلاق. أو على الأقل ليست كما نظر إليها المفسرون الأقدمون. ويرى لوكسنبرغ كما ظهر خلال كتابه أن

---

[١٩٥] – ألفونسو منكانا: التأثير السرياني على القرآن. ترجمة ابن المقفع

النص العربي للقرآن متأثر جدا باللغة الآرامية التي تم استعارة الكثير منها لإكمال صياغة النص القرآني.

اللغة العربية لا تزال إلى اليوم مجهولة التاريخ وسيرة تطورها لا تزال غير معروفة على وجه الدقة. لكنها وقد اكتملت بصورة أو بأخرى وصارت سائدة في المنطقة العربية وسادت في تاريخ العرب والمسلمين فقد أصبحت أمرا واقعا لا يمكن تجاهله بالتأكيد. فقد اكتسبت أهميتها من القرآن والفصحى ارتبطت به وهذه حقائق لا يمكن إنكارها. غير أن الحقيقة الأخرى التي لا يجب تجاهلها هي أن هناك حقبة ظلامية في مسيرة اللغة العربية ولا بد أن يأتي يوم تتكشف فيه الحقائق ويشع النور على ما هو غامض ومخفي من تاريخها.

الفصل الثامن عشر

الأصل السرياني للقرآن

ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي

لأكثر من ألف سنة كانت الآرامية هي لغة المشرق وقد سمى الآراميون المسيحيون أنفسهم سريان للتميز عن الآراميين الذين لم يقبلوا الإيمان الجديد. وهناك الكثير من المشتركات بين الآرامية والعربية وكذلك في نظاميهما اللفظي والجذر الثلاثي مشترك بينهما. أي أن كل كلمة سريانة وكل كلمة عربية ترجع إلى جذرها الثلاثي. ولم تزل الآرامية محكية في المشرق إلى أن بدأت اللغة العربية بمزاحمتها في أواخر المئة السابعة وصدر المئة الثامنة أخذ ظلها ينحسر ويتقلص من بعض المدن واعتصمت بالأرياف والجبال. ثم ضعفت بعد ذلك وأضاع أهلها الكثير من ألفاظها التي حفظت في ثنايا العربية[١٩٦].

كانت الآرامية لغة الطقوس الدينية النصرانية والمسيحية في المنطقة. وكانت منتشرة وسائدة ومتفرعة إلى شرقية وغربية مع اختلافات بسيطة بينها بسبب اختلاف البيئة الذي عادة ما يسبب اختلافات في اللهجات والألفاظ. وعندما وضع القرآن كان للآرامية تأثير كبير عليه من حيث الألفاظ والصياغة وأحيانا كثيرة المفردات وخصوصا عندما ترجم النص أو نقل من الآرامية إلى العربية بعد تعريب الدين.

هل يمكن أن يكون القرآن في الأصل نسختان واحدة أصلية مترجمة من السريانية الآرامية في القرن السابع وأخرى موضوعة في وقت لاحق؟ لقد فجر كريستوف لوكسنبرغ وهو ألماني من أصل سوري يتخذ هذا الإسم لإخفاء اسمه

---

١٩٦ – البطريرك مار أفرام برصوم الأول: اللؤلؤ المنثور منشور في حلب ١٩٥٣

الحقيقي خوفا من الإرهاب، فنبلته عندما بحث في الجذور الآرامية للنص القرآني فوجد أن القرآن ما هو إلا ترجمة لنصوص آرامية[١٩٧] كانت تستخدم في الطقوس النصرانية ثم أضيف إليه نصوص أخرى من التوراة والإنجيل والكتب المنحولة والأساطير الشائعة ثم ترجم إلى لغة عربية متأثرة اشد التأثر باللغة الآرامية فجاء على ما هو عليه الآن. وفي النص القرآني نفسه أكثر من إشارة إلى فكرة الترجمة "*فإنما يسرناه بلسانك لقوم يتذكرون*" وقد تم تناول هذا الأمر في فصل سابق. وقد كان للغة الآرامية تأثير كبير على صياغة النص القرآني. ولا باس من التذكير بأن الذين ترجموا القرآن وكان يعرف باسم القريانة باللفظ السرياني كانوا يستخدمون اللفظ السرياني لأي كلمة لا يعرفون معناها الحقيقي وهذا ما آثار بلبلة في التفاسير يعاني منها المسلمون إلى اليوم.

ولأنه الكتاب الأول في اللغة العربية فإن واضعيه أو مترجميه لا فرق، احتاروا كثيرا أمام المصاعب التي واجهتهم واحتاروا أكثر في تبني الكلمات الجديدة والتعابير الغريبة والأفكار غير المألوفة التي وردت في النص الأصلي. فاللغة العربية لم تكن اكتملت ولم تكن قد خضعت بعد لقوانين النحو والصرف التي وضعت فيما بعد فكانت الخشية من أن تكون بعض النصوص غير مفهومة قد أثرت على واضعي النص المترجم في استنباط ونحت كلمات جديدة. فكان

[١٩٧] The Christian Origins of Islam –

الحل الاستعارة من اللغة المترجم منها فهي لغة يفهمها المؤمنون وقريبة من لغتهم.

يرى لوكسنبرغ أن التأثير السرياني على النص القرآني في مراحله المبكرة أكبر مما كان مفترضا. فالكثير من التعبيرات المبهمة والغامضة في القرآن يمكن فهمها فعليا إذا كان القارىء على إلمام باللغة السريانية ومن ثم قام بإعادة قراءة النص العربي التقليدي في ضوء التعابير الآرامية السريانية. وهناك عدد غير قليل من الآيات المبهمة في القرآن يمكن فهمها إذا أخذنا في الاعتبار أصلها السرياني التي تمت إساءة قراءتها أو إساءة ترجمتها. وفي رأي لوكسنبرغ فإن ما قد يبدو نصا ركيكا مفككا يصبح متماسكا وواضحا إذا ما تمت قراءته بخلفيته السريانية. وبتحليله اللغوي لنص القرآن يستنتج لوكسنبرغ أن اللسان العربي الذي وضع فيه القرآن لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى لغة القرآن الأساسية ضمن مفهومها التاريخي والتي يكمن فهمها في انسجام عناصر من اللغتين العربية والسريانية[١٩٨]. ولذلك فإنه باستخدام السريانية وفهمها أمكن فك العديد من شفرات القرآن. فقواعد القرآن قريبة جدا من قواعد اللغة السريانية أكثر بكثير من القواعد التي وضعها سيبويه، فالعربية المنطوقة كان لها قواعدها المستمدة من السريانية والنبطية. وهي العربية هي التي ترجم إليها القرآن عندما ترجم لعرب الحجاز والجزيرة الذين نشروه وفرضوه بلغتهم.

---

١٩٨ – نادر قريط: القرآن وقواعده السريانية، مقال في الأوان

من المفروض أن النص القرآني عربي بامتياز لكن العقيدة التوحيدية التي يبشر بها تعتمد على نصوص توراتية و إنجيلية. كانت التوراة والإنجيل متداولة باللغة السريانية وكانت تلك هي لغة الطقوس الكنسية ولذا يصعب تخيل القرآن خاليا من تأثيرات تلك اللغة. فنجد العديد من الكلمات السريانية في القرآن وهذه حقائق أشار إليها علماء مسلمون سابقون[١٩٩].

لكن الأمر ليس مجرد كلمات. بل نصوص كاملة من الترجمة السريانية للتوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المنحولة التي انتشرت في القرون الأولى. ولان الجمع الأصلي للقرآن كان باللغة السريانية وكان يخص النصارى الذين اجتمعوا في أمة واحدة بزعامة عبد الملك بن مروان فقد ألحقت به ترانيم مأخوذة من مار أفرام السرياني خصوصا منها ما يتعلق بوصف الجنة والنعيم مع تحريف بسيط عند الترجمة حيث اختلط الأمر على المترجمين. فالقرآن لم يكتب أصلا باللغة العربية بل باللغة السريانية وكان معتمدا على النصوص الطقسية النصرانية. وعندما تم تنقيح النسخة الأخيرة من القرآن فإن الذين عملوا على ذلك لم يفهموا كثيرا من الكلمات لبعد العهد بها فحولوها قسرا إلى العربية وهذا فتح الباب واسعا لتفسيرات غامضة وعشوائية[٢٠٠].

---

١٩٩ – MSM Saifullah: Quran and History

٢٠٠ – كريستوف لوكسنبرغ: قراة سيرو آرامية للقران

يؤكد لوكسنبرغ وكثيرون غيره ممن درسوا الأصل الآرامي للقرآن أن الذين ترجموا النص القرآني إلى لغة العرب وقعوا في كثير من الأخطاء[٢٠١]. ولأن اللغة العربية لم تكن مكتملة في ذلك الوقت فقد استسهل الذين ترجموا نحت كلمات من واقع النص الأصلي وهي كلمات إن كانت مفهومة في حينه إلا أنها لم تكن كذلك بعد بضعة عقود عندما ظهر المفسرون والمؤلفون الذين اخترعوا لتلك الكلمات معان ليست دقيقة وبالتالي وقع اللاحقون في مزيد من الأخطاء. ثمة نماذج كثيرة لتلك الأخطاء. وعند رصد الأخطاء وإرجاعها إلى أصولها الآرامية يمكن بسهولة ضبط مصادر كل فقرة وكل آية في القرآن.

لكن لا بد من ملاحظة أن ما ينطبق أو قد ينطبق من معايير لوكسنبرغ على جزء من النص القرآني قد لا ينطبق على أجزاء أخرى. وهذا صحيح لأن تلك الأجزاء الأخرى ربما وضعت أصلا بالعربية بعد اكتمالها. فقد رأينا أن القرآن بنصه النهائي لم يكتمل إلا بعد القرن الثامن وبعد استقرار الدولة العباسية.

وبشكل عام فإن النص النهائي للقرآن لا يزال بحاجة ماسة لمزيد من الدرس والبحث. أما فيما يتعلق بما فيه من لغة سريانية آرامية ومفردات استعصت على الفهم وأدت إلى تأويل مختلف وتفسير غير واضح فإن لوكسنبرغ وغيره أشاروا إلى كثير من النماذج التي تبرهن على ذلك. يشتمل القرآن على حوالي

---

٢٠١ – أحدهم غبريال صوما صاحب كتاب The **Qur'an**: Misinterpreted, **Mistranslated**, and Misread

أربعين كلمة سريانية معربة كما أن هناك عشرات الكلمات الأخرى التي تم تعريبها وخصوصا أسماء العلم لأنبياء بني إسرائيل وكذلك المصطلحات الدينية.

أما الكلمات والعبارات التي لم تفهم وكانت تفسيراتها مناقضة لما قصده النص الأصلي فهي كثيرة. ويشير إليها كتاب لوكسنبرغ باستفاضة. فالآية التي تتحدث عن ولدان الجنة لا علاقة لها بالغلمان على الإطلاق وإنما تعني عصير الكرمة. **(وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي) متى ٢٦:٢٩**. كذلك فكرة النساء الجميلات أو الحوريات فهي غير موجودة أصلا وإنما المقصود بحور العين العنب الأبيض بحباته الصغيرة وقطوفه الدانية. وهذا تصور لفاكهة الجنة مثلما جاءت في أشعار القديس أفرام السرياني من القرن الرابع وكانت ضمن ما يقرأه المؤمنون:

الذين يهجرون الخمرة في الأرض

تنتظرهم هناك في الفردوس حقول العنب

كلها تأتيهم في قطوف دانية!

وهناك رسومات سريانية قديمة تصور مريم العذراء وهي تمسك بيدها الحور العين وقد ظن العرب أن الحور هن النساء الجميلات تصحيفا من حوراء.

أما غونتر لوليغ وهو باحث ومستشرق بلغاري فيرى أيضا أن كثيرا من الآيات هي ترجمة لترانيم مسيحية نصرانية ويعطي مثالا على ذلك من سورة القدر التي يقول إنها تحاكي عشية الميلاد وهي أنشودة كانت شائعة.

ثمة أمثلة أخرى كثيرة يوردها أصحاب نظرية الأصل السرياني للنص القرآني مثل تفسيرهم لسورة الكوثر والمدثر والكهف والعاديات وسورة مريم وكثير غيرها. والآية ٢٤ من سورة مريم: *فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا* يجب أن تكون: فناداها من نحتها "بمجرد أن وضعته" لا تحزني قد جعل الرب ولادتك شرعية.

الفصل التاسع عشر

الموروث العربي الإسلامي

أم لكم كتاب فيه تدرسون

بدأ الإسلام بحسب الرواية الإسلامية المعروفة في مكة كتنزيل رباني بواسطة الملاك جبريل إلى رجل يدعى محمد ينتمي إلى الفرع الهاشمي من قريش. توفي والده قبل ولادته وتوفيت امه وعمره ست سنوات وتوفي جده وعمره ثماني سنوات ورباه عمه أبو طالب. واشتغل في التجارة وتزوج خديجة بنت خويلد. وبقية التفاصيل معروفة ومبثوثة في الكتب الكثيرة. وفي الأربعين بدأ بتلقي الوحي. وعرض ما وقع له على أسرته وبعد إيمانه بنفسه وتشجيع خديجة وعمها ورقة بن نوفل صرح محمد بدعوته وباشر الإعلان عنها لأصحابه.

ولكن تضطرب الرواية الإسلامية الرسمية فيما يتعلق بولادة النبي فلا يعرف في أي سنة بالضبط ولا أي يوم. كذلك هناك اضطراب في الرواية الإسلامية فيما يخص كثيرا من الأحداث اللاحقة. والقليل جدا معروف عن طفولته وخصوصا أنه رضع في البادية من حليمة السعدية.

غير أن معرفتنا الأوسع والأشمل بمحمد تعود إلى ابن اسحق الذي وضع أول سيرة لرسول الله. كان ذلك في بغداد حوالي العام سبعمئة وخمسين للميلاد أي ما يقرب من مئة وثماني عشرة سنة بعد الوفاة المفترضة لمحمد. وابن اسحق حسب الموروث الإسلامي هو حفيد لمولى يدعى يسار يقال إنه من سبي نصارى عين تمر في العراق[٢٠٢].

[٢٠٢] – نادر قريط: حمى البحث عن محمد، الأوان

تقدم السيرة رواية تنصيب محمد نبيا بشكل مثير للشبهات. فرحلته إلى الشام ولقاء الراهب بحيرى وأقوال اليهود المبثوثة في الكتب الإسلامية تظهر الأمر وكأنه يبنى بعناية للوصول إلى الهدف: محمد بن عبد الله نبي هذه الأمة. فقد صنع الإخباريون والرواة بيئة مناسبة لبدء بعثة النبي. جعلوا مكة بيئة وثنية تعبد الأصنام وجعلوه أميا لا يقرأ الكتب حتى لا يطعن به أحد.

تبدو قصة بدء الوحي مختلقة لأسباب عديدة. محمد يفاجأ بجبريل ويخاف. يحاول الانتحار من شدة الخوف... وعند العودة إلى زوجته خديجة يظل خائفا إلى أن يطمئنه ورقة بن نوفل ويؤكد له أنه نبي بحسب الناموس. والقصة تبدو مختلقة لأن الذي كتبها على ما يبدو لم يكن يعلم كيفية نزول الوحي وكيفية تلقي الأنبياء رسالات ربهم. فالأنبياء عادة عندما يظهر لهم ملاك من الله يمتلأون هدوءً وفرحا ولا يرتعبون ولا يرهبون.

من الغريب أن قصة بدء الوحي تروى عن عائشة وسبب الغرابة أنها بحسب الرواية الإسلامية ولدت بعد البعثة ولو افترضنا أن محمد حكى لها قصة بدء الوحي فالأجدر أن تكون الرواية عن خديجة أو عن أبي بكر الذي كان ملازما للرسول والذي يفترض أنه سمع القصة منه منذ البداية. معروف أن النبي تزوج عائشة وعمره ثلاث وخمسون سنة. ولنفرض أنه أراد أن يروي لها قصة بداية البعثة والوحي فهل يمكن أن يقول لها كل التفاصيل التي تظهره ضعيفا وجاهلا ومتشككا بالوحي وإنه حاول قتل نفسه خوفا وفزعا؟

بعد أكثر من مئة سنة من وفاة محمد المفترضة وكانت سنة ٦٣٢ م حسبما تقول الرواية، وضع ابن اسحق المتوفي سنة ٧٦٨ م كتابه ***سيرة رسول الله***. وما تناوله ابن اسحق من سيرة للرسول اعتمد فيها على ما تناقله الرواة ولاكته ألسنتهم فكانت كلها موضع خبطهم وخلطهم وملعب أهوائهم ومسرح تحزباتهم المذهبية والسياسية حتى وقع فيها من الزيادة والنقص ما وقع[٢٠٣]. وفي الواقع لا توجد أي نصوص أصلية يمكن نسبتها إلى ابن اسحق ولكن هناك إشارات كثيرة إليها واقتباسات منها في ***تاريخ الطبري*** الذي عاش بعد مئتي سنة من ابن اسحق. إن هذا التأخير في كتابة سيرة الرسول يفتح المجال لكثير من اللغط والتشويش خصوصا أن كتاب ابن اسحق الأصلي مفقود وان وجدت منه شذرات نسبها إليه ابن هشام (المتوفي ٨٣٣ م) في سيرته التي قال انه اعتمد في كتابتها على سيرة ابن اسحق. وفي غياب الأدلة الأركيولوجية فإن ما ترويه الكتب الموضوعة في وقت متأخر عن وقت الدعوة المفترض يدخل في باب الموروث الشعبي والإشاعات والأساطير أكثر مما يدخل في باب الحقائق التاريخية[٢٠٤].

وحتى لو وصلتنا نصوص كاملة من رواية ابن اسحق للسيرة فإنها لم تكن رواية موثوقة. فقد اتهمه مالك بن أنس بالتشيع وانتحال الكثير من القصص.

---

[٢٠٣] – معروف الرصافي: الشخصية المحمدية ص ٥٢

[٢٠٤] – محمد النجار: قراءة في بعض السيرة النبوية

والمعروف أن ابن اسحق كتب سيرته في بغداد نزولا عند إرادة الخليفة المنصور الذي حكم ما بين ٧٥٤ م – ٧٧٥ م ولذا فإنها تعكس دعوى العباسيين السياسية في المطالبة بالخلافة فهم تسموا بالعباسيين انتسابا إلى العباس عم النبي حسب ما هو مأثور والعباس يمثل مقاما رفيعا في السلالة الهاشمية.

ترى باتريشيا كرونة التي درست الإسلام المبكر بعناية أن سيرة ابن اسحق وهي موضوعة في زمن يعتبر متأخرا جدا في عصر أحفاد الأحفاد مكتوبة من وجهة نظر أحادية وممتلئة بالقصور والتناقضات والتخبط وعدم الانتظام وكذلك بكثير من القصص الغريبة وبما انه لا يمكن إعادة تركيب السيرة وترتيبها بشكل موضوعي فلا يمكن إثبات أي شيء منها. أما مرغليوث فيرى أن النبي بحسب رواية ابن اسحق شخصية غير محببة، مقاتل حربي لا يتورع عن قتل خصومه السياسيين. وهو في المدينة كان يحكم مثل طاغية[٢٠٥]. لكن فلهاوزن يرى أن سيرة ابن اسحق هي أصح الكتب عن محمد وما بعدها، من مثل كتاب ***المغازي*** للواقدي ***والطبقات*** لابن سعد وحتى ***سيرة ابن هشام*** لا يعتد بها فهي مجرد خيالات واختلاقات. ويرى آخرون أن السيرة اختلقت لبناء ماضي مثالي ولتبرير القرآن وتفسيره.

وفي السيرة الحلبية نقد لمنهج ابن اسحق واتهام له بانه كان يخترع أحاديث وينسبها لمحمد. كما اتهمه مالك بأنه كذاب ومدلس وانه واحد من أكبر المزورين

---

[٢٠٥] – آرثر جفري: بحثا عن محمد التاريخي ترجمة مالك مسلماني

وأقلهم شرفا. ويضيف انه كان يتبع غزوات النبي من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وغيرها[٢٠٦]. ويقول مالك: "لقد طردناه من المدينة". ويقول ابن هشام هناك رواة ثقاة مثل مالك بن أنس وهشام بن عروة بن الزبير شطبوا ابن اسحق من قائمة الرواة الثقاة للحديث واتهموه بالكذب والتدليس والتزوير والاعتماد على الروايات المشبوهة وكان يخترع الشعر ليقحمه في كتابه. ويبدو أن ابن اسحق كان صاحب خيال واسع فلم يكن معنيا بصدق الأخبار التي تصل إليه بل خرج من كل ذلك ببناء درامي روائي متكامل الأركان[٢٠٧]. كما كان يخترع الأشعار وينسبها لشعراء عاشوا قبل الفي سنة من وقته كما كان يخترع سلسلة انساب لا وجود لها وكل ذلك لتبرير نص القرآن الغامض أو الغريب أو غير المفهوم أو المتناقض.

عندما ترجم المستشرق مونتغمري وات سيرة ابن اسحق في منتصف القرن التاسع عشر وضع لها عنوان: ***نبي ورجل دولة***. وكان نتيجة استقرائه للسيرة أن طرح أول تساؤل جوهري حول تاريخية محمد ومصداقية سيرة ابن اسحق رافضا الرواية الشفهية كمصدر لتاريخ مؤكد. وقد لاحظ وات أن السيرة تضمنت سردا أسطوريا وبناء أدبيا قصصيا.

---

[٢٠٦] – ناصر بن رجب: قراءة أفقية في السيرة النبوية، الحوار المتمدن ٢٠١٠/١٢/١٣

[٢٠٧] – جمال الهنداوي: الحوار المتمدن ٢٠٠٩/٧/٢٢

بعد ابن اسحق وضعت كثير من الكتب أهمها ***سيرة ابن هشام*** الذي اعتمد فيها على سيرة ابن اسحق. واهم ما فعله ابن هشام المتوفي سنة ٨٣٠ م هو حذف بعض المداخل والروايات التي تصف معجزات محمد وحضور الملائكة الدائم معه. وقد جرى تهذيب السيرة لإسباغ طابع عقلاني عليها وجعلها تبدو تاريخا حقيقيا[٢٠٨].

لقد عانت معظم المؤلفات والمدونات الإسلامية من اعتمادها على الروايات الشفهية المتعددة فهي دونت بعد أكثر من قرنين على وقوعها المفترض. وهذا خلق اضطرابا في تسلسل الأحداث وتناقض كثير من الروايات وخصوصا بعد الصراع الأموي مع الهاشميين.

---

[٢٠٨] – نادر قريط: حمى البحث عن محمد، الأوان ١

الفصل العشرون

الحديث

ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم

ينسب إلى محمد عشرات الألوف من الأحاديث في كل مجالات الحياة وشؤونها. وظهر للحديث علماء فندوه وصنفوه وبحثوا في أصوله وأشكاله وإسناده وأصحابه وكيفية وصوله إلينا. واعتمد العلماء مجموعة مصنفات قالوا إنها صحيحة مأثورة عن الرسول وهي المعتمدة ويعتد بها.

ولكن بما أن القرآن نفسه في الأصل موضوع ومترجم مما سبقه من كتب ومأثورات شعبية وقصص تناقلتها الألسن فلا بد أن تقع عين الشك على الأحاديث كما وقعت على السيرة التي نسجت للرسول من قبل مؤلفين ظهروا بعده بأكثر من مئة سنة على أقل تقدير.

وكما رأينا في تأخر تدوين القرآن بلسان عربي واكتماله بعد عشرات السنين من وفاة النبي المفترضة كذلك صار مع الحديث المنسوب للنبي. فقد تم تدوينه بعد عشرات السنين ما بين مئة وخمسين وثلاثمئة سنة من وفاته. والحديث لم يدون إلا بدءً من القرن الثاني وكتبه المشهورة الصحيحة هي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسند أحمد وموطأ ابن مالك. وهذه دونت في القرنين الثالث والرابع وما فيها من أحاديث روي عن طريق الآحاد الذي لا يعطي إلا الظن[٢٠٩]. جاء البخاري الذي بدأ يجمع تقاليد

---

٢٠٩ – محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية ص ٨

تصرفات محمد وأحاديثه التي اعتبرها موثوقة فجمع ثلاثمئة ألف حديث واختار منها الفان وستمئة وحديثين في كتابه الذي سماه الصحيح.

يرى إسماعيل أدهم أن الحديث قام بلا إسناد أولا ثم جعل له فيما بعد ما يعرف بالإسناد أي انهما لم يكونا متزامنين[٢١٠]. ولذا فقد كان من السهل جدا انتحال الكثير من الحديث على الرسول في تفاصيل الشريعة الإسلامية وأصولها. ولم يعنَ علماء الحديث بنقد المتون لان هذا يغاير مبادئهم ويعد شكا في نزاهة الرواة ومنهم العدد الكبير من صحابة الرسول. وهذا الشك إن وصل إلى حد الارتياب في نزاهة الصحابة فإنه يعصف بأصول الإسلام لأن الصحابة هم الذين رووا القرآن ودونوه وهم الذين تحدثوا بالحديث فأخذت عنهم العصور المتأخرة. وقد كان معنى تحكيم العقل الصرف في انتقاد المتن تحكيم العقل في مسائل الدين الاعتقادية وليس لهذا من نتيجة إلا أن تزلزل المعتقد تحت ضربات المنطق والقياس[٢١١].

حتى أن تبرير عدم التدوين المبكر للحديث والسنة وجدوا له حديثا للرسول ينهى عن التدوين معللين ذلك برغبته في عدم إشغال الناس بالحديث والسنة عن كتاب الله. تدوين الحديث بدأ بأمر من الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز أواخر القرن الهجري الأول. وهذا كاف للشك من الأساس. منذ ذلك الوقت والعلماء

---

[٢١٠] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي، نسخة ألكترونية

[٢١١] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي، نسخة الكترونية

يتحدثون عما يسمونه فتنة العصبية القرشية والصراع على السلطة بين الهاشميين والأمويين. وإذ شرع المؤلفون تدوين الحديث وما ينسب إلى الرسول من أقوال وأفعال انهالت القصص والأحاديث بزخم لا مثيل له بحيث أن الأحاديث الأصلية لو وجدت حقا فإنها تختفي أمام هذا الحشد الكبير من الصور والمشاهد التي جرى إقحامها في فترات زمنية لاحقة بحيث لم يترك متعهدو النص الديني فكرة أو مشهد في النص الأصلي إلا ونسجوا حوله العديد من الصور والمشاهد الإضافية[٢١٢]. ويقول الشيخ صبحي الصالح ولو ذهبنا نستقصي ما افتراه الوضاعون ونسبوه إلى رسول الله لما أمكننا إحصاؤه. فالزنادقة وحدهم وضعوا أربعة عشر ألف حديث ووضع عبد الكريم بن أبي العوجا أربعة آلاف حديث[٢١٣]. وكلما ابتعدنا زمنيا عن لحظة الحدث التاريخية أو كلما ابتعدنا عن مصادر التدوين الرئيسية لتلك اللحظة تزايدت عمليات الإضافة والحذف في موروث الحديث. أبرز أوجه تلك الإضافات والحذف ذلك التوافق المشيخي على حذف عبارة "ما أقرأ أو ماذا أقرأ" إذ جرى استبدالها بعبارة: ما أنا بقارىء[٢١٤] مع الإبقاء على ذات السند. لكي توافق فكرة أمية النبي وعدم تمكنه من القراءة والكتابة. وهكذا ظلت الألفاظ تختلف والمعاني تتغير بتغير الرواة وفيهم كما قال السيوطي الأعاجم والمولدون وغيرهم مما ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست خالصة.

---

٢١٢ – نبال خماش: الأساطير والأحلام المؤسسة للعقل الإسلامي

٢١٣ – صبحي الصالح: علوم الحديث ص ٢٧٠

٢١٤ – نبال خماش: الأساطير والأحلام المؤسسة للعقل الإسلامي

وكان البخاري وهو شيخ رجال الحديث وكتابه كما هو مشهور قد وضع أصح كتاب بعد كتاب الله وقد كان يروي على المعنى كما قالوا[٢١٥].

لم يكن وضع الحديث مقصورا على أعداء الدين وأصحاب الهوى وإنما كان الكثير من رجال الدين الإسلامي يضعون الحديث و إذا سأل سائل كيف تكذبون على النبي قالوا إنما نحن نكذب له وليس عليه. وقد قال خالد بن زيد مرة، سمعت محمد بن سعيد الدمشقي يقول: إذا كان كلام حسن لم أر باسا أن اجعل له إسناد[٢١٦]. وقد استباح الرواة لأنفسهم اختراع أحاديث نسبوها إلى النبي وقولوه ما لم يقله لمجرد أن ذلك كان يعلم أمرا مستحسنا في عصرهم.

في القرن التاسع الميلادي ظهرت كمية أحاديث تثير الشك والريبة. أكثر من ستمئة ألف حديث أو روايات عن النبي. وعندما طلب من البخاري أن يجمع صحيح الحديث فهذا يعني انه كان هناك شك يدور حول أصالة أغلب تلك الأحاديث[٢١٧]. فأبقى البخاري على ألفين وسبعمئة واثنين وستين حديثا قال إنها صحيحة أتم الصحة. لكن الكثرة المطلقة من الحديث ليست من كلام الرسول في شيء وإنما هي منتحلة بعد وفاته بنصف جيل على أقل تقدير. فالحديث يمثل حياة المدينة الإسلامية وميول المسلمين وأهوائهم في القرن الأول أكثر مما

---

٢١٥ – محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية.

٢١٦ – محي هادي: هل الأحاديث النبوية هي نبوية حقا؟

٢١٧ – جاي سميث: القرآن المنحول ترجمة إبراهيم جركس

تمثل الحياة في الوقت المفترض لحياة الرسول[٢١٨]. أما ما بقي من حديث فلا يمكن الاعتماد عليه وكل ما نقرأه في كتب الحديث على أنه كلام النبي أو روايات صحابته إنما هي من اختلاق الرواة وانتحالهم. وعند دراسة الحديث بموضوعية ودراسة أسماء الذين ينسب لهم روايته نجد أن أقل الناس معرفة ورفقة بالنبي وأصغر الصحابة سنا والذين عرفوه في أواخر أيامه وفق كتب التراث هم أكثر الناس رواية للحديث[٢١٩]. بينما نجد الذين عرفوا الرسول من بدء دعوته ولازموه فترة حياتهم أقلهم رواية. وهذه حقيقة لا يستسيغها العقل فمعظمهم كانوا صغيري السن في سنة وفاة الرسول المفترضة. وعند النظر في قائمة بسيطة بالمحدثين نجد عجبا. لننظر في عدد الأحاديث المنسوبة إلى كبار الصحابة ونفكر فيها مقابل عدد الأحاديث المنسوبة إلى غيرهم وفق الجدول التالي:

- أبو بكر الصديق ١٤٢ (وهو رفيقه من البداية وأول خليفة له)
- عمر بن الخطاب ٥٣٧ لم يصح منها إلا ٥٠
- عثمان بن عفان ١٤ لم يصح منها إلا تسعة
- علي بن أبي طالب ٥٨٦ لم يصح منها إلا ٥٨ ولم يرو له البخاري إلا ٢٠ (وهو أبن عم النبي وملازمه من الطفولة)
- الزبير ٤ (وهو ابن عمته)

---

[٢١٨] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي

[٢١٩] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي

- عبد الرحمن بن عوف ٩
- أبي بن كعب ٦٠ ليس له في البخاري منها إلا ٣ وفي مسلم ٧
- زيد بن ثابت له في الكتب الستة ٩٢ حديثا انفرد البخاري بثمانية فقط منها (وهو ابنه بالتبني لسنوات طويلة)
- سلمان الفارسي له في البخاري ٤ وفي مسلم ٥ فقط

مقابل ذلك نجد العجب. فأبو هريرة الذي لم يصحب النبي سوى أقل من سنتين يروي ٥٣٧٤ حديثا، وعائشة التي عاشت مع النبي تسع سنوات ومعظمها قبل سن النضج تروي ٢١٠٠ حديث وكذلك عبد الله بن عمر يروي ٢١٠٠ وانس بن مالك يروي ٢١٠٠ أما جابر ؟؟ فيروي ١٥٠٠ حديث بينما يروي عبد الله بن عباس الذي كان في سن الثالثة عشرة عند وفاة النبي المفترضة يروي ١٦٦٠ حديثا. وينسب إليه الكثير من الأحاديث التي تتيح التشريع على هوى رجال الدين. أفلا تثير هذه الأرقام الانتباه وتطلق صفارة إنذار في العقل الواعي المفكر؟

ولتبرير عدم ورود أحاديث كثيرة على لسان كبار الصحابة فقد نسب إليهم خاصة عمر وأبو بكر أحاديث تفيد انهما نصحا المسلمين بالإقلال من الرواية عن الرسول. وينسبون لأبي بكر قوله إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم اشد خلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم قولوا بيننا وبينكم كتاب الله.

معلوم بحسب كتب التراث إن أكثر رواة الحديث هم: أبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وانس بن مالك وجابر وابن عباس. ويعد أبو هريرة أحيانا انه مؤسس علم الحديث[٢٢٠] لكثرة رواياته التي تشكل نصف كتب الحديث تقريبا. وقد ارتاب كثيرون في صحة ما ينسب إليه من رواية وأبرز المرتابين فيه أبو حنيفة وانس بن مالك كما أن عبد الله بن عمر ندد به مرات عديدة وطعن فيه لكذبه على رسول الله.

كان أبو هريرة كما هو معروف أكثر المحدثين عن الرسول وبلغت الأحاديث المنسوبة إليه ٥٣٧٤ حديثا وله في الصحيحين ٣٢٥ حديثا توصف بأنها صحيحة. وكان عمر بن الخطاب وفق بعض الروايات يتشدد في نهي أبي هريرة عن الأحاديث التي وصفت بأنها متدنية في مضمونها ويشكك بصحتها. ولتبرير كثرة أحاديثه وضع حديثا بأن النبي تشفع لدى الله فمنح أبا هريرة ذاكرة قوية يحسده عليها غيره واستعمل هذا الحديث بكثرة لتبرير كثرة رواياته.

لقد اتبع أبو هريرة الإسلام قبل وفاة الرسول بثلاث سنوات. ويرى علماء مختصون أن أبا هريرة ربما كان نصرانيا من اليمن اعتمد على مصادر نصرانية ويهودية في وضع الأحاديث. فالنصرانية واليهودية جلية في مجموعة أحاديثه. وراي البعض انه وضع على لسان الرسول بعض آيات الإنجيل ولم يتورع أن

---

٢٢٠ – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي

يسند إليه بعض الأساطير النصرانية[٢٢١]. أما مصادره اليهودية فهي واضحة أيضا في كثير من أحاديثه. فقد كان[٢٢٢] بحسب ما يروي ابن سعد في طبقاته يأخذ عن كعب الأحبار اليهودي الذي كان يلقنه من إسرائيلياته ويدس له من خرافاته وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون من أمور دينهم. وقد كان إسراف أبو هريرة وإكثاره من رواية الحديث في عهد الأمويين وهذا ما يثير الشبهة بخصوص مروياته. لم يصحب أبو هريرة الرسول وفق ما يرويه التراث الإسلامي غير أقل من ثلاث سنوات فمن أين جاءت كل تلك الأحاديث؟ ومتى سمعها ومتى حفظها؟ من الغريب أن معظم أحاديث أبي هريرة ما بين ٢٢٥ في الحد الأدنى و٤٤٠ في الحد الأقصى وفق محمود أبو رية مثبتة في الصحيحين وأصبحت مصدرا لأصول الدين وسندا لكثير من أحكام الفقه والتشريع.

من الغريب أيضا أن ينسب إلى أبي هريرة رواية أحاديث تحط من قدره واتهامات له بسرقة مال بيت المسلمين.

يشكك محمود أبو رية صاحب كتاب "***شيخ المضيرة أبو هريرة***" في صحة نسب أبي هريرة وأصله ويقول إن الناس اختلفوا في اسمه واسم أبيه وفي نسبه وفي موطنه. يقول النووي بحسب ما يروي كتاب "***شيخ المضيرة***" اختلف في اسمه واسم أبيه نحو ثلاثين قولا.

---

[٢٢١] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي

[٢٢٢] – محمود أبو رية: أبو هريرة شيخ المضيرة

لم يكن أحد ممن كتب التراث الإسلامي من صحابة النبي المفترضين وأقربهم إليه ولدوا بعد الهجرة بأكثر من خمسة وسبعين عاما وهو أبو حنيفة المولود سنة ٧٩ هـ أو ٦٩٩ م الذي وضع كتاب ***الفقه الأكبر*** ويقال إن هذا الكتاب لا يشار فيه إلى القرآن إلا بشكل بسيط يثير الشك. ومن بعده يأتي بقية المدونين من ابن اسحق إلى مالك إلى الشافعي وابن هشام وابن حنبل والبخاري ومسلم وابن ماجة وأبو داود والترمذي والنسائي والطبري وبقية المؤلفين فكيف الاعتماد على كتابات وضعت بعد مئات السنين من الفترة المفترض إن الإسلام نشأ فيها؟

الفصل الحادي والعشرون

غريب الحديث

أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون

يكثر في الحديث المنسوب إلى الرسول ما يسمى بالغريب. ويكثر فيه أيضا ما يمكن تسميته باللامعقول. وهذا الغريب واللامعقول يمكن أن يدل بشكل واضح على أن الحديث موضوع ومختلق من اجل خدمة أهداف خاصة بالحكام أو القبائل.

يمثل الحديث وفق التقليد الإسلامي كل ما نطقه الرسول وأثر عنه عبر التواتر الشفهي إلى حين التدوين. وعندما كثر الحديث بصورة لا يمكن ضبطها شرع البعض في تدوين ما اعتبروه صحيحا اعتمادا على ما يسمى الإسناد عن فلان وفلان حتى الوصول إلى آخر متحدث سمع عن الرسول مباشرة. وفي الفصل السابق رأينا كيف أن الذين يفترض فيهم مصاحبة النبي أطول مدة ممكنة كانوا أقل الناس رواية عنه بينما الذين صحبوه فترات قصيرة وفق الرواية الإسلامية كان لهم روايات عديدة تصل المئات وربما الألاف من الأحاديث. وقد انشغل المؤلفون والمفسرون بإثبات صحة الإسناد دون لالتفات إلى صحة المتن فدخل الحديث غريب كثير كان لأغراض خاصة كما يقول غولدتسيهر الذي أمضي سنوات وهو يدرس ويدقق ليصل إلى نتيجة جعلته يشكك في كل الحديث المروي عن الرسول.

أكثر ما يستغرب في قصة الحديث هو أن الذين دونوا الحديث ظهروا بعد أكثر من مئة سنة من وفاة الرسول المفترضة. وصاحب ما يسمى أصح الكتب بعد كتاب الله وهو البخاري مولود سنة ٨١٠ م أي بعد مئة وثمانية وسبعين

سنة. والأكيد انه كتب صحيحه في عمر يتراوح بين الثلاثين والأربعين أي بعد مئتي سنة من سنة الوفاة المفترضة وهي ٦٣٢ م. فكيف يمكن الاطمئنان إلى صحة ما جمعه هذا المؤلف وهو أصلا غير عربي.

يعتقد البعض انه وبسبب جهل المؤمنين بكثير من طقوس الدين الجديد شرع بعض الأتقياء بوضع تقاليد وسنن لمصلحة المجتمع ونسبوها إلى الرسول. وبسبب الصراع الأموي الهاشمي تجرأ البعض واختلق أحاديث تمجد الهاشميين وقام غيرهم باختلاق قصص تمجد الأمويين. وفي حمى المنازعات السياسية اختلقت مجموعة كبيرة جدا من الأحاديث التي تشجع العصبية القبلية. ويرى غولدتسيهر أن الأمويين أحسوا بضرورة تحريض فقهاء بلاطهم على ابتكار مصلحة دينية لمواجهة ادعاء العلويين "في العراق". ولما كان من الصعب شتم علي وأبناءه بأسلوب ديني لجأوا إلى شتم الجد الجاهلي باعتباره نموذجا لذريته فوضعوا على لسان النبي حديثا يشتم فيه عمه أبا طالب الذي رباه ويقول انه في الدرك الأسفل من النار ولعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه. وهذا حديث يعتبره المسلمون صحيحا وهو في البخاري تحت رقم ٣٨٨٥. وهناك أحاديث أخرى تمجد أبا طالب وهو والد علي للرد على الأحاديث التي تنال منه. وبعد سقوط الأمويين نشط الفقهاء وكتاب السيرة والحديث في اختلاق الأحاديث التي تمجد آل البيت وآل النبي. لكن بعيدا عن المهاترات فقد حدث في زمن العباسيين وضع كم هائل من

الأحاديث التي نصرت المبادئ التي استند عليها العباسيون للاستيلاء على الحكم من الأمويين[٢٢٣].

لقد كان المستشرق اغناتسيو غولدتسيهر المتخصص في المسائل الإسلامية أول من شك في الحديث. فقام ببحوث مضنية بين ثنايا النصوص والمتون ليكتشف التناقضات الهائلة[٢٢٤]. وهو يرى انه بغياب دليل أصيل فإنه من الصعب وربما من المستحيل محاولة تشكيل رأى صحيح بشأن ما هو أصلي أو ما هو أقرب إلى عصر النبي المفترض. فكمية الحديث تثير الشكوك أكثر ما تجلب من اليقين. فأغلبيه الحديث كان نتيجة للتطور التاريخي والديني والاجتماعي للإسلام خلال المئتي سنة التي تلت سنة وفاة الرسول المفترضة وهي ٦٣٢ م. وقد وضع غولدتسيهر في العام ١٨٨٠ كتابه ***دراسات محمدية*** وفيه يقول إن الحديث يفتقد المصداقية وهو نشأ من الجدل والحوارات بعد حوالي مئتي سنة وربما أكثر من ظهر الإسلام المفترض[٢٢٥].

من بداية حكمها لعبت الأسرة الأموية دورا في اختراع الحديث لتخدم أغراضها وتدعم ملكها في مواجهة أعدائها. فبعد أن استولى عبد الملك على مكة واخضع الحجاز ظهر حديث يرويه الزهري عن المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال. وقد اقترنت نشأة المدنية الإسلامية بخلافات داخلية فتحت الباب

---

[٢٢٣] – غولدتسيهر: دراسات محمدية ترجمة بشير نصر مجلة كلية الدعوة الإسلامية.

[٢٢٤] – غولدتسيهر: دراسات محمدية ترجمة بشير نصر مجلة كلية الدعوة الإسلامية.

[٢٢٥] – دانيل بايبس: كشف الإسلام المبكر

واسعا أمام انتحال الحديث فامتلأ الموروث بعشرات الألوف من الروايات الكاذبة والمؤلفة من الأحاديث المختلقة على الرسول. وكان لهذا الانتحال أسباب عديدة وكثيرا ما كان الدين يدفع رجاله لانتحال الروايات التاريخية والأحاديث النبوية لإثبات بعض وجهات نظرهم[٢٢٦]. وقد تم بحسب غولدتسيهر استغلال الفقهاء من قبل السلطات. وقد تم وضع الحديث من اجل تنظيم ممارسة الدين ومن اجل توفير تبريرات لطبقة الفقهاء والشريعة. ويؤيد جوزيف شاخت استنتاجات غولدتسيهر بأن الحديث لا يناسب العصر المفترض للرسول بل يناسب الفترة التي تلت ذلك بمئتي سنة وربما مئتين وخمسين. من مثل ذلك الحديث المنسوب إلى الرسول بشأن خلق القرآن وهي قضية لم تظهر قبل العصر العباسي. فينسب إلى الرسول قوله: *القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود*. وهذا معناه أن المصادر الإسلامية لا تكفي ولا تنفع لدراسة الأحداث التي يفترض أنها رافقت ظهور الإسلام ولذا يمكن بكل ثقة إنكار وجود أي مصادر ترقى إلى عصر النبي. وقد انتقد شاخت بعد غولدتسيهر واضعي الحديث وشك في الإسناد وقال انه كلما كان الإسناد واضحا كان ذلك مؤشرا على زيف الحديث. ويرى أن معظم الحديث وضع بعد القرن التاسع للميلاد.

كثيرون يرون مع غولدتسيهر وشاخت تناقضات واضحة في الأحاديث والأحداث والمعارك والغزوات المتعلقة بتاريخ الإسلام وبالتالي يصعب كثيرا

---

[٢٢٦] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي

وضعها في ترتيب منسق ينسجم مع نفسه بشكل تراتبي ومنطقي. وكل طرف سياسي كان يجتهد في اختراع واختلاق الأحاديث والأحداث التي تخدم أهدافه. فالأنساب القبلية مثلا وضعت لتخدم التحالفات التي سادت خلال العصر الأموي ولإعطاء شرعية للحكم نفسه عبر ربط الأسرة الأموية بقريش وبالرسول. وربما كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الروايات المتعلقة بمصاهرات الرسول لأبي بكر وعمر وبدرجة أقل لأبي سفيان. أي أنها كانت ذات قيمة سياسية تتعلق بالنقاشات المتأخرة لإثبات شرعية السلطة[٢٢٧].

هناك في الحديث ما هو أكثر غرابة. ما هو دور اليهود في الحديث ولماذا يوجد يهود في معظم قصص الحديث؟ عديدة هي الروايات التي يرويها البخاري وغيره تتحدث عن أصدقاء محمد من اليهود وكذلك جيرانه وضيوفه وضيوف زوجاته. كثيرة هي الأحاديث التي تروى عن عائشة على سبيل المثال تقول فيها: زارتني اليوم جارة يهودية ... فقصة عذاب القبر مثلا سمعتها عائشة من جارتها اليهودية العجوز وحدثت بها محمد فرفضها ثم ثبتها على أنها حقيقة. وهناك قصة الجنازة وغيرهما فهل هذا مما يسمى الإسرائيليات؟ يرى إسماعيل أدهم أن ابن عباس أكثر الرواة نقلا عن المصادر اليهودية. فقد جمع ابن عباس كل ما يتفق والقرآن من الأساطير اليهودية ووضعها على لسان الرسول وهو في الواقع لم يفعل أكثر من ترديد ما في التوراة مستمدا مادته من الأساطير اليهودية

---

[٢٢٧] – شامل عبد العزيز: بدايات الإسلام

في العهد القديم[228]. وهذا الراي نفسه أو يقترب منه ما قاله المستشرق إميل دورمنغهام في كتابه ***حياة محمد*** بأن كتب الحديث لا تخلو من ميل وشبهة وقد اقتطفت من أقوال التوراة والإنجيل وأسندت إلى محمد وقد عزي إليه ما يدحض به بعض المذاهب المسيحية كما نسب إليه ما يشك فيه من معجزات[229]. تروي كتب الحديث أن رجلا دخل المسجد فاذا عامر بن عبد القيس جالس إلى كتب وبينها سفر من أسفار التوراة وكعب الأحبار يقرأ[230]. وقد تسلط كعب الأحبار على سذاجة أبي هريرة ولقنه كل ما يريد أن يبثه في الإسلام من خرافات وأساطير وأوهام. قال كعب في أبي هريرة: ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة اعلم بما فيها من أبي هريرة[231].

يبدو أن هذه الروايات المشبوهة وضعها يهود كانوا اجبروا على دخول الإسلام فقاموا بنسج قصص من الخيال تسيء إلى الرسول والى الإسلام وقد ابتلع المسلمون الطعم اليهودي ولم يعد بمقدورهم التخلص منه بعد مرور مئات السنين عليه. من مثل ذلك مذبحة بني قريظة وقصص الغزوات لليهود وإخراجهم من الحجاز وغير ذلك من قصص الإسرائيليات المعروفة في التراث الإسلامي.

---

[228] – إسماعيل أدهم: مصادر التاريخ الإسلامي

[229] – إميل دورمنغهم: حياة محمد

[230] – طبقات ابن سعد، ج ٧ ص ٧٩

[231] – أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٢

من الغريب الاعتماد على مؤلف مثل البخاري يروي أشياء غير معقولة وينسبها إلى نبي. فقد روى البخاري حديث القردة الزانية التي رجمتها القرود وروى حديث الداجن التي أكلت شيئا من القرآن. ومن غرائب الحديث التي لا يمكن تصديق نسبتها إلى نبي: إن الجمال والماعز ستقوم يوم القيامة وتدوس على رؤوس من كان لا يدفع الزكاة. وحديث غروب الشمس في الطين، وحديث إن الأسئلة من الشيطان، وحديث أن التثاؤب من الشيطان والعطس من الرحمن، وحديث أن الشيطان يبول في أذن الإنسان، وحديث غمس الذبابة، وحديث أن الشيطان يدخل الإنسان من انفه ليلا فوجب تنشيق الأنف عن الاستيقاظ لإخراجه، وحديث أن آدم كان طوله تسعون قدما وكان يتكلم العربية.

كل هذه الأحاديث الغريبة وسيرة من روى تلك الأحاديث تجعل الشك في الحديث أمرا واجبا يستدعي القول إن كل ما يسمى حديث إنما وضع في أوقات لاحقة لخدمة الدولة والسياسة ولتبرير تصرفات وسلوكيات الحكام الذين كان يخضع لهم رجال الدين.

الفصل الثاني والعشرون

إسقاطات الماضي وانتحالاته

في الحديث والسيرة

ومضى مثل الأولين

في القرن الميلادي الثامن نشأت مؤلفات السير وكتب حديث السنة وتواريخ الملوك وذلك بإسقاطها رجعيا على تاريخ إسلامي متسلسل. وهذه الصيرورة المدهشة تشبه تماما ما فعله محررو التوراة عندما أسقطوا الأحداث رجعيا على أزمنة غابرة ثم جرى تعليلها وتأويلها ومنحها الشرعية. ويبدو أن الرواة العرب اطلعوا على روايات أجنبية أو سرديات أجنبية فصاغوا ما يحاكيها وأسقطوها على التاريخ العربي ورحنا نأخذها مأخذ الجد وكأنها التاريخ الحقيقي. من أمثلة ذلك ناقة قدموس تصبح ناقة صالح مثلا. وراحت كتب السيرة تنهل من موروث الحضارات والبلدان التي دخلها العرب وأسقطوها كلها على شخصية أو قائد سموه نبيا وأعطوه اسم محمد[٢٣٢]. واغلب الرواة الذين نقلوا التاريخ ووضعوا السير فعلوا ذلك في سياق عملية تخييل أفضت إلى قبول المرويات الإخبارية للطبري والمسعودي وابن الأثير وابن هشام على أنها التاريخ الحقيقي برمته.

في كتابه ***الأساطير والأحلام المؤسسة للعقل الإسلامي*** يتحدث المؤلف نبال خماش عن كيفية قيام المسلمين الأوائل بإسقاط قصص التوراة والإنجيل على قصص النبوة المحمدية. ويبدو أن كتبة الحديث كانوا يأخذون قصة إنجيلية أو توراتية وينسجون حولها قصة لمحمد أو حديثا ينسبونه إليه. فحديث الهم نصف الهرم الذي يورده كتاب الجامع الصغير وينسبه لمحمد مأخوذ حرفيا أو شبه حرفيا من سفر يشوع بن سيراخ فصل ٢٦ آية ٣: الغمة تأتي بالشيخوخة

[٢٣٢] – محمد النجار: الحوار ٢٠١٠/٧/٩

قبل الأوان. ومن مثل ذلك أيضا قصة إبراهيم وذبح ابنه وإسقاطها على عبد المطلب وقصة ذبح عبد الله وافتدائه من ثم بمئة من الإبل. وقصة بشارة مريم بولادة يسوع أسقطوها على قصة بشارة آمنة بولادة محمد[٢٣٣]. لقد كان كتبة السيرة والحديث على ما يبدو مطلعين على الإنجيل وغيره من الكتب مثل إنجيل متى الآرامي فقد كانوا يقرأون السريانية إذ أن اللغة السريانية كانت لغة الثقافة السائدة في فترة التدوين. كل تفاصيل حياة المسيح على الأرض وصفاته أعطيت لمحمد في السير اللاحقة: أسبقية وجوده، صلته بإبراهيم، تبشير الملاك به، ضياعه وإيجاده، احتفاؤه بعمر الثانية عشرة ثم عودته، التعرض لتجربة الشيطان، اختيار اثني عشر صحابيا، وقصة التجلي التي صارت المعراج.

لقد رصد غولدتسيهر في كتابه ***الحديث*** ما ينسب إلى محمد من أقوال هي في الأصل مأخوذة حرفيا من الإنجيل. ويرى كوللة في مقالة له يقارن فيها بين محمد والمسيح ومن خلال الترجمة الحرفية من الأعمال الإسلامية كيف أن كل تفاصيل حياة يسوع تم نقلها ونسخها من خلال الخيال الجامح لتنسب إلى محمد[٢٣٤]. ولعل هذا ما حدا البعض للقول إن محمد هو مسيح المسلمين. فقد استخدم المؤرخون العرب الأوائل أحداثا معاصرة لهم وأقحموها في أحداث سابقة بألف وألفي سنة وحتى بثلاثة آلاف سنة. فابن اسحق مثلا كان جاهلا بكل

---

[٢٣٣] – نبال خماش: الأساطير والأحلام المؤسسة للعقل الإسلامي

[٢٣٤] – Kolle: Mohammad and Mohamdanism

الحقائق التاريخية فكتب تاريخا من الخيال من اجل بناء قصة "رسول الله" الذي وضع له سيرة ليس فيها أي حقائق واقعية. ولا ننسى أن ابن اسحق اتهم من قبل معاصريه بالكذب والتدليس واختراع القصص وتخيل الأحداث. حتى قصة نزول جبريل في غار حراء تكاد تكون إسقاط حرفي لقصة نزول جبريل على أشعيا[٢٣٥] فصل ٤٠ آية ٦: *صوت قائل ناد فقال بماذا أنادي*، وفي ترجمة ثانية: *صوت قائل اقرأ فقال ما اقرأ*؟ أما قصة الهجرة واللجوء إلى الغار وقصة الحمامة والعنكبوت فهي كلها مأخوذ بالكامل من التراث العبراني وفق ما يقوله نبيل فياض. ولكنها على ما يبدو غير مأخوذة بحرفية مقنعة. فعندما شاهد رجال قريش خيوط العنكبوت والحمامة الراقدة على البيض اقتنعوا بعدم وجود أحد في الداخل. مع انه يفترض وجود ثلاثة رجال في الداخل هم أبو بكر ومحمد والدليل. ثم أين ذهبت الجمال؟ فهل هي قصة مختلقة ومأخوذة من التراث العبراني لتفسير الآية التي تقول: إذ هما ثاني اثنين في الغار؟ ... تبدو قصة هجرة محمد وأصحابه من مكة إلى المدينة محاكاة لقصة خروج بني إسرائيل من مصر نحو ارض الميعاد. مع أن حقيقة الخروج من مكة نحو مدينة يثرب لا تبدو مثبتة من أي مصدر تاريخي. وهي أن لم تكن محاكاة لقصة خروج بني إسرائيل من مصر فهي تحاكي قصة خروج الإسماعيليين من الحجاز إلى الشام[٢٣٦]. وهناك في التراث الإسلامي أيضا وفي خلال قصة غزوة الخندق أن علي بن أبي طالب

---

[٢٣٥] – ناصر بن رجب: المقاربة التاريخية للشخصيات الدينية، الحوار ٢٠١٢/١٠/١١

[٢٣٦] – باتريشيا كرونة: الهاجريون، ترجمة نبيل فياض، نسخة ألكترونية

المقاتل الشاب يصرع الفارس العملاق عمرو بن ود العامري. وتبدو هذه القصة أيضا إسقاطا لقصة داود وجولياث.

لقد أجاد كتاب السيرة في كتابة دور بطل الرواية محمد بن عبد الله لكنهم أساؤا إليه كثيرا من حيث يدرون أو لا يدرون وخصوصا فيما يتعلق بحياته الشخصية وعلاقاته النسائية. وعندما يقال إن نبوة محمد مجرد اختراع وان شخصيته وهمية مختلقة فلماذا لم يضعها صانعوها مثالية ككل الأنبياء؟ لماذا يضعون في سيرته قصصا لا تليق بإنسان عادي فكيف بمن يسمونه نبيا؟ لو كان محمد نبيا حقيقيا أو كان شخصا حقيقيا فهل ستكون صفاته كما هي في كتب السيرة والحديث؟

النبي الحقيقي يكون مليئا بالمحبة والقيم الروحية والعطف والحنان والانضباط النفسي والأخلاقي. لكن ما الصق بنبي الإسلام كان صفات شهوانية غير أخلاقية منزوعة الإنسانية، قاتل ومهووس جنسيا بيدوفيليا وعنصري ونرجسي وشيزوفريني. كيف يلقي الشيطان في قلبه آيات ويتلوها على أنها تنزيل؟ كيف يزوجونه بطفلة؟ كيف يأمر بالقتل والتعذيب؟

والمفروض انه نبي مرسل من الله رحمة للعالمين لكن سيرته المكتوبة تصوره وتظهره رجلا مليئا بالشهوة وحب النساء وامتلاك الإماء والعبيد والجواري ومحبا للغزو والغنيمة. وينسب إلى محمد ما لا يمكن أن يصدر عن نبي: أحاديث خرافية لا يمكن لإنسان عاقل أن يصدقها أو يأخذ بها إلا إذا كان مؤمنا

بها بشكل اعمى كما يفعل بعض المسلمين. لقد وضع في سيرته ما لا يمكن تصديقه أو استيعابه بشكل عقلاني. عشرات من الأمثلة جاؤوا بها من الخيال والفولكلور والأساطير. ولكن لماذا؟

هل أراد الذين وضعوا القصة أن يظهروا بمظهر واقعي أكثر من اللزوم؟ أم كان هناك من دس ودلس وكذب واختلق؟

لقد اختلقت العديد من القصص والأحداث وألصقت بمحمد من أجل تبرير تكرار الحدث مع أشخاص ربما كانوا متنفذين أو بلغة اليوم مسؤولين كبار. من أمثلة ذلك قصة زواج محمد بالطفلة عائشة. الغريب أن كبار المثقفين المسلمين يحاولون تبرير ذلك بشتى الطرق. الكاتبة الإسلامية عائشة عبد الرحمن في كتابها ***نساء النبي*** تقول عن زواج محمد من عائشة: لم تدهش مكة حين أعلن نبأ المصاهرة... بل استقبلته مكة كما تستقبل أمرا طبيعيا مألوفا ومتوقعا. ولم يجد فيها أي رجل من أعداء الرسول أنفسهم موضعا لمقال. ولم يتخذ أحد منهم من هذا الزواج مطعنا أو منفذا للتجريح والاتهام. لكن الأكيد أن هذه الكاتبة أخذت هذه الفكرة مما ورد في كتب التراث. فهذه الكتب التي أوردت الرواية في الأصل لم تشر إلى أي اعتراض من قريش. وكيف تشير وهي تريد أن تجعل الأمر طبيعيا ومقبولا ليكون سابقة للرسول يحتذى بها؟ ولمزيد من التدليس جعل الرواة عمر بن الخطاب يتزوج هو الآخر من فتاة صغيرة هي ابنة علي بن أبي طالب وكذلك عثمان بن عفان يتزوج من ابنة عمر.

حتى تعدد الزوجات وضع من أجل تبرير التعدد. ويبدو أن التحديد بأربع زوجات تشريع وضع في وقت لاحق بعد أن شاع التعدد بشكل غير مقبول اجتماعيا. كما أن قصة زواج محمد من زوجة ابنه بالتبني اختلقت لوضع تشريع بمنع زواج الآباء بمطلقات أبنائهم وإلغاء فكرة التبني. يضاف إلى هذا مسألة الشهود الأربعة لإثبات واقعة الزنى. لم يتحرج الفقهاء وكتاب السيرة من اختلاق قصة الإفك واتهام زوجة النبي المفترضة بالزنا من اجل تبرير التشدد في الشهود. ويبدو أن الزنا كما يقول خليل عبد الكريم كان متفشيا في المجتمع الإسلامي المبكر وكان لا بد من التشدد في مسألة الشهود من أجل منع ترديد الاتهامات.

إن ابن جرير الطبري وهو الذي كتب أول كتاب تاريخ في حياة أمة العرب والمسلمين ولد بعد وفاة محمد المفترضة بمئتي سنة. فقد ولد عام ٢٢٤هـ ٨٣٩ م في طبرستان من بلاد الفرس وتوفي عام ٩٢٩ م. وقد وضع كتابين هامين يعتبرهما المسلمون وغير المسلمين المرجعين الرئيسين لتاريخ الإسلام وهما ***تاريخ الملوك والأمم*** المعروف باسم تاريخ الطبري وكتاب ***جامع البيان في تفسير آي القرآن*** المعروف بكتاب تفسير الطبري. ويعد ظهور كتب التاريخ بعد مئة وخمسين سنة على الأقل من وفاة محمد سبب كاف للشك فيها. وهي كتب لم تكتب من اجل تفسير التاريخ وتوضيحه بل كتبت لتمجيد الإسلام خصوصا انه في العصر العباسي طلب الخلفاء من المؤلفين إعادة كتابة التاريخ. وقد

كلف ابن هشام بإعادة تحرير الكتابات السابقة وأول ما بدأ به ***سيرة رسول الله*** فأخذ يصحح الأخطاء المريرة التي اقترفها محمد بحسب ما كتبه ابن اسحق من قبله جاعلا السيرة مقبولة سياسيا في ذلك الوقت. وتم إعادة كتابة وتنقيح وترتيب سور القرآن وتشكيله النهائي بما فيه من إضافات في العصر العباسي. وفي العصر العباسي أيضا تم اختلاق الفترة الراشدية وإضافتها إلى التاريخ الإسلامي من اجل الانتقاص من شرعية الحكم الأموي ومنجزاته في الفتوحات وجمع القرآن عبر إيجاد حيز تاريخي يمكن أن توضع فيه بعض تلك المنجزات[٢٣٧].

يرى جوزيف شاخت أن الروايات الإسلامية لا صحة لها على الإطلاق وحتى الروايات التاريخية لا يمكن الاعتماد عليها إذ إنها وضعت لأغراض تشريعية لان الشريعة الإسلامية كانت خارج نطاق الدين الإسلام والقرآن لم يكن مصدرا لها خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة[٢٣٨]. وفي مطلع القرن التاسع عشر أعرب الباحث في تاريخ الإسلام غوستاف فرايتاغ [٢٣٩]عن عدم ثقته بأخبار الموروث الإسلامي ووصفها بالمكذوبة والملفقة خصوصا تلك التي تناولت الطقوس الوثنية حول الكعبة في مرحلة ما قبل الإسلام.

لم تكن نصوص التاريخ الديني التي وضعت مستندة إلى حقائق تاريخية بقدر ما كانت خيالات خصبة للرواة العرب. ويقول الراوندي إن سيرة النبي في

---

[٢٣٧] – موريس عايق: نحو قراءة جديدة لبدايات الإسلام الخوار ٢٠٠٧/٤١٠/١٠

[٢٣٨] – محمد علي مهر: مزاعم المستشرقين في القرآن.

[٢٣٩] – نادر قريط: البدايات المظلمة للإسلام

مكة والمدينة هي خيال قصصي ليس لها أي أساس. وهذا كان أيضا استنتاج كثير من المؤرخين الذين يشتغلون في التاريخ الإسلامي. فقد بني التاريخ الإسلامي على نصوص غير دقيقة كانت تتواتر مشافهة ثم كتبها أشخاص مبتدئين وصارت أساسا لكل التأريخات اللاحقة. فالطبري يعترف مثلا انه اعتمد في كتاباته على المرويات وما يتناقله الرواة ولم يكن لديه القدرة على التمحيص والتدقيق والاستشهاد بمن هم أعلم منه أو أقدر على التمييز. وما ينطبق على الطبري باعترافه ينطبق على باقي المؤرخين والمدونين الذين كتبوا رواية الإسلام المبكر الذين لم يعاصروا أحدا ولا أحداثا وإنما نقلوا رواية تتناقلها الألسن مشافهة من جيل إلى جيل وقد بعد العهد بها عن السنة التأسيسية المفترضة زمانا ومكانا. والأكيد أن الطبري لو انه شخص حقيقي وليس مجرد اسم وهمي لشخص غير موجود، لم يطلع على أي وثائق أو مستندات ولم ير أي دليل مادي مثل المسكوكات أو الأختام أو النقوش تعود إلى القرن الميلادي السابع. ويتهمه نادر قريط في مقال له إن الطبري الذي يعود أصله إلى منطقة طبرستان الفارسية المعروفة بالتقاليد الكتابية الراسخة والعريقة في بلاد الفرس ربما اطلع على ***الموسوعة البيزنطية*** التي وضعها الإمبراطور المثقف قسطنطين الرابع فنصوص الطبري تكاد تكون متطابقة أحيانا مع نصوص هذه الموسوعة[٢٤٠].

---

٢٤٠ – نادر قريط: مقال في الحوار المتمدن

يتهم البعض الطبري أن تاريخه الذي كتبه بناء على رغبة الخلفاء هو إعادة لكتابة سيرة الرسول ولكن بتوسع وبكثير من الخيال. أما تفسيره للقرآن فيبدو وكأنه إعادة كتابة لمتون الحديث بكثير من الخيال أيضا.

إن الطبري الذي عادة ما يأتي في مقدمة المؤرخين العرب في سرد عدد كبير من المرويات والقصص التي تساهم على نحو نشط وفاعل في تنشئة العقل الإسلامي وتهيئته بديمومة متصلة يركن وعلى نحو واثق إلى التفاسير الخيالية والخارقة حتى غدا هذا العقل مع توالي الزمن لا يقبل في مجال معالجته لفهم الأحداث الكبرى والمهمة إلا أن يكون التفسير الميثولوجي حاضرا وفي مدى سردي تفاوتت مساحته من نص إلى آخر[٢٤١].

هناك في الحديث والسيرة الكثير مما يسمى إسرائيليات. والإسرائيليات هي المرويات المنقولة عن مصادر يهودية وهي باب كبير جدا في الثقافة الإسلامية. من أشهر من ينسب إليه إسرائيليات عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه. معظم تلك الإسرائيليات يمكن رصدها في التلمود والمدراش وليس فقط في التوراة. وهذا يشير إلى أن الذين أرادوا وضع الرواية الإسلامية غرفوا من كل ما هو متوفر لديهم سواء كتب أو روايات شفوية وقد وثقوا بالروايات اليهودية لأنهم

[٢٤١] – نبال خماش: الأساطير والأحلام المؤسسة للعقل الإسلامي

كانوا يقصدون وضع عقيدة مشابهة لليهودية كل همها نقض وتفنيد العقيدة المسيحية الهللينية.

في كتابه ***أبطال بلا تاريخ*** يتحدث الدكتور فاضل الربيعي عن كثير من المرويات الخيالية النابعة من الأساطير والخرافات لأحداث لم تحدث وإنما كانت محض خيال وتأليف. بعضها محاكاة لأساطير أجنبية مثل الحروب التي وقعت أيام العرب وحرب البسوس وداحس والغبراء. قد تكون شخصيات الرواية الإسلامية حقيقية ولكن أعيد صياغتها زمانيا ومكانيا لتتاسب المرويات الإسلامية التي تجعل الإسلام دينا موحى به إلى محمد النبي في مكة. ولذا يشكك الربيعي في روايات الطبري والمسعودي وابن الأثير وابن هشام والأزرق على أن تكون التاريخ برمته. فهو يرى أن هؤلاء دمجوا بين التاريخ والأسطورة. فحرب البسوس على سبيل المثال في رأى الربيعي لم تحدث وإنما هي إعادة إنتاج لبعض مرويات حرب طروادة.

في محاولة البحث والتمحيص والمقارنة التاريخية والمضاهاة بين الأصول لا نجد في المصادر الفارسية أو البيزنطية ولا حتى الأرمنية أو السريانية أي إشارة لا من بعيد ولا من قريب تشير إلى ما تقدمه الرواية السردية الإسلامية كما صنعها الطبري وغيره من المدونين المسلمين في بداية الدولة. كما لا يوجد أي دليل مادي واحد يثبت أن العرب المسلمين كانوا موجودين في الحجاز خلال القرن السابع الميلادي.

الفصل الثالث والعشرون

من الشام وليس الحجاز

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين

لو كان الإسلام قد تكامل في الحجاز ووصل إلى الشام مكتملا لما احتاج أحد أن ينتقده ولما اعتقد كثيرون مثل يوحنا الدمشقي بأنه هرطقة مسيحية. أي أن الإسلام فعليا ظهر في الشام من خلال هرطقة المسيحية اليهودية التي عرفت باسم النصرانية.

ولما كان الدمشقي من أتباع الأرثودوكسية الملكانية الخلقيدونية جاء اعتراضه على هؤلاء وهو يسميهم الإسماعيليين لأنه في عصره بدأت وفود من العرب الحجازيين تأتي إلى الشام وتتبنى العقيدة النصرانية.

عندما ظهر الإسلام للمرة الأولى على المسرح العالمي نظر إليه المسيحيون في الغرب على انه هرطقة مسيحية وليس دينا جديدا. وبقيت تلك النظرة في الغرب حتى فترة ما بعد الحروب الصليبية. أما في بيزنطة فقد أدرك الروم أن الإسلام دين جديد بعد القرن التاسع[٢٤٢] وقبل ذلك كان الكتاب المسيحيون في بيزنطة يعتبرونه مجرد هرطقة[٢٤٣].

ومع أن الإسلام بدا يتشكل كدين منذ أواخر القرن السابع الميلادي إلا أن يوحنا الدمشقي ظل ينظر إلى اتباعه على انهم إسماعيليون أتباع هرطقة ولم يعتبرهم طائفة منفصلة إذ لم ينظر إلى الإسلام كدين مستقل.

---

٢٤٢ - Was Mohammad Real?

٢٤٣ - Belloce: On Islam

لقد عاش يوحنا الدمشقي في كنف عبد الملك بن مروان ومع انه في البداية رأى في الإسلام شكلا من أشكال الهرطقات المتأثرة بالآريوسية والنسطورية، لكنه رأى أيضا انه يشترك في بعض الأشياء مع المسيحية. ومع أن النسطورية والآريوسية تمت إدانتهما في مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية. إلا أن النساطرة تمكنوا بشكل أو باخر من الهرب باتجاه بلاد الفرس وأعادوا تنظيم أنفسهم وجمعوا إليهم انصارا من معظم أنحاء المنطقة.

لقد كان يوحنا الدمشقي وهو أحد اهم فقهاء المسيحية في العصر البيزنطي كان مقتنعا بأن الإسلام ليس دينا جديدا أو مستقلا بل بدعة مسيحية أو شكلا من أشكالها. كان تركيز الدمشقي في نقده للإسلام على الاختلاف بشأن ألوهية المسيح والثالوث الأقدس وصدقية نبوة محمد. وكان ينظر إلى الإسلام على انه انشقاق من المسيحية وهرطقة للإسماعيليين العرب. يقول الدمشقي في كتابه الموسوعي: ***ينبوع المعرفة***: إن نبيا كاذبا ظهر بين الإسماعيليين اسمه محمد التقى براهب آريوسي وعلمه هرطقته وادعى أن كتابا نزل عليه من السماء.

خلاصة قول يوحنا الدمشقي في الإسلام هو انه فرقة نصرانية مارقة ظهرت في زمن هرقل. وقول الدمشقي كان له أثره على مجمل الموقف البيزنطي من الإسلام في القرن السابع. فقد نظر البيزنطيون إلى الإسلام من خلال المنار الذي نظروا فيه إلى الهرطقات القديمة ورفضوا أن ينظروا إليه

كدين رسمي. ولذلك لم يتصدوا له بقوة واعتقدوا انه حالة هرطقة سرعان ما تنتهي وتذوب في التيار المسيحي العام.

لقد تأخر البيزنطيون في رؤية الإسلام كتحدي لاهوتي جدي ولم يكن لديهم ما يكفي من المعلومات الأكيدة عن الإسلام كدين مستقل فظلوا يشيرون إليه على انه هرطقة مسيحية ويتحدثون عن المسلمين بأوصافهم العربية: عرب، سراسين، إسماعيليين أو هاجريين وليس باي صفة دينية. كما أن يوحنا الثالث وهو أسقف يعقوبي عندما جادل عمير بن سعد الأنصاري كان يعتبر الإسلام مجرد هرطقة مسيحية رافضا قبوله وحيا حقيقيا تنزل من الله على إنسان في غار صحراوي.

لكن الإسلام نما وتطور وترسخ وصار عقيدة النخبة الحاكمة. وقد لفت الإسلام نظر المسيحيين بشدة وكان الشيء الأصعب على التفنيد من وجهة نظر مسيحية هو شدة البساطة التي أتى بها الإسلام[٢٤٤]. فالبساطة المتناهية هي الوصف الأنسب للإسلام. لقد صار الإسلام أشبه بالمسيحية من غير لاهوت ولا روحانيات، فلا أسرار ولا كهنوت ولا رهبنة وأشاع تعدد الزوجات وسهل إجراءات الزواج والطلاق[٢٤٥].

---

[٢٤٤] – الإسلام كما رآه الأولون

[٢٤٥] – الهرطقات الكبرى: بيلوشي

أن الدراسة المتأنية والمتمهلة لمسيرة نشأة الإسلام تظهر تشكله بصورة مغايرة لما تسرده الرواية الإسلامية الرسمية. فهو لم يخرج من الصحراء إلى الهلال الخصيب بل يجب النظر إليه على انه نشأ كحاجة لحماية وتثبيت الاستقلال الذي قام به الأمويون في الشام وتوسيع سلطانهم باتجاه الجزيرة العربية وتوحيدها مع الهلال الخصيب[٢٤٦]. لقد كان الدين القومي للدولة الناشئة أما الحجاز فلم يدخل إلا متأخرا مع التحولات التي أصابت الخط التجاري وتمكن عبد الملك بن مروان من بسط نفوذ الأمويين هناك.

ترى باتريشيا كرونة وهي من أشهر من درس بدايات الإسلام إن الدين الجديد ظهر في منطقة ما بين سوريا وفلسطين. وبعد أن تمكن العرب من الاستقلال عن البيزنطيين وإقامة الدولة العربية بقيادة الأمويين أرادوا أن يستقلوا بنصرانيتهم وتمييزها عن المسيحية الهللينية. وقد رأينا في فصول سابقة كيف جمع اكليروس الأمويين الكتابات النصرانية وغيرها في قريانة تساعد المؤمنين في أداء صلواتهم وواجباتهم الدينية.

معروف أن الوسط الديني الذي عاش فيه عرب الشام مقارنة بعرب الحجاز كان يتميز بتنظيم وترتيب سمح بتطوير العقيدة النصرانية إلى دين مستقل. بعكس منطقة الحجاز التي لا يوجد ولم يوجد فيها أي إثبات أو دليل أركيولوجي يدعم رأى الرواية الرسمية بأن الحجاز كان المهد الأول للإسلام. ولم

---

٢٤٦ – سليمان بشير: مقدمة في التاريخ الآخر

يوجد أي دليل على أي نوع من الاستيطان العربي في الحجاز في أواخر القرن السادس أو أوائل السابع. لكن الأماكن التي وصفها القرآن لممارسات وثنية عرفت باسم الجاهلية موجودة بإثباتات أركيولوجية في فلسطين والشام[٢٤٧]. كما أن حفريات أركيولوجية أجريت في منطقة النقب الفلسطينية أظهرت آثارا تدل على وجود الوثنية والحياة الجاهلية تماثل تلك التي تحدثت عنها المصادر الإسلامية ونسبتها إلى الحجاز لفترة القرنين السادس والسابع. مع أن الحفريات في الحجاز لم تكشف شيئا عن مثل ذلك كما أنها لم تكشف عن أي آثار تدل على وجود يهود في تلك المنطقة. وهذا يعني أن المصادر الإسلامية أخذت معلومات عن الجاهلية والوثنية السائدة في النقب ثم نسبتها إلى تاريخ الحجاز ومكة[٢٤٨]. وقد وجدت في النقب أيضا من خلال النصوص المكتشفة هناك بقايا عقيدة توحيدية ساهمت في تطور الإسلام.

يرى سليمان بشير أن الافتراض بأن الحجاز كان يمكن أن ينتج كل ما من شانه تغيير العالم كما حدث هو افتراض بحاجة إلى إثبات. ولكن لماذا جعل الحجاز مهد الإسلام؟ الجواب بسيط وهو أن من شكل الإسلام أراد أن يعطيه نكهة عروبية قوية لأنهم اعتقدوا أن الجزيرة العربية هي موطن العرب الأصلي.

---

٢٤٧ - Yehuda Nevo: Islam on Crossroads

٢٤٨ - Yehuda Nevo: Methodological Approaches to Islamic Studies

يتساءل كثيرون لماذا يتأخر المسلمون في الإشارة إلى القرآن ومحمد لو انه ظهر فعلا في الحجاز؟

لقد كان الإسلام اختراعا عربيا لتوفير تبرير ديني للإمبريالية العربية التي أقامت الدولة وتوسعت في المنطقة كلها. وبمجرد أن أقام العرب دولتهم برزت الحاجة إلى دين متكامل من اجل إبقاء الدولة متماسكة وشرعنتها. وعلى نسق ما هو موجود عند المسيحيين واليهود. أي أن هناك ضرورة لوجود رسالة ووحي ونبي.

يلخص جاي سميث في كتابه ***القرآن المنحول*** ما تثبته الجغرافيا ويرويه التاريخ من مقارنات المواد المتراكمة من القرنين السابع والثامن:

١. الهجرة كانت إلى فلسطين والقدس وليس المدينة
٢. القبلة لم تكن مكة حتى القرن الثامن
٣. اليهود ظلوا على علاقة طيبة بالعرب حتى العام ٦٤٠ م
٤. القدس وليس مكة هي المقام الأصلي للإسلام ومكة لم تكن معروفة
٥. قبة الصخرة كانت هي المقام الأول والقبلة الأولى.
٦. محمد لم يكن يعتبر نبيا عالميا حتى نهاية القرن السابع
٧. لفظتا مسلم وإسلام لم تعرفا قبل القرن السابع
٨. الصلوات الخمس لم تشرع قبل العام ١٧١ هـ
٩. أبكر مرحلة سمعنا فيها عن القرآن كانت منتصف القرن الثامن الميلادي

## ١٠.	الكتابات القرآنية المبكرة لا تتطابق مع النص القرآني الحالي

وبينما انشغل السياسيون بالحروب نشأت طبقة العلماء الشيوخ. قليلون كانوا يعرفون تعاليم الدين فقام هؤلاء العلماء بجمعها وختام عملهم أنتج الإسلام الذي نعرفه. قاموا بجمع كل ما هو متداول ومنسوب إلى "محمد" وكذلك وضعوا التفسيرات للنصوص كما وضعوا القوانين والشرائع. ولقد ظلت تلك النصوص تتطور وتراجع وتنقح من قبل أولئك العلماء. قليلون كانوا يتقنون القراءة إذ كانت الأمية طاغية ومنتشرة ولا أحد ينتبه لما يحدث في مجال الكتابة والتأليف. ولم يبالي أحد بما يقوم به هؤلاء العلماء.

وبما القرآن تطور ونما طوال قرنين من الزمن، وحيث أن الحجاز دخلت في وقت لاحق تحت مظلة إسلام عبد الملك، ربما كانت هناك رسائل دعوية ترسل إلى من يمكن أن نسميه وكيل الحجاز لإقناعه بالخضوع لإسلام عبد الملك. قد تبدو هذه الفكرة غريبة وشاذة ولكن هل من تفسير آخر لما نراه من صيغ في النص القرآني تبدو على شكل دعوة لشخص ما باتباع الإسلام من خلال قدوة تتحدث عن هذا الإسلام؟ بماذا نفسر الآية التي تقول *وأمرت أن أكون أول المسلمين*؟ *وأنا أول المسلمين*؟ وثمة ما يشبه تعليمات بشأن الدين الجديد على شكل تحذير بعد شرح: *وأقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين*؟ فالذي يوجه إليه الخطاب كان على ما يبدو من المشركين. ثمة آية أخرى أكثر صراحة: *فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين*. وكأنه كتاب

تكليف لهذا الشخص أو الزعيم الذي في الحجاز لينذر عشيرته وينشر الدعوة: *ولتنذر أم القرى وما حولها*. وثمة محاولات من المرسل أيضا للإقناع بأن هذا النص سماوي: *ما كان هذا القرآن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب*. وبعد أن صدع وكيل الحجاز بدأ ما يشبه ترديد قسم الولاء أو التكريس، قل: *إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين*. انه على ما يبدو قسم القبول بالرتبة الجديدة برئاسة النصارى الجدد بعد أن تسموا بالمسلمين: *هو الذي سماكم مسلمين من قبل وفي هذا*. ولننظر في هذه الآية: *وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم*.

الفصل الرابع والعشرون

خلاصة البحث

ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم

ليس ثمة تاريخ بلا أبطال ولكن ما ثبت عبر التاريخ أن هناك أبطالا من دون تاريخ وقد احتلوا مكانة متميزة من الذاكرات الشعبية والروايات الشفهية. ولذا ليس التاريخ مليء بالأساطير بل إن الأساطير صارت تاريخا. تلك خلاصة بحث الدكتور فاضل الربيعي الذي وضع العشرات من الكتب والأبحاث فيما يخص التراث والأساطير والتاريخ القديم.

فما الذي يمكن أن يجعل من الإسلام حقيقة فعلية؟ ألا يمكن أن يكون مختلقا من النصرانية والأبيونية وغيرها من الهرطقات المسيحية؟ يرى بعض الباحثين أن ابن تيمية المولود في حران بتركيا الحالية في القرن الثالث عشر هو الذي شكل الإسلام على الشكل الذي نعرفه اليوم وجعل من الإسلام دين الحرب والجهاد والعنف[٢٤٩]. فلم يكن في الإسلام المبكر أي جديد يختلف عن اليهودية والمسيحية النصرانية. والآيات التي تتحدث عن الجهاد والقتال ومحاربة اليهود وغيرهم وضعت في وقت لاحق بعد أن انفصل الإسلام كلية عن النصرانية واليهودية وصار دينا مستقلا يحكم منطقة شاسعة من البلدان.

من المعروف أن كتب الفقه والتفسير والتاريخ والحديث والسيرة كتبت في وقت متأخر بعد الوقت المفترض لظهور الإسلام. وعندما اكتشف المؤلفون كل تلك التناقضات بين الآيات المختلفة اخترعوا قصة الناسخ والمنسوخ وأسباب التنزيل لتبرير كل ما وجدوه في الآيات من اختلافات وتناقض وأحكام غير

---

[٢٤٩] – Chronology of Early Islam: Lewis Loflin

منطقية. وبما أن الفترة التي تم فيها ذلك كانت فترة حروب وجد الفقهاء أن من الأفضل أن تكون آيات الجهاد ناسخة لآيات السلام والوئام. وكذلك صار هناك تشدد في الأحكام ضد غير المسلمين. وبعض الآيات أشبه ما تكون ببيانات حربية وتعليمات قتالية. بعض تلك قد تكون تعليمات عبد الملك خلال قتاله مع ابن الزبير. فما معنى *واقتلوهم حيث ثقفتموهم ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه* الخ... وآية: *يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير* الخ... تبدو هذه بيانات رسمية أو رسائل من سلطة عليا إلى قادة ميدانيين استفسروا عن أحقية القتال في الأشهر الحرم عند المسجد الحرام حيث كان يتحصن ابن الزبير. كما أن آيات التشريع والإرث والمعاملات والزواج والطلاق والبيع والشراء يبدو أن تشريعات وآراء فقهية أضيفت في وقت لاحق.

أما الآيات المناهضة لليهود واليهودية فيبدو أنها أضيفت في أوقات لاحقة بعد أن تم الانفصال الكلي مع اليهودية. فاليهود رفضوا الانضمام إلى الدين الجديد المأخوذ أصلا من المسيحية اليهودية وآثروا البقاء على ما هم عليه لأنهم ظلوا مصرين على رفض نبوة يسوع المسيح. فقد رفضوه إلها كما رفضوه نبيا وعندما أصرت النصرانية العربية على نبوة المسيح واعتمدته ختام النبوات وآخر الرسالات ابتعد اليهود عنها ووقع الشرخ النهائي بين الجانبين.

لقد كانت أسباب النزول كما وضعت في عدة كتب أهمها وآخرها كتاب السيوطي لإعطاء الآيات مضمون تاريخي ووجاهة تربطها بأحداث معينة وان

بدت تلك الأحداث للعين الفاحصة بأنها أيضا أحداث غير واقعية ومبالغ فيها وربما مصطنعة ومختلقة.

كذلك فإن النسخ كان الحيلة التي وضعها فقهاء السلطة لتصحيح الأخطاء أو تعديل الأوامر والنواهي السابقة. فكانت فكرة الناسخ والمنسوخ تسهل على الأتباع قبول التغيير وجعل كل الاحتمالات موجودة لإرضاء كافة التيارات ولاستخدامها عند الحاجة إليها. ومن أجل تبرير عدم التتابع وقلة التنسيق في آيات القرآن اخترعت قصص وأحاديث عن النسيان وعن مقتل الحفاظ وعن الداجن الذي كل نسخة من القرآن.

أي أن أهداف التفسير وأسباب النزول ليست للشرح فقط ولكن لتبرير التناقضات والأخطاء وتغطية العيوب فكانت تلك التفاسير تقوم بعمليات تجميل لهذا الكتاب الذي صار هوية للامة[٢٥٠].

وفيما يتعلق بكتب الفقه فإن كثيرا منها خصوصا الأولى ربما كتبت قبل اكتمال القرآن. وقد توصل جوزيف شاخت بدراساته عن التطور القانوني أن القوننة الإسلامية أي الفقه لم تكن مستمدة من القرآن فلا توجد إشارات مهمة إلى القرآن في فقه أبي حنيفة مثلا من خلال كتاب ***الفقه الأكبر*** وهو من أوائل كتب الفقه الإسلامي. كما أن كثيرا من كتب الفقه وضعت قبل كتب السيرة

---

[٢٥٠] – محمد علي عبد الجليل: دور محمد في تأليف القرآن

والحديث. فالمفروض أن يكون هناك القرآن والسيرة والحديث ليبدأ الفقهاء باستنباط الأحكام الفقهية. ولكن يبدو انه قد حصل العكس. أي وضعت كتب الأحكام ومن ثم صيغت آيات لإثباتها في القرآن واختلقت أحاديث لدعمها. ويؤكد شاخت كما نقل عنه ونزبرو أن استنباط الأحكام من النص القرآني لم يعرف إلا في القرن التاسع. وفي نصوص معينة مثل ***الحجة في أصول الكافي*** يعرف ذلك من النظرة الأولى وكل باحث في النقد التاريخي للموروث الإسلامي يعرف بسرعة انه أمام آراء ثيولوجية وقانونية فقهية مسقطة على سلطة مبكرة هي فترة النبي والخلفاء المفترضين[٢٥١].

ليس الإسلام دينا مكتملا مستقلا وإنما كان امتدادا لليهودية ويمكن وصفه بأنه اليهودية العربية أو المسيحية اليهودية. فالمسيح وليس محمد هو محور القرآن والتعاليم والوصايا والطقوس والعبادات تتطابق مع اليهودية إلى حد التماثل في بعض الأحيان. وهذا الإسلام الذي صار دينا مستقلا لم يصبح كذلك إلا بعد أن قررت الدولة الأموية جعله دينا مستقلا موازيا للمسيحية الهللينية ولليهودية العبرانية بعد الانفصال الكلي عنها. وهذا الأمر لم يحدث إلا بعد أن تمكن الأمويون من ضم الحجاز وصار الأعراب جزء من الدولة ملتزمين دينها ومضيفين إليه الكثير مما كانوا يمارسونه من طقوس وعبادات أهمها الحج والعمرة وبعض الممارسات الأخرى في الزواج والإرث وغيرها.

---

[٢٥١] – نادر قريط: تحدي كاليش، الحوار المتمدن

كثيرون لم يعرفوا حقيقة العلاقة بين النصرانية العربية والإسلام. وما يسمى الفتح الإسلامي لم يكن هجرة سياسية سببها الجفاف والجوع. فالجيوش التي اشتركت في الفتوح لم تكن حجازية ونجدية فقط بل كان فيها قبائل عراقية وشامية نصرانية[٢٥٢].

ولكن لماذا يشارك هؤلاء في فتوح يفترض التقليد أنهم غير معنيين بها؟ الحقيقة انهم كانوا بها معنيين أشد العناية. فالجيوش الحجازية النجدية ربما كانت تحترف العسكرية لكن أهل الشام من النصارى كانت المسألة قضية عقيدية ووطنية بالنسبة لهم.

خلاصة القول في هذا الشأن هو أن محمد شخصية غير تاريخية وإنما تم اختطاف الإسم الذي كان يستعمل وصفا لرسول الله عيسى المسيح بن مريم كما كان يؤمن به النصارى. وجعلوا الصفة اسم علم واختلقوا له تاريخا وسيرة وحديثا ودولة ومعارك وغزوات وتشريعا وسيرة ذاتية لا يمكن أن تنطبق على شخص عادي فكيف بها تناسب نبيا يوحى إليه؟

أما القرآن فهو تجميع وتأليف ومن ثم ترجمة إلى العربية الجديدة المتولدة من الآرامية السريانية المختلطة بكلام أهل الحجاز واليمن. قرآن ملآن بقصص

---

[٢٥٢] – فكتور سحاب: العرب وتاريخ المسألة المسيحية، ص ١٠٠ نسخة ألكترونية.

الأولين سواء في كتبهم الأصلية أم المنحولة بالإضافة إلى تراث السابقين وقصصهم التي كانت متداولة شفاهة بين الناس. صحيح فيه بلاغة وطلاوة وحلاوة وسبك لغوي رائع ولكن هذا ليس كل شيء. ففيه أيضا تفكك في المعاني واضطراب في السياق البنيوي لنصه. وعدم تصحيح هذه السقطات في القرآن يعود إلى قيام الأعراب الذين اختطفوا الدين بتقديس النص وتثبيته على شكله المشتت المضطرب وعدم السماح بإعادة الترتيب ليصبح نصا معقولا مفهوما. وهذا الأمر مستمر إلى اليوم بسبب هالة التقديس التي تم إضفاؤها على النص وعلى شخوصه وعلى كل ما يحيط به.

إن الإسلام لم ينشأ ولم يظهر في مكة والحجاز وإنما نشأ وظهر واكتمل في بلاد الشام من دون محمد ومن دون تنزيل ومن دون وحي. وبعد اكتماله وانتشاره وتعميمه وختمه بخاتم الدولة واعتماده كنص نهائي صار دينا ينسب إلى مكة مكانا لظهوره ونشاته وينسب إلى العرب ولغتهم القرشية التي لا وجود أصيلا لها. وانطلى الأمر على الجميع بما فيهم أصحاب الدين الأصليين الذين اخترعوه وأسسوه ووضعوا قواعده وأصوله.

معروف بحسب الموروث الإسلامي وجود إسلام مكي وإسلام مدني. والإسلام المكي معروف عنه تواضعه وميزاته الدعوية التبشيرية وتوافقه مع اليهودية. أما الإسلام المدني فهو على ما يبدو شكلا إسلام جهادي شرس توسعي يضع تشريعات حياتية قاسية. ونسبة الجزء المكي إلى مكة يعنى به

نسبه إلى مكة التي تقع في شمال الحجاز أي بلاد الشام وهو الإسلام الأصلي أي النصوص القرآنية الأصلية التي كانت موضوعة بالسريانية وجرت ترجمتها بغض النظر عما يقال بوجود أخطاء في الترجمة وما شبه ذلك. أما الإسلام المدني فربما كان أصل التسمية ليس المدينة المنورة لان الإسلام لم ينشأ في الحجاز وإنما جاءت صفة المدنية من الدولة. فهذه النصوص المسماة مدنية تنسب إلى المدينة والمدينة مقصود بها الدولة أي أن تلك النصوص نشأت بعد تأسيس الدولة واستقوائها. فالدولة في العبرانية המדינה يقال لها: ***ها مادينا*** وفي السريانية قريبة من هذا اللفظ. ومن هنا جاء وصف مدني للقسم الثاني من القرآن.

في تاريخ ما يسمى الحروب الصليبية يمكن استخلاص فكرة تدعم هذا البحث. فالمسيحيون الأوربيون لم يسعوا لاستعادة البلاد المقدسة إلا في القرن الحادي عشر، أول حملة كانت عام ألف وتسعة تسعين ميلادية. فخطبة البابا أوربان الثاني التي حرض فيها المسيحيين على استرجاع المقدسات المسيحية في المشرق تتحدث عن دين ظهر حديثا. مع أن الرواية الرسمية تقول إن البعثة المحمدية بدأت عام ٦١٠ م أي قبل ذلك بأربعمئة وخمسين سنة لكن البابا يتحدث عن دين جديد. جاء في خطبة أوربان الثاني[٢٥٣] : لقد بلغ مسامعنا أن

٢٥٣ – http://www.donparrish.com/EssayPopeUrban.html

شعبا من بلاد الفرس ... مغضوب عليه وبعيد عن الله وغير مخلص له قد غزا أراضي المسيحيين وأخرجهم بقوة السيف والنار... ما معنى أن يقول بلغ إلى مسامعنا سوى أن يكون الأمر فعلا معاصرا له. وهذا معناه أن الغرب المسيحي لم يأبه بالإسلام ولم يعرفه دينا جديدا إلا في وقت متأخر عندما صارت الدولة العربية المسلمة من القوة بحيث أعلنت عن نفسها بمهاجمة رموز المسيحية الباقية في الأراضي المقدسة ومحاولة تدميرها وطمسها وإنهاء وجودها. دولة أعلنت لنفسها دينا يناهض المسيحية الغربية بصورة سافرة. هنا تنبه الغرب المسيحي إلى أن ما كان يعتبره مجرد بدع وهرطقات إسماعيلية يعلن عن نفسه دينا كاملا ينافس المسيحية الغربية ويحاول أخذ مكانها. وهذا يشير بوضوح إلى أن اكتمال الإسلام لم يكن ليظهر إلا بعد مئات السنوات من استقلال المشرق في دولة عربية اتبعت المسيحية اليهودية أو النصرانية لكنها لم تجعل منها دينا إلا في وقت متأخر.

كان الدين حاجة سياسية للدولة العربية التي امتدت وتوسعت وسيطرت وأقامت إمبريالية عربية تواصلت لمئات السنين. ونجحت الدولة العربية في هذا الشأن وما زالت تمسك بزمام الدين وتحرك سدنته وشيوخه لتحقيق مصالحها وأغراضها الدنيوية بعيدا على الأهداف السامية التي هي من صميم أي دين.

تساؤلات بعد النشر

- إذا كان سكان المشرق نصارى ثم هم أنفسهم صاروا المسلمين فمن أين جاء المسيحيون الذين يعيشون الآن؟
- الحقيقة انه ليس كل سكان المشرق وبنسبة مئة في المئة كانوا نصارى وصاروا المسلمين. فقد بقي هناك مسيحيون في السواحل الشامية والفلسطينية والمراكز الرئيسية مثل دمشق وحلب والرها وأنطاكيا ونينوى وبابل وبطبيعة الحال القدس والمراكز المسيحية الأخرى في فلسطين. ولكن مع مجيء الصليبيين في القرن الحادي عشر وإقامتهم مئتي سنة في المشرق وقيام الممالك المسيحية تعزز الوجود المسيحي واستعاد قوته وكثيرون ممن اضطروا لقبول الإسلام في السابق عادوا إلى العقيدة القويمة إلى الأرثودوكسية الهللينية وفق إيمان نيقية. وهكذا بقوا حتى بعد انسحاب الصليبيين وترسخوا في بلادهم ولم تستطع قوى الإسلام اقتلاعهم خشية من عودة الصليبيين ولكن وضعت عليهم شروط وقيود فيما عرف بالعهدة العمرية. وهذه العهدة العمرية في حقيقتها هي عقد إذعان فرض على المسيحيين ويسمون في النص نصارى بعد خروج الصليبيين وان نسبوها إلى عمر بن الخطاب لإعطائها زخما تاريخيا. بحسب هذا الكتاب محمد نفسه شخصية غير تاريخية وغير موجودة وبالتالي فإن عمر بن الخطاب الخليفة غير موجود حكما. ولكن العهدة تنسب إليه من اجل تبرير الادعاء بالرواية الإسلامية أصلا. ما يكشف زيف تاريخية العهدة العمرية مفرداتها وتفاصيلها التي لم تكن معروفة أصلا في الوقت التي تنسب إليه.

- استفسار بشأن وصف النصارى. فاذا النصارى صاروا المسلمين وكان هنام مسيحيون فلماذا يطلق المسلمون وصف النصارى على المسيحيين؟
- بعد الحروب الصليبية كان العهد قد طال بين تحول النصارى إلى المسلمين وبين عودة المسيحيين. والظاهر أن انتقال بعض المسلمين النصارى إلى المسيحية الهللينية من جديد بفضل وجود الصليبيين لم يعجب المسلمين الذين ظلوا ينادونهم بالنصارى لتذكيرهم بأصلهم من باب النكاية بهم أو إنكار اختيارهم الذي اختاروه. الأمر أشبه ما يكون بشخص كان له اسم وضيع لكنه نسب نفسه لعائلة ذات مقام رفيع. إلا أن أصدقائه وزملائه بقوا ينادونه باسمه القديم لتذكيره بأصله أما من باب النكاية أو باب الغيرة أو باب الحسد أو حتى لمجرد الاستهزاء رفضا لتحوله وانتقاله من حال إلى حال.
- نظرية الكتاب تنكر الوجود التاريخي للنبي محمد ومع ذلك نجد في الكتاب عبارات تشير إليه وكأنه شخصية حقيقية موجودة فلماذا التناقض؟
- ليس في الأمر سوى تناقض ظاهري وليس جوهريا. فاستخدام تلك العبارات والجمل والأحاديث وان أوحت ظاهريا إلى أن شخصية محمد حقيقية كما تظهر في الإشارة إلى بعض الأحاديث فإنما هي لتأكيد فكرة ما وإبراز تحليل معين. من مثل الحديث المنسوب إلى محمد يخاطب زيد بن ثابت بخصوص معرفة السريانية. صحيح أن الحديث ينسب إلى محمد كما في البخاري لكن الحقيقة قد تكون أن الذي سال كان عبد الملك بن مروان أو ربما رئيس فريق كتابة القريانة الذي أشرف على الجمع والترجمة.

ملحق مهم:

اهم الكتب المؤسسة للرواية الإسلامية:

سنة التأليف مقدرة بخمس عشرة سنة قبل الوفاة

المؤلف	وفاته هجرية	سنة التأليف هجرية
ابن اسحق	١٥١	١٣٥ (سيرة رسول الله)
ابن هشام	٢٢٨	٢٠٤ (السيرة النبوية)
أبو حنيفة	١٥٠	١٣٤ (الفقه الأكبر)
مالك	١٧٩	١٣٥ (الموطأ)
الشافعي	٢٠٥	١٨٩ (الأم)
ابن حنبل	٢٤١	٢٠٤ (مسند ابن حنبل)
البخاري	٢٥٦	٢٤١ (الجامع الصحيح)
مسلم	٢٦١	٢٤٦ (صحيح مسلم)
ابن ماجة	٢٧٤	٢٥٨ (سنن ابن ماحة)
أبو داؤود	٢٧٥	٢٥٩ (سنن أبي داؤود)
الترمذي	٢٧٩	٢٦٣ (سنن الترمذي)
النسائي	٣٠٧	٢٨٧ (سنن النسائي)
الطبري	٣١٠	٣٠٢ (تاريخ الطبري)

اتباع المسيح مسيحيون ونصارى

هذا نص يضيء كثيرا على موضوع الكتاب، وهو للتأمل والتدبر وإعمال الفكر والعقل. الأصل في موقع الذاكرة:

وبعد، فهذا بحث كتابي في نشاة الكنيستين المسيحية والنصرانية وانقسام اتباع المسيح منذ عهد المسيح بين مسيحيين من أصل وثني يتخذون المسيح الها ويقيمون الإنجيل من دون التوراة، ونصارى من أصل يهودي يتخذون المسيح رسولا ويقيمون التوارة والانجيل كتابا واحدا للحياة.

التمهيد:

ايها القارىء الكريم:

اذا وقعت هذه الكلمات بين يديك، وهي من صميم الدين والعلم والتاريخ، وكنت تابعا للمسيح، او لم تكن، فلا تتردد في قراءتها بعلم وذكاء. فانها تحمل اليك دعوة، وتكشف لك سرا كان مكتوما على الناس مدى الدهور.

فان تعارضت هذه الكلمات مع ما لديك من العلم الموروث واليقين المالوف، فلا تخف، ولا تضطرب.

وان اثارت فيك شكوكا، واورثتك هموما، فاعتصم عليها بالصبر الكثير.

ولا تنفر من رؤية الامور على خلاف ما تراها، ويراها الاخرون. ولا تتوقف عند ما فيك من نزعات التعصب والتزمت والعناد. ولا تغلق أبوابك على النور

إذا احتواك، ولا على الحق إذا أتاك.

فان هداك الله، واتاك حرية التحري والتفكير، وسلطان الحكم والتقرير، وخرجت بنعمة ربك من ظلامك الذي يحتويك، وعلمت يقينا ان اتباع المسيح مسيحيون يتخذونه الها، ونصارى يتخذونه رسولا في امتين وكنيستين ودينين، انتصارا للحق، وانصافا للتاريخ، فقد اصبت عندك غايتي، واصبت عندي رشدا.
وكن مباركا.

المسيحي ليس نصرانيا

اتباع المسيح مسيحيون ونصارى. فلا هم مسيحيون فقط ولا هم نصارى فقط. ولاهم مسيحيون او نصارى. بل هم مسيحيون ونصارى. في أمتين وكنيستين ودينين وتاريخين لاختلافهم في امور الدين والتوراة والانجيل اختلافا عميقا مزمنا. من اجل ذلك فالمسيحي، بالمفهوم الانجيلي، ليس نصرانيا. والنصراني، بالمفهوم التوراتي ليس مسيحيا، لاختلاف القاعدة الدينية القائمة بين الفريقين. تلك حقيقة مذهلة ولا بد من التسليم بها عاجلا ام اجلا رغم الانذهال الكبير.

الناس واهمون

لكن الناس يعتقدون واهمين ان اتباع المسيح مسيحيون او نصارى. ويسمون المسيحي نصرانيا والنصراني مسيحيا، دونما رادع من علم او كتاب او دين او تاريخ. ويتحدثون في هذا الموضوع الذي تراكم عليه غبار الزمن واحتواه رداء النسيان، بسهولة وارتياح. لكنهم لا يكون لهم فيه من حديث، الا ويجيء

حديثهم فيه بعيدا عن الحقيقة، غريبا عن التاريخ، خاليا من البرهان.

يجردون المسيح من القابه

ولكي يجدوا ما يقولون، ويبينوا للناس انهم يتكلمون بعلم واقتدار، وانهم في كل قضية اصحاب فتوى وقرار، فهم ينتقلون فجاة من المسيحيين والنصارى الى المسيح، يستوطون حائطه، ويجردونه من القابه، كانما في تجريد المسيح من القابه تفنيد لهذه الحقيقة المذهلة، التي لا يعلمون من سرها شيئا.

مختلفون عقيدة وكتابا

والحقيقة التامة، ان اتباع المسيح مسيحيون ونصارى. وان المسيحيين والنصارى مختلفون في ما بينهم عقيدة وكنيسة وسلطة وكتابا. وان هذا الاختلاف القديم القائم لا يمحوه تعصب في دين، ولا تزمت في راي، ولا تصلب في جهل. وهو كالاختلاف القائم بين المسيحية واليهودية، أو بين المسيحية والإسلام، لذلك فانت لا تستطيع ان تسمي المسيحي نصرانيا، ولا النصراني مسيحيا دون ان تتجنى على التاريخ، بعلم او بغير علم، وتكتم عليك وعلى الاخرين اسراره وخفاياه.

هكذا في كل كتاب

لكن الناس يصرون على اعتبار المسيحي نصرانيا، والنصراني مسيحيا. وقد تكون حجتهم ان القران الكريم لا يذكر المسيحيين بلفظهم على الاطلاق. ويستنتجون ان النصارى والمسيحيين شيء واحد. وهم بالحقيقية ليسوا شيئا

واحدا. فالقران الكريم بلفظ النصارى يشير حينا الى النصارى، وحينا الى المسيحيين المسيحيين. فاذا مدح القران الكريم النصارى، وأثنى عليهم، عنى بالنصارى النصارى. وإذا ذمهم، وندد بكفرهم وبشركهم او نادى بقتالهم عنى بالنصارى المسيحيين. لذلك فلا المسيحيون في القران الكريم نصارى، ولا النصارى مسيحيون. والمسيحيون انذاك هم الروم. والروم في نظر القران الكريم، كفار مشركون، يتخذون المسيح إلها، ويجعلون الله ثلاثة. لكنهم ليسوا نصارى.

لذلك ، فاتباع المسيح في كل كتاب، مسيحيون ونصارى.

الإنجيل من دون التوراة

اما المسيحيون فامة من الوثنيين امنوا بالمسيح، واتخذوه الها، لخلو اذهانهم وتاريخهم من كل خلفية دينية سابقة وكتاب. وهم يقيمون الانجيل باحرفه الاربعة من دون التوراة، كتابا للحياة.

الانجيل والتوراة

اما النصارى، فامة من بني اسرائيل، امنوا بالمسيح، واتخذوه رسولا خلت من قبله الرسل. ولم يقبلوه الها، لخلفية دينية عندهم تقول ان الله واحد في ذاته، وانه لم يلد ولم يولد. وهم يقيمون التوراة والانجيل، كتابا واحدا للحياة. وقد يكون هؤلاء النصارى، الذين يقيمون التوراة والانجيل، هم الذين يقول فيه القران الكريم: "ومن قوم موسى امة يهدون بالحق، وبه يعدلون" (الاعراف، ١٥٨)، ويخاطبهم بقوله: "قل يا اهل الكتاب، لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم" (المائدة، ٦٨

الانجيل هو المصدر الوحيد

ولرؤية الامور بدقة ووضوح، لا بد من الرجوع الى الانجيل، فالانجيل هو المصدر الوحيد والاكيد لكل حقيقة منزلة حول المسيح واتباعه المؤمنين. ففي الانجيل يشهد المسيح نفسه بانقسام اتباعه منذ عهده، بين مسيحيين، يتخذونه إلها، ونصارى يتخذونه رسولا.

المسيح يشهد بوجود الخلاف

قال المسيح: "لا تظنوا اني جئت لاحمل السلام الى الارض. ما جئت لاحمل سلاما بل سيفا. جئت لافرق بين المرء وابيه، والبنت وامها، والكنة وحماتها، فيكون اعداء الانسان اهل بيته" (متى ١٠: ٣٤-٣٦). وكلمة السيف، على لسان المسيح، لا تؤخذ بحرفها، بل بروحها. هو سيف الخلاف حول الايمان او الكفر بذات المسيح، مما يكون سببا للفرقة بين الناس. وهكذا كان. وقال ايضا بروح نبوية عالية: "يكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد منقسمين: ثلاثة منهم على اثنين، واثنان على ثلاثة. سينقسم الناس فيكون الاب على ابنه، والابن على ابيه، والام على بنتها، والبنت على امها، والحماة على كنتها، والكنة على حماتها". (لوقا ١٢:٥٢-٥٣). فكان قوله شهادة. وشهادة المسيح لا ترد في شيء مما قال.

مواقف متفاوتة

وحقيقة الامور، ان دعوة المسيح، التي طرقت بيوت الناس، لم تجد عن

الناس، في البيت الواحد، موقفا واحدا. فاهل البيت الواحد اختلفوا في مواقفهم من المسيح بين مؤمنين وكافرين. والبيت الذي طرقت دعوة المسيح ابوابه اولا هو البيت اليهودي. ففي البيت اليهودي الواحد اناس امنوا بالمسيح، واناس رفضوه. والذين امنوا به اختلفوا فيما بينهم حول شخصيته المجيدة المباركة، بين مؤمنين به الها، ومؤمنين به رسولا. فكانوا، منذ عهد المسيح: مسيحيين ونصارى.

الكنيسة النصرانية

لكن الناس لم يدركوا هذا الخلاف القديم القائم، الذي يشهد بقيامه المسيح. وتوهموا ان اتباع المسيح اتخذوه كلهم الها، وانهم كانوا دوما امة واحدة، وكنيسة واحدة موحدة. لذلك هم يسمون المسيحيين نصارى، والنصارى مسيحيين، دونما تفريق. وقد فاتهم ان بعض الناس، من اهل التوحيد التوراتي الخالص، اتخذوا المسيح رسولا، حفاظا على تراثهم الديني. ولم يتخذوه الها، فبقي إيمانهم القديم سالما، وإيمانهم بالمسيح رسولا قائما على ما يحبون، وتوحيدهم التوراتي خالصا من الكفر والشرك والتزييف.
هؤلاء الناس هم النصارى من بني اسرائيل. او قل هم الكنيسة النصرانية التي تقيم احكام التوراة واحكام الانجيل معا. والنصارى اصلا يهود بحسب قوميتهم، ونصارى بحسب دينهم.

يدعون الى التوحيد

والنصارى يدعون الى التوحيد التوراتي الخالص، عملا بوحي التوراة. فلا تعدد

في ذات الله، ولا اقانيم: "اسمع يا اسرائيل: ان الرب الهنا هو رب واحد" (تثنية الاشتراع ٦:٤) "انا الرب وليس من رب اخر. ليس من دوني إله. انا الاول وانا الآخر ولا إله غيري" (أشعيا ٤٥: ٥-٦)

يدعون الى الختان

والنصارى، عملا باحكام التوراة، يدعون الى الختان، سبيلا الى الدخول في دين الله. "وابن ثمانية ايام يختن كل ذكر منكم من جيل الى جيل، ويكون عهدي في اجسادكم عهدا ابديا" (تكوين ١٧: ١٢-١٣)

لذلك فالختان شعار النصارى، وفريضة دينية منزلة، تذكر بعهد الله مع الناس، وبتكريس الجسد للرب، وبانتماء الانسان الى شعب الله المختار، والى دين ابراهيم الحنيف. فقد اختتن ابراهيم وهو ابن تسعة وثمانين عاما، واسماعيل في الثانية عشرة من عمره.

ولا يزال اليهود يمارسون هذه الفريضة بكامل طقوسها حتى ايامنا الحاضرة. فياتون بالولد الى المجمع، فياخذه رجل اسمه سيد العهد. ثم ياتي المطهر الماذون، ويجري عملية الختان ضمن إطار معلوم من الطقوس والمراسيم.

اوسابيوس اسقف قيصرية، والمؤرخ الكنسي الكبير (٢٦٥-٣٤٥) يتحدث عن هؤلاء النصارى ويسميهم، كما يسمي اليهود، اهل الختان. ويسمي اساقفتهم اساقفة الختان، ويقول انهم كانوا، حتى زمن الامبراطور تراجانوس خمسة عشر أسقفا.

يدعون الى الوضوء

كذلك النصارى يدعون الى الوضوء، وسيلة للبر امام الله. والوضوء في التوراة هو الغسل او الاغتسال. والغسل نوعان: غسل لكامل الجسم، إذا ما اعترته نجاسة بسيلان: "اي رجل كان بجسده سيلان، فهو نجس. وإذا طهر من سيلانه يحسب له سبعة ايام لاطهاره، ويغسل ثيابه ويستحم بماء جار فيطهر" (أحبار ١٥:٢، ١٣). "فليغسل ثيابه ويستحم في الماء ثم يطهر. فان لم يغسل ثيابه، ولم يحمم بدنه فقد حمل وزره" (احبار ١٧: ١٥-١٦). وغسل لليدين والرجلين إذا لامستا نجاسة: "وإذا دخلوا خيمة الموعد، وتقدموا الى المذبح ليخدموا ويحرقوا ذبيحة بالنار للرب، فليغسلوا ايديهم وارجلهم، لئلا يموتوا، يكون لهم ذلك فريضة ابدية" (خروج ٣٠: ٢٠-٢١)

القديس أبيفانوس (٣١٥-٤٠٣) يقول: "النصارى عندهم وضوء كل يوم للتطهير، والوضوء عندهم واجب يومي قبل الاكل وقبل الصلاة وقبل كل جماع جنسي" (باناريون، ٣٠:٢)

الانجيل يذكر ان اليهود "لا ياكلون الا بعد ان يغسلوا ايديهم حتى المرفق، تمسكاا بسنة الشيوخ. واذا رجعوا من السوق لا ياكلون الا بعد ان يغتسلوا" (مرقص ٧: ٢-٤) وكذلك فعل النصارى من بعدهم.

اركان الدين النصراني

والنصارى في رحلة دينهم، يقيمون اركان الدين، كما يقيمها اليهود من قبلهم، شهادة وصلاة وصوما وزكاة وحجا.

الشهادة عندهم لله واحدا احدا، لا منازع له او شريك، مع الايمان بالنبوة والكتاب.

والصلاة يقيمها النصارى، كاليهود، ثلاث مرات في النهار: عند الصباح وعند الظهر وعند الغروب. قال كتاب تعليم الرسل: "علينا ان نصلي ثلاث مرات في اليوم" (الكتاب ٨:٣) في حين ان الصلاة عند الرهبان المسيحيين كانت سبع مرات في النهار اقتباسا مما جاء في كتاب المزامير: "سبع مرات في النهار سبحتك على احكام برك" (١١٨-١٦٤). وقبلة النصارى في صلاتهم بيت المقدس، في حين ان قبلة المسيحيين في صلاتهم الى الشرق (القديس ايريناوس، الرد على الهرطقات، الكتاب الاول ٢٦:٢، قانون الرسل، ٢:٥٧) وفاتحة الصلاة عند النصارى هي الصلاة الربانية: أبانا الذي في السماوات يتلونها في النهار ثلاث مرات. اما لغة صلاتهم فانها الارامية السريانية، ولغة المسيحيين اليونانية.

والصوم سنة عامة في كل الاديان. والغاية من الصوم تذليل الجسد لشريعة الروح، وحرمانه ما يحب في سبيل الله. والنصارى في صومهم كاليهود، يمتنعون عن تناول الاطعمة في يومهم من اوله: "واول نهار الصوم هو الوقت الذي يقدر فيه المرء ان يتبين الخيط الابيض من الخيط الأزرق" (التلمود :٥، المشنا ١:٢).

والزكاة فريضة يقيمها النصارى بموجب احكام التوراة: "هكذا تقدمون تقدمة الرب من جميع اعشاركم. وليكن ماتقدمونه للرب من جميع عطاياكم خيارها المقدس منها" (عدد ١٨: ٢٨-٢٩)

والحج الى بيت الله في اورشليم من اركان الدين النصراني، فريضة من الله على من استطاع اليه سبيلا. جاء في التوراة: "ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكرانك أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره" (تثنية الاشتراع

١٦:١٦). وكان الحج فريضة على كل نصراني ذكر بعد الثانية عشرة من عمره، وكان حجهم في شهر ابيب اي نيسان الذي يقع فيه الفصح: "احفظ شهر ابيب، واصنع فيه فصحا للرب إلهك" (تثنية الاشتراع ١:١٦).

خلاف من عهد المسيح

ومن هنا نرى ان النصرانية التي تقيم التوراة والانجيل هي اقرب الى اليهودية التي تقيم التوراة من دون الانجيل، منها الى المسيحية التي تقيم الانجيل من دون التوراة. ونرى كذلك ان هذا الاختلاف بين اتباع المسيح ليس جديدا. فالمسيح يقول: منذ اليوم ولا يقول بعد قرون طويلة مقبلة. لذلك فلا يجوز ارجاع هذا الخلاف بين اتباعه الى الانشقاق الكبير في القرن الحادي عشر بين الكنيستين الشرقية والغربية، ليكون الانشقاق تصديقا لشهادة المسيح في انقسام اتباعه فيه. ولا يجوز رده الى عهد الثورة البروتستانتية في القرن السادس عشر، لتكون الثورة تحقيقا بعيدا لنبوءة المسيح في اختلاف الناس فيه.

اغفال الخلاف لا يزيل الخلاف

ولقد اغفل الناس هذا الخلاف الكبير قرونا، واغفلوا شهادة المسيح فيه. لكن اغفالهم للخلاف لا يزيل الخلاف. والانجيل زاخر بمظاهر هذا الخلاف بين الفريقين من المؤمنين بالمسيح، نصارى ومسيحيين.

الرسل يردون بحزم

كتابات الرسل جاءت كلها صراعا مريرا لا ينتهي بين المسيحية التي تنادي بالتحرر من اليهودية، والنصرانية التي تنادي بالحفاظ على دين الاباء والاجداد، كتابا وايمانا، كما كانت كتابات الرسل ردا حازما على انحراف النصارى عن السراط الصحيح، وخروجهم عن انجيل المسيح، وتشيعهم لموسى والتوراة على حساب المسيح والانجيل.

قضية خطيرة في انطاكية

ابرز ما جاء على ذلك في الكتاب المقدس ما نقرا في الفصل الخامس عشر من كتاب اعمال الرسل، حول فتوى الرسل المجتمعين في اورشليم نحو عام خمسين، في قضية خطيرة اثارها في انطاكية النصارى من بني اسرائيل، ليلزموا الوثنيين، اذا امنوا بالمسيح، بتوراة موسى والختان، شرطا اساسيا للخلاص.

يفرضون شروطهم

قال كتاب اعمال الرسل: " وقام بعض الذين كانوا على مذهب الفريسيين ثم امنوا فقالوا: يجب ان يختن الوثنيون ويلزموا الحفاظ على شريعة موسى" (اعمال الرسل ١٥:٥). اصحاب هذا الكلام هم النصارى من الفريسيين. يحاولون ان يفرضوا من خلال مؤتمر القيادة في الكنيسة، ان يفرضوا شروطهم على الناس للخلاص. فلا يزك أحد أمام الله ولا ينال الخلاص أحد من الناس إلا باحكام الناموس. لكن الرسل لم يلبوا للنصارى مطلبا. فلا ينبغي للوثنيين، إذا امنوا، أن يؤمروا بشريعة موسى، وهم لا يعرفونها. فهم في حل منها. انما يؤمنون بالانجيل كتابا، وبالمسيح الها، ويخلصون.

الفتوى المنزلة

بعث الرسل المجتمعون في اورشليم بهذه الفتوى المنزلة الى المؤمنين من الوثنيين في انطاكيا مع الرسولين بولس وبرنابا. وقالوا في فتواهم: "لقد حسن لدى الروح القدس ولدينا الا يلقى عليكم من الاعباء سوى ما لا بد منه، وهو اجتناب ذبائح الاصنام والدم والميتة والزنى". (اعمال الرسل ١٥: ٢٧-٣٠). لكنهم لم يامروا الناس هناك باقامة الختان والتوراة، كما اراد النصارى في مجمع الرسل في اورشليم. ولم يشترطوا على الداخلين في الايمان بالمسيح ان يمروا باليهودية، وان يقيموا احكام التوراة لكي تصح مسيحيتهم، وينالوا الخلاص. انما الخلاص بالمسيح من دون موسى والتوراة. فبقي النصارى على حالهم، يقيمون الانجيل والتوراة، وبقي المسيحيون على حالهم، يقيمون الانجيل من دون التوراة.

الاخوة الكذبة المنافقون

لذلك فاتباع المسيح مسيحيون ونصارى. والنصارى هم الذين ناصبوا بولس العداء في كل مكان، منافقين. فهم في رسائل القديس بولس "الأخوة الكذبة". اخوة في القومية وكذبة في الدين. فهم مثله يهود، لكنهم لا يتخذون المسيح الها. وهم "الاخوة الطفيليون الكذابون، الذين دسوا أنفسهم بيننا ليتجسسوا حريتنا" (غلاطية ٢:٤). وهم "الذين يريدون ان يبدلوا انجيل المسيح" (غلاطية ١: ٧-٨) "ولم يذعنوا كلهم للانجيل" (رومية ١٠: ١٦). وهم الذين حذر منهم بولس اهل فيلبي قائلا: "احذروا الكلاب. احذروا عمال السوء. احذروا اهل

الختان" (فيلبي ٣:٢). وهم "الذين يسيرون سيرة اعداء صليب المسيح. عاقبتهم الهلاك. وإلههم بطنهم. ومجدهم عورتهم" (فيلبي ٣: ١٩). وهم "من حيث الانجيل اعداء" (رومية ١١: ٣٨).

لكل فريق دين وكتاب

ومن هنا فان اتباع المسيح فريقان: فريق الذين امنوا به الها من اله، وهم المسيحيون من الاميين الذين يقيمون الانجيل من دون التوراة. وفريق الذين امنوا به رسولا خلت من قبله الرسل، وهم النصارى من بني اسرائيل، الذين يقيمون التوراة والانجيل. ولكل فريق دين وكنيسة وكتاب وتاريخ.

يتخذون المسيح الها

اما المسيحيون فليسوا نصارى. فهم يتخذون المسيح الها. ويقولون ان الخلاص بالمسيح. وان المسيح جاء ليكمل الشريعة بالانجيل (متى ٥: ١٧). وان تكميل الشريعة بالانجيل كان نسخا لها. وان الانجيل كان تصديقا للتوراة في موضوع الوصايا فقط. وهم يقيمون الانجيل باحرفه الاربعة من دون التوراة. ويقيمون العماد من دون الختان. ويفسرون التوراة بالانجيل.

كل عتيق الى زوال

ويقول المسيحيون ان المسيح نسخ الطلاق وتعداد النساء، والختان والوضوء وتحريم الاطعمة (متى ١٩). وان الشريعة، التي نزلت بموسى، كانت المربي الهادي الى المسيح، الذي نزلت به النعمة والحياة. فاذا جاء المسيح لا حاجة

للمربي (غلاطية ٣: ٢٣). العهد القديم امانة بيد ال موسى. والعهد الجديد امانة بيد ال عيسى. فلا حاجة الى الشريعة. وبقوله عهد جديد أعلن الأول عتيقا. وكل عتيق الى زوال (عبرانيين ٣١: ٨). الوعد بالنسل المبارك تخطى الشريعة بمجيء المسيح، فصار وعدا للعالمين. هذا الوعد كان قبل الشريعة. فلما تحقق، نسخها (غلاطية ٣: ١٥). حصر المسيحية في الموسوية يجعلها دينا قوميا. والمسيحية دين عالمي لا يتقيد بشريعة قومية.

من اورشليم الى روما

هذه الدعوة المسيحية، القائمة على الايمان بالمسيح الها، وعلى الانجيل من دون التوراة كتابا، انطلقت من اورشليم الى انطاكية، ومن انطاكية الى روما. واستقرت هناك برئاسة البابا، خليفة بطرس الرسول، الى يومنا هذا. ومن هناك تنطق الكنيسة ببشرى الخلاص الى كل الناس انجيلا منزلا، وتعليما منزها.

يتخذون المسيح رسولا

واما النصارى فليسوا مسيحيين. فهم يتخذون المسيح رسولا خلت من قبله الرسل. ويقولون ان شريعة موسى ازلية، لا ينسخها نبي. وان المسيح، نسل ابراهيم الاعظم، كان يهوديا. وانه لم يات لينسخ الشريعة، بل ليكملها. فقد قال: "لا تظنوا إني أتيت لأنسخ الشريعة والنبيين، إني لم آت لأنسخ بل لأكمل" (متى ٥: ١٧). لذلك فالشريعة اساس والانجيل تكميل. ولا يكون تكميل بغير اساس. وتكميل الشريعة بالانجيل تثبيت للشريعة. ولا يصح دين بغير الشريعة.وعلى كل مؤمن ان يتهود ليتبارك بابراهيم. لذلك يطالب النصارى بفرض شريعة موسى على الأميين، إذا امنوا بالمسيح، لينالوا

الخلاص. وهم يفسرون الانجيل بالتوراة.

كنيسة اورشليم تقيم الشريعتين

ويقول النصارى ان كنيسة اورشليم، ام الكنائس كلها، اقامت الشريعتين معا. وان بولس مارس فيها الشريعة. وتوضا وصلى مع الناس في هيكل اورشليم (اعمال الرسل ٢١: ٢٤-٢٦). لكنه لا ينادي بتحرير المسيحية من اليهودية الا تملقا للاميين. والنصارى يتشيعون لموسى والتوراة على حساب المسيح والانجيل والمسيح عندهم بمنزلة موسى.

انجيل النصارى على حرف واحد

يقيم النصارى توراة موسى والانجيل بحرفه الواحد. وانجيل الحرف الواحد هو انجيل متى الارامي المفقود، الذي يسمونه ايضا انجيل النصارى او الانجيل العبراني. وكان انجيلا منحولا، مكتوبا باللغة الارامية. ترجمه القديس ايرونيموس في القرن الخامس الى اللغة اللاتينية واليونانية عن مخطوطة وجدها في مكتبة حلب. وترجمه ورقة بن نوفل الى العربية بشهادة عائشة نفسها حين تقول ان القس ورقة ابن نوفل كان امرءً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب. هكذا جاء في صحيح البخاري بشرح الكرماني (١/٣٨-٣٩). وفي صحيح مسلم (١/٧٨-٧٩). وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١١٤/٢). وفي السيرة النبوية لابن كثير (٣٨٦/١). وفي كتب الادب العربي. واقامه النصارى مع التوراة المنزلة، انجيلا عربيا منزلا. وهم يعتبرون تعريب التنزيل

تنزيلا.

قتلوا عيسى ولم يقتلوا المسيح

والنصارى في انجيلهم، الذي ينسبونه احيانا الى متى، ينكرون التجسد والفداء. وينكرون التثليث. وينكرون بنوة المسيح لله. فالله عندهم واحد بلا شريك. وينكرون صلب المسيح. لكنهم لا ينكرون صلب عيسى، اي يسوع. فالمسيح عندهم ملاك من المقربين حل في عيسى ابن مريم، والله لا يسمح بموت ملاكه القدوس بايدي الخاطئين. انما سحب الله المسيح من عيسى عند موته، فصلب اليهود عيسى وقتلوه، وشبه لهم انهم قتلوا المسيح بعيسى. لكنهم قتلوا عيسى، وما قتلوا المسيح. ولما كان لا بد لعيسى ان يقوم بعد قتله من بين الأموات، فقد أرسل الله المسيح من جديد اليه وهو في قبره. فحل فيه روحا من عند الله فدبت في عيسى الحياة. فقام عيسى من بين الاموات. ذلك لان المسيح في المعتقد النصراني اقنومان وطبيعتان. لكنه في المعتقد المسيحي اقنوم واحد وطبيعتان.

يحللون الطلاق وتعداد النساء

والنصارى يحللون الطلاق وتعداد النساء. اما الطلاق فبموجب أحكام التوراة: "إذا اتخذ رجل امرأة، وتزوجها، ثم لم تنل حظوة في عينيه، لامر غير لائق وجده فيها، فليكتب لها كتاب طلاق، ويسلمها اياه، ويصرفها من بيته" (تثنية الاشتراع ٢٤: ١-٤). لكنهم يرون الطلاق امرا بغيضا عند الله (ملاخي ٢:١٦). اما تعداد النساء فجريا على ممارسات توراتية لدى بعض الاباء

القديسين كابراهيم وسليمان الملك وعملا بفتاوى التلمود. والتلمود هو الحديث عند اليهود. فقد جاء فيه "لا يجوز للرجل أن يتزوج أكثر من أربع نساء" (التلمود ك ٣، في النساء، ف ١، يبيموت، عدد ٤٤، يلقوت شمعوني ١: ٨٢). لكنهم تجاوزا التلمود والحديث، واجازوا لملوكهم وربما لانبيائهم ثماني عشرة امراة.

ويحرمون الخمر

والنصارى بعد دخول الاسينيين في دينهم، يحرمون الخمر، ولا يقربونها، وان كانت في اليهودية والمسيحية، ضمن المعقول والمقبول حلالا. شهد بتحريمها عندهم القديس ايريناوس، أسقف ليون بفرنسا، فقد قال: "النصارى يحرمون مزج الخمر السماوي بالماء لأنهم يريدون فقط ماء هذا الدهر". (الرد على الهرطقات، ك ٥، ف ١، عدد٣). اي انهم يحرمون الخمر، ويجتنبونها، لانها رجس امام الله. ويشهد بتحريمها عندهم كتابان منحولان هما كتاب اعمال بطرس وكتاب اعمال توما حيث جاء: "والقربان عندهم من خبز وماء لا خمر فيه". ويشهد بتحريمها عندهم اكليمنضوس الاسكندري فقد قال: "بعض الخوارج (النصارى) يستعملون في القربان الخبز والماء بدل الخبز والخمر، وذلك على خلاف ما تريد الكنيسة" (السرتومات، ك ١، ف ١٩). لكنها اي الخمرة ستكون حلالا في الجنة، على ما ذكر عنهم اوريجينوس الاسكندري، في تفسيره لسفر اللاويين. ومار افرام السرياني في منظومة الفردوس (١٨/٧). وربما اتخذوا تحريمها في هذه الدنيا وتحليلها في الاخرة عن المسيح في قوله "لن اشرب بعد اليوم من عصير الكرمة هذا حتى ذلك اليوم الذي فيه اشربه معكم من جديد

في ملكوت ابي". (٢٦: ٢٩).

يحرمون الخنزير

والنصارى يحرمون الخنزير بموجب احكام التوراة، ويعتبرونه من البهائم النجسة. فلا ياكلونه الا ويكونوا باكله اهلا للعنة الله "ولاتاكلوا الخنزير فانه مشقوق الحافر، ولكنه لا يجتر، فهو نجس لكم" (الاحبار ١١: ٧، وتثنية الاشتراع ١٤: ٨). لكنهم، كاليهود، يأكلون كل بهيمة لها حافر مشقوق وتجتر (التثنية ١٤: ٦).

الله اعلم

هذه الدعوة النصرانية، القائمة على الايمان بالمسيح رسولا، وعلى التوراة والانجيل كتابا، انطلقت من اورشليم الى انطاكية، ومن انطاكية الى بصرى الشام. ومن بصرى الشام الى الجزيرة العربية، وعندما دخلت النصرانية الى الجزيرة العربية فان اقواما من قريش كانت اول الداخلين في هذا الدين. على ما جاء في تاريخ اليعقوبي (٢٩٨/١) والله اعلم.

قس في مكة وبابا في بصرى

واستقرت النصرانية في مكة. وكان يرأسها هناك القس ورقة بن نوفل النصراني على ما ذكرت السيرة الحلبية، والسيرة المكية، والسيرة الهاشمية، عن ابن اسحق وابن هشام. فكان ورقة بن نوفل رئيس النصارى في مكة، أي أسقفا مساعدا للراهب جورجيوس بحيرى، بابا الكنيسة النصرانية ووصي عيسى على

دينه في بصرى الشام.

امتان وكنيستان

لذلك فاتباع المسيح مسيحيون ونصارى، في امتين عريقتين، وكنيستين متوازيتين. ولكل كنيسة كتاب وعقيدة وسلطة واتباع. وكانوا هكذا منذ عهد المسيح والرسل، وان كان الناس لا يعلمون.

سرهم هجرة وغياب

هذه حقيقة الامور. انما هناك حلقة مفقودة من التاريخ. هذه الحلقة المفقودة هي غياب النصارى عن الانظار، بعد صدور البلاغ الروماني الخطير، دين الدولة المسيحية عام ٤٢٥، وهجرة النصارى الجماعية الى الجزيرة العربية، خوفا من الرومان عل أنفسهم وعلى دينهم.

قصور في متابعتهم

فعند هجرة النصارى الجماعية الى الجزيرة العربية، وغيابهم عن انظار الناس، لم يتمكن المؤرخون من اللحاق بهم الى الجزيرة العربية. وتبريرا لهذا القصور في متابعتهم، ورصد تاريخهم، راى بعض المؤرخين في غيابهم دخولا في المسيحية، وذوبانا فيها. وراى فيه اخرون رجوعا الى اليهودية وذوبانا فيها.

لم يزولوا بقدرة قادر

لكن الحقيقة الناصعة التي لا يقوى اليوم احد على كتمانها او تحريفها، فهي

ان النصارى لم يذوبوا في المسيحية التي اتخذت المسيح الها، ولم يذوبوا في اليهودية التي كفرت بالمسيح نبيا. ولم يزولوا بدينهم وتاريخهم عن وجه الارض بقدرة قادر. انما هاجروا، بعد قيام المسيحية دينا للدولة، الى الجزيرة العربية هجرة جماعية، بامر من بابا النصارى، وكبير أمتهم، في انطاكية أو بصرى الشام، ليسلموا من الرومان بانفسهم وبدينهم. فانقطعت عنا اخبارهم، وغابت اثارهم.

لذلك فالمسيحيون ليسوا نصارى، والنصارى ليسوا مسيحيين.

حقائق وان مذهلة

اناس كثيرون لا يدركون هذه الحقائق المذهلة. وإنها لحقائق وان مذهلة. وقد لا يدركوها، لما تنطوي عليه من المفاجات. لكن المفاجات مهما كان وقعها على الناس، فلا ينبغي لها ان تذهل الناس عن كل حقيقة راهنة.

التعويذ والاستنكار لا يجديان

واناس كثيرون لا يحبون هذا الكلام، ويعتبرونه كفرا وشركا. فاذا ذكرت لهم ان المسيحي ليس نصرانيا، وان النصراني ليس مسيحيا، انذهلوا واذهلوك. وانكروا ما تقول ارتجالا. واقاموا الارض واقعدوها تعويذا من هذه الحقائق المذهلة واستنكارا لهذا النبا العظيم. لكن التعويذ والاستنكار لا يجديان فتيلا في تبديل الحقائق والتاريخ. فالمسيحي يبقى مسيحيا، والنصراني نصرانيا الى يوم الدين وهم لا يعلمون.

جهل وحرب وادعاء

وهناك اناس كثيرون يجادلونك في هذه الامور ليبينوا لك انهم مدركوها على حقيقتها، وانك فيها على ضلال مبين. لكنهم، في جدالهم معك، لا ياتونك بامر جميل، ولا يطرقون على خاطرك بخاطرة شافية، ترد عنك وعنهم وقع هذه الحقائق المذهلة، ولا ياتي كلامهم فيها الا جهلا لها، وحربا لا هوادة فيها على المسيح، واتهاما رخيصا للانجيل بالتحريف، وهجوما محموما على بولس الرسول، وتاويلا غبيا لمقررات مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥ بامر الملك قسطنطين، وقطع دابر بدعة اريوس والاريوسيين بامر الاساقفة المجتمعين، وهم انذاك الكنيسة كلها، والكنيسة، لو كانوا يعلمون، اذا اجمعت على امر، فابواب الجحيم لا تقوى عليها، لان المسيح معها.

لعقدة في نفوسهم

واذا كان الناس لعقود طويلة خلت واعتبارات كثيرة خاطئة وجهل عظيم للتوراة والانجيل والتاريخ قد اطلقوا الاسماء على غير اصحابها، وجعلوا المسيحيين نصارى، والنصارى مسيحيين، فما ذلك الا لعقدة مزمنة في نفوسهم، ومستعصية. فهم لا يهمهم ان يروا بين الفريقين فارقا، بمقدار ما يهمهم ان يثبتوا تهمة الكفر والشرك على النصارى إذا كانوا مسيحيين، أو على المسيحيين إذا كانوا نصارى. لكن ذلك لا يعني ابدا ان حقائق الامور قد تبدلت الى ما يتوهمون، وان الباطل، في ما يتوهمون ويدعون، لا ياتيهم من بين ايديهم، ولا من خلفهم.

كفرهم اعظم

واذا كان الناس ينفرون من هذا الكلام، لا لشيء الا لانه يتعارض مع ما عندهم من العلم الموروث، واليقين المالوف، ويكتمون سره على انفسهم وعلى الاخرين، ويخافون من الرجوع فيه الى التاريخ المنير والعلم البصير، خوف النصارى من الرومان على انفسهم وعلى دينهم، ويحبون الظلام على النور، ويستكبرون الكفر على الاخرين، فكفرهم بهذه الحقائق المذهلة، اذا طرقت ابوابهم، اعظم.

وان كره الذين لا يعلمون

من اجل ذلك كله، فاتباع المسيح مسيحيون ونصارى، وان كره الذين لا يعلمون.

قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل

وما انزل اليكم من ربكم المائدة ٦٨

(المصدر:
http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:SWuZsLIWVFcJ:img2.timg.co.il/forums/1_90994709.doc+&cd=5&hl=en&ct=clnk)

المراجع والمصادر المساعدة

باللغة العربية

١. ال طلال م صمد مقال في الحوار ٢٠١٣/٢/١٧
٢. ال طلال م صمد مقال في الحوار ٢٠١٣/١٢/٢
٣. ال طلال م صمد مقال في الحوار ٢٠١٤/٢/٦
٤. ال طلال م صمد مقال في الحوار ٢٠١٣/٩/٦
٥. أبو هريرة شيخ المضيرة محمود أبو رية
٦. إحياء علوم الدين باب العبادات
٧. أراء مثيرة حول أصول المسيحية والإسلام نادر قريط
٨. الأساطير والأحلام المؤسسة للعقل الإسلامي نبال خماش
٩. أسطورة مكة الراوندي
١٠. الإسلام تاريخ مختصر كارين ارمسترونغ
١١. الإسلام هرطقة يهودية؟
١٢. الإسلام وفارس غولدتسيهر ترجمة نادر قريط
١٣. الأصول المسيحية للإسلام
١٤. أضواء على السنة المحمدية محمود أبو رية
١٥. الإنجيل برواية القرآن الأوان ٢٠٠٧/٦/٢٦
١٦. بحثا عن محمد التاريخي مالك مسلماني
١٧. البدايات الغامضة للإسلام
١٨. البدايات المظلمة للإسلام نادر قريط
١٩. بلوغ الأرب في أحوال العرب محمد شكري الآلوسي
٢٠. تأثير السريانية على القرآن ألفونسو منكانا ترجمة ابن المقفع
٢١. تاريخ إسبانيا وفتح الأندلس نادر قريط
٢٢. التاريخ الإسلامي المبكر ليس تاريخا نادر قريط
٢٣. تاريخ الكنيسة الشرقية

٢٤. تاريخ المجتمع الإسلامي ايرا لابيدوس
٢٥. تاريخ اليهود في بلاد العرب إسرائيل ولفنسون
٢٦. تاريخ وماهية القرآن كامل النجار
٢٧. تاريخية الدعوة المحمدية هشا جعيط
٢٨. تجارة مكة وظهور الإسلام باتريشيا كرونة
٢٩. تحدي كاليش للإسلام نادر قريط
٣٠. تحدي كاليش نادر قريط
٣١. تدوين السنة إبراهيم نوري
٣٢. ثلاثة وعشرون عاما في الرسالة المحمدية علي دشتي
٣٣. جمال الهنداوي مقال في الحوار ٢٠٠٩/٧/٢٢
٣٤. حمى البحث عن محمد نادر قريط
٣٥. خلف النبي محمد
٣٦. دراسة سريانية آرامية للقرآن كريستوف لوكسنبرغ
٣٧. دراسة في الإسلام جريس بقاعين
٣٨. دور الترجمة من السريانية في تطوير العربية زاهية النجفي
٣٩. دور محمد في تأليف القرآن محمد علي عبد الجليل
٤٠. الساميون العرب من العراق والشام إلى الجزيرة العربية
٤١. الشخصية المحمدية معروف الرصافي
٤٢. عالم المعجزات بحث في تاريخ القرآن أبو موسى الحريري
٤٣. العرب وتاريخ المسالة المسيحية فكتور سحاب
٤٤. العربية والسريانية المطران بولس بهنام
٤٥. عشر أساطير حول الإسلام
٤٦. عشر أساطير حول القرآن تيموثي دنكن
٤٧. عشر أساطير حول محمد مايكل كوك
٤٨. علم الأعلام في حقيقة الإسلام
٤٩. العلم ينفي وجود إسلام في القرن السابع عماد عبد الزهرة
٥٠. علوم الحديث صبحي الصالح

٥١. في أصول القرآن ناصر رجب الأوان

٥٢. في الشعر الجاهلي طه حسين

٥٣. قراءة أفقية في السيرة ناصر بن رجب

٥٤. قراءة في بعض السيرة النبوية محمد النجار

٥٥. القرآن تيموثي دنكن

٥٦. القرآن مرغليوث

٥٧. القرآن المنحول جاي سميث ترجمة إبراهيم جركس

٥٨. القرآن دعوة نصرانية الأستاذ الحداد

٥٩. القرآن سماوي أم إنساني هارولد فيلدر

٦٠. القرآن صنعة أيادي عدة

٦١. القرآن في الإسلام وليم غولدساك

٦٢. القرآن نص مترجم محمد عبد الجليل

٦٣. القرآن والتاريخ محمد سيف الله

٦٤. القرآن وسوء الترجمة والتفسير غبريال صوما

٦٥. القرآن وقواعد السريانية نادر قريط

٦٦. قس ونبي أبو موسى الحريري

٦٧. الكعبة مالك مسلماني

٦٨. كيف نظر الأولون إلى الإسلام

٦٩. لماذا لست مسلما ابن الوراق

٧٠. اللؤلؤ المنثور البطريرك ما أفرام برصوم الأول

٧١. ما نوع ديانة الإسلام؟ هيلاري بيلوك

٧٢. ما هو الإسلام؟ نبيل فياض

٧٣. ما هو القرآن بوين مقال فلي أتلانتيك ١٩٩٩

٧٤. ماهومتدراي كوت

٧٥. متى ظهر الإسلام كامل النجار

٧٦. محمد النجار الحوار ٢٠١٠/٧/٩

٧٧. محمد نبي ورجل دولة مونتغمري وات

٧٨. محمد واتباعه مؤمنون ومسلمون حمود حمود الأوان

٧٩. محمد مرغليوث

٨٠. مدارات نقدية في أصول العربية نادر قريط الأوان

٨١. مدخل إلى تاريخ المدينة محمد النجار

٨٢. مزاعم المستشرقين محمد مهر علي

٨٣. مسيح القرآن ومسيح المسلمين جوزيف قزي

٨٤. المسيح المسلم زويمر

٨٥. المسيحية في العالم العربي الحسن بن طلال

٨٦. مصادر التاريخ الإسلامي إسماعيل أدهم

٨٧. مفترق طرق الإسلام يهودا نيفو

٨٨. مقابلة مع لوكسنبرغ إبراهيم جركس

٨٩. مقابلة نبيل فياض مع الحوار المتمدن ٢٠٠٧/٥/٢٣

٩٠. مقال في الحوار كاظم خضير القاضي

٩١. مقال في الحوار نهى سيلين الزبرقان ٢٠١٢/٩/٢٩

٩٢. مقال في الحوار هشام حتاتة

٩٣. مقالة أرنست مارتين

٩٤. مقالة في الشعر العربي مرغليوث

٩٥. مقدمة في التاريخ الآخر سليمان بشير

٩٦. مكة في جغرافية القرآن دان جبسون

٩٧. مكة في ضوء التاريخ رأفت عماري

٩٨. من الذي كتب القرآن الناصري لعماري مقال في الحوار

٩٩. من تاريخ الفكر المسيحي

١٠٠. من هم مؤلفو القرآن إبراهيم جركس

١٠١. النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية لويس شيخو

١٠٢. نظريات جديد في القرآن ألكسندر ستيل

١٠٣. النقد الكتابي للقرآن

١٠٤. نور ساطع تعليق في الحوار ٢٠١٤/١٢/٢٣

١٠٥. الهاجريون باتريشيا كرونة
١٠٦. الهرطقات في القرون الأولى
١٠٧. هل الأحاديث النبوية هي أحاديث حقا؟ محي هادي
١٠٨. هل القرآن كلام الله؟ زكريا بطرس
١٠٩. هل تدعم الاركيولوجيا القرآن؟
١١٠. هل تنبأ الكتاب المقدس بمحمد؟ جون غلكرايست
١١١. هل كان محمد حقيقيا؟
١١٢. هل وجد محمد حقا؟ تايلور كار
١١٣. هل وجد محمد؟ روبرت سبنسر
١١٤. الوهم الإسلامي مصطفى عبد الله
١١٥. يسوع في القرآن
١١٦. يهود شبه الجزيرة العربية باسيليوس زينو
١١٧. يوم انحدر الجمل من السقيفة نبيل فياض
١١٨. يوم قبل وفاة محمد محمد حسان المنير

References in English

1. A History of Islamic Society Ira Lapidus
2. Christ Morozov
3. Chronology of Early Islam Lewis Loflin
4. Crossroads of Islam Yehuda Nevo
5. Did Mohammad Exist? Robert Spencer
6. Did Mohammad Really Exist? Tylor Carr
7. Does Archeology support the Quran? Peter Saunders
8. Islam: A Jewish heresy? Paul Smith Junior
9. Jesus in the Quran
10. Mahomet Draycott
11. Methodological Approach to Islamic Studies Y Nevo
12. On Islam H Belloce
13. Quran and History MSM Saifullah
14. Quran is a Work of Multi Hands
15. Ten Myths about Islam
16. Ten Myths about Mohammad
17. The Christian Origins of Islam
18. The Muslim Christ Zweimer
19. The Quran: heavenly or Human? Harold Felder
20. The Quran: Misinterpreted, Mistranslated and Misread Gabriel Souma
21. Was Mohammed Real?
22. What is Quran? G. puin
23. What kind of religion is Islam? Hilaire Belloce
24. Why I am not Muslim Ibn Warraq